رواية

ألواح الأولين

عمرو محمد كمال

تشكيل للنشر والتوزيع

بدون مقدمات.. لن أخوض في أي تفاصيل من تحذيرات أو تنبيهات، أو أقول كلامًا عميقًا أو ما شابه ذلك.. في النهاية هذه مجرد رواية خيالية.. إذا كنت من محبي هذا النوع بالطبع.. سآخذ بيدك إلى اللا مكان واللا زمان.. لن أقول لك أن هذا عالم غريب وجديد، ولم تر مثله من قبل، أو لن ترى مثله فيما بعد، أو أزين لك الكلمات لأخدعك وأثير إعجابك، فلا وقت لدي لهذا الهراء.. أنا لا أعرفك، ولكن يمكنني أن أستفيد من عدم معرفتي لك، وأقوم باختطافك وآخذك إلى أورينتس وأتركك هناك.. إما أن تخرج وحدك أو تبقى للأبد.. لذا نصيحة صغيرة مني.. قم بتوديع عائلتك للمرة الأخيرة!!

كتاب أودم..

كتاب لا يطلع عليه أحد سوى الملك والكاهن الأكبر.. بداخله قوانين يتبعها ويخضع لها الملك قبل العبد.. إذا أردت العيش بحرية وتعطي لحياتك قيمة بالفعل وتخاف من العقاب أو الموت.. فلا تفكر بالعصيان والخروج عن تنفيذ القوانين.. في لحظة واحدة من الممكن أن تصير عبدًا لا قيمة لك بعد أن كنت في يوم ما وزيرًا أو كاهنًا.. لن تتمنى أبدًا أن تعيش في دولة «أورينتس».. من الأفضل والأكرم لك أن تختار قتل نفسك على أن تختار العيش هناك!

المؤلف..

1

- هل اتخذت قرارك؟

- أشعر أن هذا الأمر كله لا فائدة منه، وضياع للوقت لا أكثر.

- لن نخسر شيئًا لو خضنا تلك التجربة، بالإضافة إلى أنه لن يعلم أي أحد بهذا الأمر سوانا.

- حسنًا.

ابتسم بعدما سمع موافقة أخيه الأصغر مصطفى.. لا يعلما بعدُ ما الذي ينتظرهما هناك.. كل ما كان يفكِّر فيه عامر هو اكتشاف هذا الأمر الغريب كما يعتقد هو في مخيلته، وإصراره على أخذ أخيه معه.. ولكن دائمًا وللأسف هذا ما يظنه الجميع وينخدع به.. يا ليت الأمر يتوقف عند حد مجرد الاكتشاف والمغامرة والمتعة فقط.. بل إنه يتجاوز هذا بكثير، وبالأخص عندما لا تعلم ما أنت مقبل عليه..

تريد تجربة شيء جديد، فضولك يأكلك من الداخل كأنه ذئب ينهش بأحشائك ولا تستطيع مقاومة شدة ذلك الألم، تصرخ ولا أحد يسمعك، تجن دون أن تشعر، تفقد تركيزك ولا يعود إليك حتى تقضي على ذلك الذئب بداخلك، وعلاجك لكل هذا هو خوض التجربة وإشباع نفسك حتى تكتشف

ما تريد معرفته، وترى ما تتمنى رؤيته، وتخوض ما تحلم بعيشه.. عندها فقط يمكنك أن تقضي على ذلك الذئب بداخلك، وتملأ زجاجة فضولك وتشرب منها حتى ترتوي.. وقتها تستطيع الاسترخاء وأنت هادئ البال لا يوجد ما يشغل تفكيرك..

هكذا كان حال عامر، يموت كل دقيقة ليعرف ماذا يوجد هناك، وما سر ما رآه بالتحديد، لا يطيق الانتظار.. بعد إصرار شديد منه وافق أخوه على الذهاب معه، كان من الممكن أن يذهب هو بمفرده ولا يخبر أي أحد، ولكنه أراد وبشدَّة إخبار أخيه عمَّا شاهده، وعن حيرته وتساؤلاته وفضوله وتشوقه لمعرفة ماذا يحدث.

طلب منه الذهاب معه.. في البداية استهزأ مصطفى بكلامه، وحاول إقناعه أن كل هذا مجرد هراء وتخيلات لا فائدة منها، ولكن عامر أصرَّ على إقناعه وأخذه معه، فقط لأنه يحب أخاه الأصغر، ولا يريد أن يستمتع دونه إذا كان وراء هذه المغامرة أي متعة أو اكتشاف ولو كان صغيرًا.. يريده أن يشاركه معه في كل ما سيفعل ويخوضه..

***

بطاقات تعريف

«عامر»:

طالب في السنة الثانية بكلية الآداب جامعة القاهرة (قسم الآثار)، مشاغب قليلًا، يحب المخاطرة دون أن يبالي بدرجة الخطر التي تتولَّد عن نتيجة أفعاله، فضوله وشغفه لا نهاية له، إذا جذب انتباهه أي شيء مريب أو مختلف عن العادة يسير وراءه حتى يكتشفه ويعرف ما هو.. يحب أخاه حبًّا جمًّا، علاقته به مقدسة، حقًّا نعم الأخ والسند، دائمًا ما يدافع عنه في أي مشاجرة صغيرة كانت أو كبيرة، يجبر نفسه على تحمل أخطائه أمام والديهما كيلا يُعاقبَ أو يتعرَّضَ هو للتوبيخ، يفعل كل ما بوسعه لإسعاده وتحقيق كل رغباته ولو على حساب راحته، بالرغم من تهور عامر المستمر ومشاغباته مع الكثيرين وتصرفاته المشينة أحيانًا، إلا أنه مع أخيه شخص آخر، يجعلك تحتار هل هو شخص جيد أم سيء، تصرفاته في بعض الأحيان تجعلك تبكي، وفي أحيان أخرى تجعلك تكرهه.. ولكن الشيء الثابت دائمًا وأبدًا في حياته هو حبه الشديد لأخيه..

«مصطفى»:

الأخ الأصغر، طالب في الصف الثاني الثانوي، هادئ وطيب

بخلاف أخيه، لا يحب التدخل فيما لا يعنيه، لا يحب افتعال المشاكل، قليل الكلام، مجتهد في دراسته، يفعل كل ما بوسعه ويجتهد للالتحاق بكلية الهندسة، يحب أخاه هو الآخر، ليس لأنه يدافع عنه ويحميه وكل هذه الأمور، ولكن لأنه بالفعل يحبه من كل قلبه، تنظر إليهما وتظن أنهما ليسا أخوين، شخصيته مختلفة عن عامر في كل شيء، ولكن على الرغم من الاختلاف بينهما، إلا أنهما مثال وقدوة لأي شخص يريد أن يعرف ويتعلم معنى كلمة أخ..

«الأب»:

رشاد عيسى، أستاذ اللغة العربية في إحدى المدارس بالقاهرة، كان يعيش قبل ذلك في السعودية هو وزوجته فاطمة، مصري الجنسية، وزوجته سعودية، فلقد سافر للعمل هناك والتقى صدفة بفاطمة وتزوجها، أنجبا عامرًا وبعد سنتين قرَّرا السفر إلى مصر والعيش هناك، كان من البداية لا يريد الإقامة دائمًا في السعودية، بل سافر للعمل لفترة قصيرة وبعدها يعود، لم يضع في حسبانه أنه سيتزوج وينجب طفلًا، فجميع أهله في مصر، فكان القرار حاسمًا بعد أخذ موافقة زوجته بالعودة..

قبل يومين:

في مصر هناك عرف قديم متعارف عليه عند الجميع، وهو السفر وقضاء ومشاركة فرحة العيد مع الأهل والأقارب والأصدقاء، إرسال التهاني إلى الأحباب والعائلة والاتصالات والهدايا والمرح وكل هذه الأمور التي نعرفها جميعًا.

هناك من يسافرون ويقطعون مئات الكيلومترات لقضاء بضعة أيام مع فرد أو جمع من الأقارب مهما كانت درجتهم من القرابة، يقضون معًا أيام العيد القليلة وبعدما تنتهي يعود كل شخص إلى حياته وعمله ودراسته..

بعد مرور أيام عيد الفطر القليلة، حان موعد عودة رشاد وعائلته من أسيوط إلى القاهرة، في طريق رجوعهم في سيارة العائلة على طريق الصحراء توقفت السيارة تدريجيًّا بناء على طلب الأخ الصغير...

- ألا تستطيع التحمل قليلًا يا بني؟ بقي القليل على عودتنا للبيت.

- لن أتأخر عن دقيقتين وسأعود سريعًا.

- حسنًا، اذهب واقض حاجتك على راحتك.

ترجَّل مصطفى من السيارة واتَّجه ليدخل إلى الصحراء

بعيدًا عن الطريق، سار على الرمال الساخنة تحت أشعة الشمس الحارقة مع سكون الصحراء المقبض، حتى ولو كان وقت الظهيرة كما الآن.

وقف أمام أحد الجبال الضخمة العالية، تلفَّت يمنةً ويسرةً يتفحَّص المكان جيدًا ليتأكد من عدم وجود أحد ينظر إليه أو يتربصه، فلا تعلم هل يوجد أشخاص يعيشون هنا بداخل الصحراء أم لا؟ ربما يوجد أناس يعيشون هنا ولا يعلم عنهم أحد أي شيء.

لم يفكِّر مصطفى كثيرًا، فالوقت ليس في صالحه، بالإضافة إلى أنه لن يحتمل أكثر، أنزل بنطاله بدرجه تجعله يقضي حاجته مستريحًا، سيتخلَّص من بعض المياه سريعًا وهو واقف..

قد يكون المكان هنا به أي أفاعٍ أو عقارب أو أي شيء مؤذٍ قد يظهر فجأة، لهذا لم يطمئن عامر لترك أخيه وحده هكذا، ترجَّل هو الآخر من السيارة، وذهب عنده ليقف خلفه يراقب المكان من حوله، انتهى ورفع بنطاله وشعر بالراحة أخيرًا، وعندما التفت تفاجأ بأخيه يقف خلفه مباشرة ينظر إليه...

- ماذا تفعل هنا؟

- لا شيء، شعرت بالملل وقلت لنفسي أسير قليلًا حتى

تنتهي.

- تسير خلفي!

- هيا، هيا بنا وتوقف عن الثرثرة.

تحرَّك مصطفى، وقبل أن يلتفت عامر ليرجع، لفت نظره شيء عند البقعة التي تبول عليها أخوه، شيء صغير لونه أسود بالكاد تراه من بعيد، اعتقد في البداية أنه ثعبان يخرج من تحت الرمال، أو حشرة أيًّا كان نوعها، تحرَّك إليها وبدأ يقترب نحوها ويدقِّق النظر أكثر، ليكتشف أن هذا الشيء الأسود لا يتحرك، ولا يبدو أنه أي نوع من أنواع الحشرات أو ثعبان.

اقترب أكثر ووصل عندها وانحنى برأسه قليلًا إليها، ليرى شيئًا غريبًا كان آخر ما يتوقع رؤيته هنا وسط الصحراء، مجرد سهم صغير يشير ناحية الجبل الذي يقف قبالته الآن، حاول العثور على صخرة صغيرة أو ورقة يزيح بها الرمال ليرى بقية السهم، أو أي شيء آخر تحت هذه الرمال الساخنة، بالطبع لم يستطع فعلها بيده بفضل أخيه الذي تبول هنا، وسمح بظهور جزء صغير من رأس ذلك السهم..

في هذه اللحظة بالتحديد بدأ الذئب يولد تدريجيًّا بداخل عامر، يكبر مع مرور الوقت، وبدأ بأكله من الداخل،

لن يستريح حتى يكمل ما بدأ اكتشافه لتوّه، يمكنك أن تطلق على هذا الذئب اسم فضول، الفضول الذي هو أكبر نقطة ضعف عنده، ودائمًا ما يجرُّه إلى المصائب، هو يعرف هذا ويحب المخاطرة واكتشاف الأسرار، ولو على حساب التضحية بأي شيء يملكه في سبيل الوصول إلى الحقيقه وحل اللغز.. الذئب يكبر وبدأ بالفعل في التهام خلايا مخه وفقد عقله.

وجد قطعة ورقة صغيره متهالكة ستفي بالغرض، استخدمها وأزاح الرمال ليكشف عن بقية السهم الأسود، لم يكن كبيرًا، طوله كان نصف متر أو أقل، يشير إلى الجبل، فنظر إليه قليلًا ولم يجد ما يلفت النظر.

ظن أن شخصًا ما أو طفلًا قام برسم هذا السهم كتسلية أو من الملل، أو لأي سبب كان، ربما كان من أحد المسافرين الذي يمرون من على هذا الطريق، وتوقَّف في هذا المكان وقام بفعل هذا، توجد احتمالات كثيرة معقولة لهذا الأمر، يعني لا يوجد داعٍ لكل هذا التفكير والغموض المبالغ فيه، ولكن عامر كان له رأي واعتقاد آخر، لم يسترح لما يراه هنا وكأنه عاش من قبل في الصحراء، ويعرف الغريب من الطبيعي، وأن هذا السهم بالنسبة له شيء مريب عن العادة.

الوقت لم يكن في صالحه، وأسرته تنتظره، وهو ما زال

منشغلا بهذا الهراء، ذهب عند الجبل الذي كانت المسافة بينه وبين السهم مترًا على الأكثر، دقَّق النظر فيه من كل الزوايا التي تستطيع عينيه الوصول إليها لعلَّه يجد ما يريحه، أزاح بعض الرمال لربما يوجد سهم آخر لا يراه.

وبالفعل كما توقع، عثر على سهم أسود بنفس طول الأول يشير ناحية الأرض.. الذئب بداخله أصبح حجمه أكبر، وبدأ بالتهام عقله لدرجة أنه بدأ يقترب من الجنون مما تراه عيناه، لا يفهم ماذا يحدث هنا، وهل كل هذا مخطَّط له ويشير إلى شيء ما خفيّ، أم أنها مجرد مزحة سخيفة من أحدهم.

أزاح سريعًا بعض الرمال من تحت قدميه كما يشير السهم الثاني بالتحديد، ولكنه هذه المرة لم يجد سهمًا ثالثًا أو أيًّا كان ما توقع وجوده.. فراغ! أفاق من تركيزه عندما سمع صوت أخيه ينادي عليه:

- عاااااامر ماذا تفعل هيَّا.

- أنا قادم.

2

في اليوم التالي تكلَّم عامر مع أخيه عن كل هذه الأمور، وعن شكوكه، والأسئلة التي تدور باستمرار في عقله، الغريب أن مصطفى هو من تبول على مكان السهم، ومع ذلك لم يلاحظه، أو رآه ولم يهتم كعادته.

حاول عامر البحث على الإنترنت عن أي شيء يخص هذا المكان، بالطبع لم يجد أي شيء ملفت، فقط مجرد صحراء وجبال ورمال، ماذا سيكتب على جوجل، وكيف سيعرف أنه وجد ما يبحث عنه، ولو وجده ماذا سيفعل!!

ومن ثَمَّ كان القرار، سيذهب هناك مرة أخرى، وطلب من أخيه أن يذهب معه كيلا تفوته المتعة إن وُجدت، رفض عرضه في البداية، وحاول أن يقنعه بأن ينسى هذا الأمر، ولكنه يعرفه حق المعرفة، ولن يهدأ له بال حتى يكتشف ما يسعى إليه..

استقلَّا سيارة أجرة، وذهبا إلى النقطة التي توقفوا عندها من قبل، كان إيجادها صعبًا قليلًا، عامر فكَّر في هذا من قبل، ولهذا وضع بعض الأحجار فوق بعضها على شكل برج صغير كي يحفظ المكان جيدًا ويرجع إليه بسهولة، وسط هذه الصحراء الواسعة البعيدة عن العمران.

وجد المكان والأحجار كما وضعها، ما زالت متواجدة كما هي، تعجَّب السائق من نزولهما في هذا المكان، لم يسألهما عن السبب، فأخذ أجرته وذهب في طريقه..

أشار عامر بيده اليمنى لأخيه بأن يتبعه ومشيا تجاه الأحجار، وبدأ برفعها من مكانها ليظهر السهم ويريه لمصطفى كي يصدِّقه، اقترب ليراه، واندهش قليلًا، وبدأ الأمر يجذب انتباهه، توجَّه عامر عند الجبل ومسح قليلًا عليه ليظهر مكان السهم الثاني.

اندهش أكثر وبدأ يقتنع إلى حدٍّ ما بكلامه، حاول أن يفهم أي شيء، ولكن عامر هو الآخر لم يفهم بعد ما هذا، بدآ بالبحث عن أي سهام أخرى تكون مرسومة على الأرض أو الجبل، أو حتى رسوم لأشياء أخرى.

بعد نصف ساعة من البحث وإزاحة الرمال هنا وهناك لم يعثرا على أي شيء، جلس مصطفى وأسند ظهره على الجبل ليرتاح قليلًا بعد عناء كبير تحت أشعة الشمس الحارقة، ثم أخرج من حقيبته التي كان يحملها خلف ظهره زجاجة مياه، ارتشف منها القليل ثم أعطاها لأخيه.

ظلَّا ينظران لبعضهما ويتحدثان وهما يحاولان فهم أي شيء، ولكن بلا أي جدوى، لوهلة اعتقد عامر أن كل هذا مجرد هراء بالفعل لا أكثر، وأن أحدهم يمزح معهم مزاحًا

سخيفًا...

نهض مصطفى بعد أن بدأ يشعر بالضيق والملل مقرِّرًا العودة، وللمرة الثانية بفضله لمح عامر عند المكان الذي كان يستند بظهره عليه ظهور شيء وكأنه خط أو رسمة أخرى بلون أحمر، اقترب منها ومسح التراب مِن عليها بكلتا يديه سريعًا وبقوة أكبر هذه المرة، كأن هناك شيئًا يمنعه من رؤية ما يوجد خلف تلك الرمال، حتى ظهرت هذه الكلمات باللون الأحمر:

«نقطة من دمك على السهم.. كي يسمح لك بالدخول»

دخول إلى أين؟ لم يكن الأمر عسيرا عليهما كي يفهما معنى الجملة:

- يجب أن نسقط بقعة من دمنا على السهمين.
- حسنًا هذا سخيف، من الأفضل أن نذهب الآن.
- انتظرْ دعنا نكمل للنهاية لنعرف ماذا يحدث هنا!!

لم يكن بيد مصطفى إلا أن يسمع كلامه كي يريحه وينتهي سريعًا من كل هذا العذاب، فأخرج عامر من حقيبته التي كان يحملها سكينًا صغيرة الحجم، جرح إصبعه وتوجَّه ناحية السهم الأول ليضع نقطة من دمه لتسقط عليها، ثم ذهب

للسهم الثاني وكرر نفس الأمر، جرح مصطفى يده وفعل ما فعله أخوه، بعد أن انتهيا نظرا لبعضهما قليلًا، ثلاث دقائق مرَّت دون حدوث أي حركة، صمت، ثم!

بالطبع هما لم يلاحظا أن خلال الثلاث دقائق التي مرت أن عند قمة الجبل في الأعلى هناك عين كبيرة واحدة فُتحت جفنها ونظرت بغضب أمامها، ثم أُغلقت مره أخرى، لم يشاهدا هذا المشهد المقبض، وهذا من حُسن حظِّهما، ربمَّا كل هذا مدبر كي يكملا الرحلة إلى نهايتها دون أي خوف أو تحت أي ضغط..

عند الجزء الذي كان يستند عليه مصطفى بظهره اختفى الكلام، ثم بدأت الأرض تهتز من تحت أقدامهم لدرجة أنهم كادا أن يقعا، إلا أنهما تمسكا ببعضهما جيدًا.

عند ذلك الجزء من الحائط أسفل الجبل حدث شرخ سريع على شكل مربع، ثم بدأت بالتدريج تخرج قطعة صخرة كبيرة الحجم إلى الخارج أمامهما.

تخيل معي وكأن أحدهم قام بتحطيم ذلك الجزء السفلي، وأخرج تلك الحجارة الكبيرة لتظهر تلك الفجوة كبيرة الحجم من داخل الجبل، خرجت كلها ثم توقفت بمسافة بينها وبين الجبل نصف متر، طولها ثلاثة أمتار وعرضها مترين.

توقفت الأرض عن الاهتزاز، اقتربا لينظرا ماذا يوجد في داخل تلك الفجوة، لا يوجد سوى الظلام والسكينة، هذه المرة لاحظ مصطفى خلف تلك الصخرة التي خرجت من الجبل من خلفها مكتوبًا عليها:

«تم التعرُّف على دمك.. مسموح لك بالدخول»

لماذا تشعرني هذه الإجراءات الغريبة وكأنهم ذاهبون إلى عملهم، وقبل دخولهم مكان العمل يبصمون بأصابعهم على ذلك الجهاز المعلق على الحائط، ثم يصدر صوتا يقول لهم (Thank You) بعد أن يبصموا، ما هذا العته، إلى أين سيدخلون بحق السماء، هذا مجرد جبل!!

- عامر استمع لي يا أخي، وهيا بنا نرحل من هنا أرجوك.

- سامحني، ولكننا وصلنا إلى نقطة لا رجوع منها، وأعتقد أنها بداية لشيء كبير.

- ماذا تعني؟

- أعني هذا.

ووضع عامر ركبتيه ويديه على الأرض واتجه إلى داخل الفجوة المظلمة إلى أَنْ دَخَلَها واختفى عن الأنظار، والآخر يحاول أن يمنعه وينادي عليه، ولكن لا إجابة، لم يكن بيديه

سوى أن يتبعه ولا يتركه وحيدًا هكذا، دخل وبمجرد دخوله أقفلت عليهما من الخارج تلك الصخرة الضخمة وعادت إلى مكانها من جديد! وكأنها كانت منتظرة لدخولهما وبعدها تعود إلى مكانها.

في الخارج مرَّت سيارة أثناء لحظة انغلاق الصخرة عليهما، وكأنها هي الأخرى كانت منتظرة اختفائهما من المكان كي تعبر، كأن الزمن وكل شيء كان متوقفًا من أجلهما.

سكون المقابر، ظلام حالك، يقفان كلاهما بجانب بعضهما بصعوبة، فلقد كان يوجد أمامهما مباشرة شيء ضخم، شيء صلب لا يريانه، ومن خلفهما كانا يستندان على حائط الجبل الأمامي من داخله، عن اليمين والشمال لا توجد مسافة حركة واحدة بسبب انسداد الناحيتين بالصخور في الغالب، بالكاد يستطيعان تحريك أرجلهم بضع سنتميترات في المكان الذي يقفان فيه...

- عامر إلى أين أحضرتنا، لا أستطيع التحرك.

- وأنا أيضًا، اعتقدت أن المكان بالداخل فارغ وكبير بالنظر إلى حجم الجبل من الخارج.

- الآن ماذا سنفعل؟ لقد حذرتك، ولكنك لم تستمع لي كعادتك.

- دقيقة أحاول التفكير.

بالكاد استطاع عامر أن يخرج من جيبه علبة كبريت، أخرج عودًا أشعله بصعوبة شديدة، ليفاجأ بحائط ضخم أمامه، لاحظ وجود سهم أسود اللون أمام عينيه مباشرة على ذلك الحائط أو الصخرة الضخمة أيًّا كانت، تذكَّر ما حدث بالخارج، وما فعله منذ قليل، فكان إصبعه ما زال به بعض آثار الدماء، وضعه على السهم وأمر أخيه بفعل نفس الأمر.

انتظرا لخمس دقائق ولم يحدث شيء، فخطر على باله شيء آخر تذكَّره، فحرَّك يده التي بها عود ثقاب آخر أمام وجه أخيه ليفاجأ بسهم آخر كما توقَّع، فأخبره سريعًا بإنزال نقطة من دمه على ذلك السهم أمامه، فعل ومرَّت دقيقة، ثم بدأت الأرض من جديد تهتز تدريجيًّا، بدأ الاهتزاز يزداد قوة مع مرور الوقت، حتى بدأ ذلك الحائط أمامهما يرتفع ببطء، إلى أن وصل عند نصف أرجلهم وتوقف عن الارتفاع.

بعد قليل من الوقت ظهر أسفلهما ثعبانان ضخمان أسودا اللون، عيناهما شديدتا الاحمرار، ظلا يتحرَّكان من تحتهما ببطء مع فحيحهما المرعب، وهما بالطبع كاد قلبهما يتوقَّف من شدة الخوف، حاولا التماسك بصعوبة، وألا يصرخا، ثم بدأ يلتف كل واحد منهما بذيله على رجليهما، شعرا بضغط شديد إثر إحكام ذيل الثعبانين عليهما بقوة، ثم وبدون

مقدمات انطلق الثعبانان للداخل من أسفل الحائط ليقعا معًا في نفس اللحظة، ويتم جرهما بقوة وسرعة غير طبيعية إلى الداخل.

ظلا يرتطمان بالأرض وبعض الأحجار ويصرخان غير مدركيْنِ ما يحدث لهم من جنون، فقدا الوعي من شدة وكثرة الاصطدامات التي تعرضا لها.. وأغلقت الأعين وأصبحت الشاشة سوداء وساد الصمت!

3

يا للعجب لتلك النقوش والرسومات المتناثرة هنا وهناك على جميع جدران هذا المعبد، أنت الآن بداخل إحدى المعابد التي تُمارس فيها الطقوس الدينية وعبادة الإله، وعرض القضايا على الكهنة.

جدران أربعة، كل جدار عليه رسوم مختلفة عن الآخر:

الجدار الذي عن اليمين مرسوم عليه رسمة كبيرة الحجم، لرجل نائم على ظهره ومن تحته ثلاث أفاعٍ، أما الجدار الثاني رسمه أخرى كبيره أيضًا، لامرأة نائمة على بطنها ومن فوقها أربعة أفاعٍ، وأما الجدار الثالث مرسوم عليه عدة رسومات لأدوات يستعملها السحرة في أعمالهم، وأما الجدار الرابع مرسوم عليه أطفال صغار..

وبداخل المعبد في هذه اللحظة يوجد ثلاثة كهنة يمارسون بعض الشعائر الدينية، يجلس ثلاثتهم بجانب بعضهم مغلقين أعينهم، يرفعون رؤوسهم ناحية السماء، فلا يوجد سقف للمعبد.

يبدأ واحد منهم بخلع ردائه إلى أن تجرد من ثيابه كلها وأصبح عاريًا، ذهب وأحضر شيئًا يشبه السكين الحاد، أمسكها بيده اليسرى، ثم بدأ بوضعها على بطنه وجرح

نفسه من فوق سرته على شكل خط مستقيم، ثم جرح مرة أخرى على شكل خط آخر تحت سرته حتى تساويا الخطين، ألقى السكين تحت قدميه، وترك الدماء تسيل منه، وهو ما زال مغمض العينين عاريًا، بعد دقيقتين فتح عينيه وذهب لإحضار قماشة وربط بها عند مكاني الجرح، وأغلق سيل سقوط الدماء منه، بعدها ابتسم وقال:

- آمين.

من الجميل أو العجيب حقًا أن هؤلاء رجال دين يهتمون بمكان عبادتهم هذا الاهتمام الكبير، يهتمون بنظافته وأناقته وشكله الجميل المبهر الذي يرضي آلهتهم ويرضيهم، حبهم للآلهة التي يعبدونها حب خالص من قلوبهم، لا زيف فيه، هم صوت الإله الوسطاء بين آلهتهم وبين العامة من الناس، كلمتهم هي الحكم النافذ الذي لا رجوع فيه، حتى أنهم يمكنهم أن يخضعوا الملك إلى حكمهم إذا أرادوا؛ لأنهم يتكلمون بصوت الإله، هم أهم مكانة في الدولة، مقرَّبين من ملكهم بشدة، يمتلكون أموالًا طائلة، يقومون بفعل أي شيء يريدونه لا يخافون، الملك حاكم الدولة يستمع إليهم ويأخذ بمشورتهم في كل القضايا أيًّا كانت، أصبحوا هم الأسياد الحقيقين في هذا العالم، لا يفوقهم أي أحد مهما كانت درجته..

هم صوت الإله والقضاة في آن واحد، الكل يتسارع إليهم يأخذ من حكمتهم ومشورتهم وأوامرهم في القضايا التي تُعرض عليهم دائما، وقبل أن ينطق الكاهن بالحكم في القضية المعروضة عليه، يستمع أولًا إلى صوت الإله، ثم ينطق ويقول حكمه كي يكون بهذه الطريقة قد نفَّذ إرادة الآلهة، وقام بدوره كرجل دين، وحل مسألة السائل.

ما زال الرجلان الآخران جالسين في مكانهما مغمضين عينيهما، يرفعان رأسيهما إلى السماء، أما عن الثالث الذي جرح نفسه، بعدما أوقف النزيف ذهب ليرتدي ملابس الكاهن الرسمية، وهي عبارة عن قميص واسع لونه أبيض على نصف جسده من الأعلى، أما من الأسفل فيرتدي قطعة قماش سوداء تصل لتحت ركبتيه بقليل، يلفها حوله ويقوم بإحكامها بربط حبل على خصره كيلا تسقط عنه، أصلع الرأس، حافي القدمين بداخل المعبد فقط..

سمع من خادم المعبد عن وجود سائل بالخارج يريد عرض مسألته، أمر بفتح باب المعبد وقابله ليسمع شكوته ويحلها:

- اسمك وقضيتك؟

- أُدعى كريستي سيدي الكاهن، وأريد الخلاص من هذا العذاب.

- أعطني ما أريد أن أسمعه منك، وسأعطيك ما تريد أن تسمعه مني.

- زوجتي لا تحمل، طال زواجنا فترة كبيرة ونريد طفلًا.

- لن تنجب زوجتك منك، ولكن هناك طريقة.

- دلَّني عليها.

- كم عدد أحبابك الذكور المقربين؟

- ثلاثة.

- ستأخذ زوجتك إلى «بحيرة الأحبة»، وتلقيها هناك وتتركها لتغرق، ثم تدع أحبابك الثلاثة يقفزون إليها لينقذوها، سيتصارعون علي إنقاذها، ومن يحصل عليها في النهاية ويستطيع أن يغلب الاثنين الآخرين هو من سيكسبها، ويحق له أن يعطيك طفلًا.. وبعد أن تنجب تحضر الطفل لي...

كتاب أودم ص ٣٠ القانون ٥٤:

«المرأة التي لا تنجب وتريد طفلًا، يأخذها زوجها ويلقيها بداخل بحيرة الأحبة، ويدعها لتغرق، ثم ينادي على عدد أحبابه المقربين أيًّا كان عددهم، يتصارعون عليها، ومن يستطع منهم أن يتغلَّب على البقية وينقذها هو وحده في النهاية، يكون هو الوسيلة لإعطاء الزوجين الطفل الذي يريدانه».

***

غادر كريستي المعبد وذهب عند زوجته يخبرها بحل الكاهن في مسألته، وافقت بالطبع دون تردد، وهو بدوره ذهب وأخبر أصدقاءه الثلاثة المقربين، وأنه يحتاج لمساعدتهم، وتمَّ الحكم في قضيته بأمر من الكاهن، وافقوا ثم اتفقوا على يوم ينفِّذون فيها هذه الطقوس، أتى ذلك اليوم وأخذ كريستي زوجته برينا وألقاها في بحيرة الأحبة، وقفز من ورائها أصدقاؤه الثلاثة، كانت على وشك الغرق وهو خائف على زوجته أن تموت قبل أن يصل إليها أحدهم.. وظلوا هم يتصارعون ويضربون بعضهم البعض بسرعة كي يفوز واحد منهم ويذهب إليها قبل أن تغرق.

استغرق منهم الأمر خمس دقائق، إلى أن انتصر أحدهم بواسطة ضربه لهما بشدة ليجعلهما مرهقيْنِ وغير قادريْنِ

على الحركة، ذهب سريعًا إليها فأمسكها ثم أخرجها وخرج هو من بعدها.

سعد كريستي بأنها لم تمت وشكر صديقه على إنقاذها.. بعدها أخذها وذهب بها عند مكان يشبه الكوخ بجانب البحيرة، دخلا معًا وأغلق الباب خلفهما، وكريستي واقف في الخارج ينتظرهما لينتهيا، يرجو بعد انتهاء تلك التجربة أن تنجب برينا منه، وينجحا في الحصول على ابن لهما..

مرت أيام وبالفعل حملت برينا، شعرا الزوجان بسعادة كبيرة، سيصبح لديهما طفل يربيانه ويعتنيان به، طفل طالما تمنياه ورغبا فيه بشدة، انتظر كريستي فترة الحمل، وعندما انتهت وجاء يوم ميلاد ابنه، وبعد أن وُلد أخذه وذهب به إلى الكاهن كما أمره...

- هذا هو.

- الإله يريد قربانًا.

- ومن سيكون؟

- والده الحقيقي.

لم يعترض على حكم الكاهن، وذهب هو بدوره ليخبره، وافق دون تردد، ثم ذهب إلى المعبد عند مكان يسمى «

الأخذ»، وهو مكان به قطعة من الصخر مستطيلة كبيرة الحجم، يضع القربان رأسه عليها، ويقوم الخادم بقطع رأسه بالسيف بضربة واحدة، ليأخذ الإله روحه قربانًا كما أمره الكاهن بذلك.. قُطعت رأسه برضاه وقُدِّمت روحه قربانًا..

- الآن يا كريستي يمكنك المغادرة والعيش مع طفلك وزوجتك بسعادة.

كتاب أودم ص ٢٠ القانون ١٥:

«إذا أمر أحد الكهنة أي شخص بتقديم نفسه قربانًا ورفض، فسيكون مصيره الحرق حتى الموت رويدًا رويدًا.. أما إذا كنت تريد رضا الإله عنك ومحبته والعيش بسعادة في الحياة الأخرى، فستنفذ أمر الكاهن وتقدم روحك وأنت راضٍ وسعيد من داخلك»

***

بدأت الأصابع تتحرك، وبالتدريج بدأ يفيق ويستعيد وعيه ويفتح عينيه، آلام شديده يشعر بها في كل أنحاء جسده بسبب الاصطدامات التي تعرَّض لها، جلس ينظر من حوله يتفحَّص المكان، وإذا به ما زال في الصحراء!

وقف على قدميه وهو يتأوَّه من ألمٍ في رأسه؛ لأنها اصطدمت بالأرض بقوة أثناء جرِّه بفضل ذلك الثعبان، يحاول أن يفهم أين هو؟! لأن المكان هنا صحراء غير تلك الصحراء التي كان بها منذ قليل، لا توجد جبال ولا رمال، الأرض صلبة صفراء شديدة السخونة، المكان كله شديد الحرارة بصورة غير طبيعية، يبدو أن هناك كوكبين من الشمس هنا وليست شمسًا واحدة.

خلع قميصه وحقيبته ليخفِّف الحرارة عن جسده قليلًا،

تذكَّر أخاه ووجده ما زال فاقدًا للوعي، اقترب منه واطمأنَّ أنه على قيد الحياة، حاول إفاقته، أخذ بعض الوقت، ولكنه استيقظ وهو يشعر أيضًا بالألم في بعض أجزاء من جسده، ساعده عامر على النهوض وقام مصطفى بخلع قميصه أيضًا بسبب شدَّة الحرارة، شرِبا حتى ارتويَا، وبعدها جلسا على الأرض يفكران فيما حدث وكيف وأين هما الآن؟! .

- أين نحن يا عامر؟

- كما ترى في الصحراء.

- هل تقصد أننا ما زلنا في المكان الذي كنا فيه منذ قليل.

- نعم ولا، لا أعلم، ولكن انظر معي جيدًا، المكان هنا مختلف، لا توجد جبال أو رمال.

- ماذا سنفعل؟

- لا يوجد أي خيار أمامنا سوى أن نتحرك في أي اتجاه إلى أن نعثر على أحد يساعدنا.

- اللعنة! الحرارة هنا مرتفعة جدًّا!

وصل إلى آذانهم فجأة صوت قادم نحوهم ويقترب، لا يستطيعان تمييزه جيدًا، أهو حيوان ما قريب منهما؟ أم طائر في السماء يحلّق تجاههم؟ أم أنه مجرد صوت إنسان؟

ولكن لا، مع اقتراب الصوت أكثر اكتشفا أنه شيء آخر تمامًا بعيد عن كل هذا، كأنه صوت احتكاك جسم ما بالأرض مختلط بتأوّهات أناس، الصوت يقترب ولم يفهما ما هذا، وماذا سيفعلان الآن وإلى أين سيذهبان.. أصوات التأوهات مصحوبة بأصوات صراخ، ويبدو أن أمرًا ما كبيرًا على وشك الحدوث!

هناك أمام أعينهم من بعيد بدأوا يظهرون، جمعٌ كبير من الناس يسيرون ببطء، يعانون لا يحتملون، كان في المقدمة خمسة رجال، ومن خلفهم خمسة آخرون، ثم من خلفهم آخرون، وهكذا الكثيرون وراء بعضهم البعض، يمسكون جميعًا حبلًا سميكًا، ويجرُّون وراءهم صخرة كبيرة الحجم على شكل بيضة، صخرة هائلة لونها أسود، طولها تقريبًا ثلاثون مترًا أو أكثر، يجرونها بعناء كبير..

هم بشر مع اختلاف بعض الأوصاف، يمكنني أن أقول: إنهم هياكل عظمية تتحرك على الأرض، عظامهم بارزة بقوة على جلودهم ولا يوجد لحم، مَن ينظر إليهم يقول: إنهم لا يأكلون ولا يشربون إلا مرة واحدة في السنة، لا يرتدون أي ملابس غير ما يغطي عوراتهم فقط من أسفل بطونهم إلى أعلى ركبهم، جميعهم صلع، عراة الأقدام..

مَن هؤلاء؟ وماذا يحدث هنا؟ وفي أي عصر هم الآن؟

ماذا يفعلون؟ ولماذا يبدون هكذا؟ هل رجع الأخوان بالزمن إلى الوراء وهم الآن في العصر الفرعوني أم ماذا؟ أم أنهم ما زالوا في الصحراء التي كانا فيها منذ قليل وتخيَّل لهما إثر الصدمات أنهما في مكان آخر، وأن هؤلاء الناس قادمون من داخل الصحراء ذاهبون لمكان ما، أو يعملون هنا بعيدًا عن العالم لا يعلم عنهم أحد شيء، ولكن لا، هذا المكان حقًّا مختلف، عامر سيُجنُّ من التفكير، لقد تعدَّى الأمر مجرد فضول، هو بالفعل على حافة الجنون بسبب ما يراه ويعايشه في هذه اللحظات...

كان هناك شخصان هيئتهما مختلفة عن هذا الجيش الذي يتحرك بصعوبة، أحدهم يسير جهة اليمين والثاني جهة اليسار، جسديهما ضخم بخلاف الآخرين، يرتديان على رأسيهما خوذة، وفي اليد اليمنى يحمل عصا وفي اليسرى يحمل سوطًا، كلاهما عاريان ويرتديان فقط ما يشبه الشورت حتى الركبة..

من الواضح مما يفعلان ومن اختلافهما أنهما يراقبان سير هذا الحشد الضخم ويتابعان الأوضاع، بالإضافة إلى أنه كان هناك بعض الأحصنة تسير من حول هذا الحشد، فرسان أو حراس أيًّا كانوا، يمتطون الأحصنة ويلتفتون من حولهم باستمرار.

بدأ هذا المشهد كله يقترب إليهما، وكان من الغباء المخاطرة بالبقاء والمراهنة على أنهم سيتركونهما بهذه السهولة، لهذا حاول عامر فعل أي شيء سريعًا والاختباء، رأى من بعيد صخرة بحجم تلك التي خرجت من الجبل، فأمسك بيد أخيه وركضا إليها ليختبئا وراءها، ويتابعا مراقبتهما من بعيد؛ لعلهما يفهمان ما يحدث أو يتبعانهم ليريا إلى أين سيذهبون، أمَّا الآن فيركزان على الاختباء وعدم كشف أمرهما..

يسيرون بعزم وقوة، هذا إذا كانت لديهم أي قوة أو طاقة في أجسادهم من الأصل، الحبل السميك ملتف على تلك الصخرة الضخمة التي تشبه البيضة، ويخرج من عند عقدتها العديد من فروع ذلك الحبل، كل واحد منهم يمسك طرفًا ويشد إلى الأمام، يبدو أنهم يقومون بهذا العمل إجبارًا، يتجهون إلى مكان ما على الأغلب هم يعرفونه.

أما عن هذين الشخصين على الجانبين، فيبدو عليهما أنهما حارسان أو ما شابه ذلك، يراقبان هذا الجمع الكبير ويشجعونهم على الاستمرار.. الأمر برمته ضرب من الجنون بحق.. الأخوان ما زالا يراقبان وقوتهما بدأت تخور، وبدأت المياه تنفذ منهما، بالإضافة إلى أنهما لا يستطيعان تحمل أشعة الشمس أكثر من هذا، ولا يعرفان إلى أين سيذهبان،

حاول عامر أن يحصي عددهم، فهو يعرف أن بالأمام يوجد خمسة رجال، ومن ورائهم خمسة آخرون، وهكذا إلى نهاية الصخرة التي يسحبونها، أخذ بعض الوقت واستطاع معرفة عددهم، إذا لم يخطئ وأصاب الرقم فهم تقريبًا سبعمائة وخمسون (٧٥٠).

- عامر ماذا سنفعل الآن؟

وقبل أن يجيبه التقطه أحد الحارسين بعينيه ورآه! نعم رأى أحدهما عامرًا يقف خلف الصخرة، عندما أدرك خطورة الموقف تجمَّد تفكيره ولم يعرف ماذا سيفعل، فلم يكن بيده سوى الركض بعيدًا إلى أن يجد أي مخبأ، تحرَّك ذلك الحارس إليهما سريعًا، وهما بدأ في الركض بأقصى سرعتهما، لا يعلمان إلى أين، ولكن الأهم النجاة بحياتهما والاختفاء من أمام عيني ذلك الذي يركض خلفهما، وكان واضحًا عليه أنه إذا أمسك بهما فلن تكون النتيجة جيدة لهما.

ركضا بخوف شديد، وهو من ورائهم يحاول اللحاق بهما، ولا يبدو عليه الإرهاق عكسهما، رأى عامر صخرة صغيرة جدًّا على الأرض، لاحظها وهو يركض، فتوقف وأمسك بها، وبكل قوته المتبقية لديه ألقاها عليه لتصطدم برأسه بقوة، لقد أحسن وأصاب الهدف جيدًا ليجبر هو على التوقف ليوقف النزيف في رأسه، استغلَّا هما الفرصة وركضا بعيدًا

يحاولان الاختباء قبل معاودته للحاق بهما، بالفعل نجحت خطة عامر واختفيا من أمامه حتى توقَّفا ليستريحا قليلًا، شربا المتبقي معهما من الماء حتى نفذت نهائيًّا..

بعد أن شرب مصطفى وقبل أن يرجع الزجاجة إلى حقيبته وقعت من يده على الأرض بسبب ضعفه ونفاذ قواه الجسدية وإرهاقه الشديد، انحنى ليأخذها ورأى ذلك الخط المرسوم! نادى على أخيه ليريه، دقَّق عامر النظر إليه؛ لأنه كان من الصعب ملاحظته بسبب لونه الأصفر الذي هو لون الأرض نفسها، سار بجانب الخط ليصل إلى أوله ويكتشف أنه سهم يشير إلى اتجاه معين.. سهم آخر! ما قصة الأسهم التي بدأت تكثر هكذا، ولكنه علم أنها لن تخطئ أبدًا، وبالأخص عندما اكتشف في البداية السهم الأول وبسببه وصل إلى هنا الآن..

سارا في الاتجاه الذي يشير إليه السهم، ومن حسن حظِّهما لم تكن مسافة كبيرة (ما يقارب خمسة كيلو متر) عندها اكتشفا ثاني مفاجأة.. اقتربا حتى دخلا إلى ذلك المكان الذي يشبه القرية (كقرى الصعيد الريفية)، يسيران يتفحصان كل شيء تقع أعينهم عليها، بيوت قديمة متهالكة للغاية، أوصافها متقاربة من حيث حجمها وشكلها، البعض منها سليم والبعض الآخر محطَّم، القليل من الناس المتواجدين هنا،

ينظرون باندهاش إلى هذين الغريبين اللذين ظهرا فجأة، والذي يبدو واضحًا عليهما أنهما ليسا من هنا، البيوت مبنية من الطوب اللبن، وأخرى من الأحجار الضخمة، وهناك بيوت مبنية من عصى كبيرة الأحجام سميكة، الناس هنا أشكالهم أحسن حالًا ومختلفة قليلًا عن هؤلاء الذين رأياهم منذ قليل، أجسادهم أكبر بقليل، ملابسهم مقطعة غير متناسقة، يبدو عليها أنها أكلها الطير، أو تهالكت بمرور الزمن، بعضهم عرايا إلا من عوراتهم، البعض منهم صلع، الملفت هنا أكثر من كل هذا أنه كان يوجد أطفال ونساء، يعني حياة كاملة متكاملة تعاش هنا، وأي حياة هذه!

- من أنتما؟

جاء الصوت من خلفهما، فالتفتا ليجداه رجلًا يبدو عليه أنه في العقد الثالث من عمره، بالكاد يرتدي ما يغطي جسده، أصلع، بشرته سمراء، عروقه بارزة من بعض الأجزاء في ذراعيه ورجليه، يقف هكذا ينظر لهما بتعجب ويتفحصهما...

- نحن كنا نسير بالقرب من هنا، فوجدنا هذا المكان صدفة، فقلنا نأتي نلقي نظرة لعلنا نجد أحدًا يستضيفنا بعد عناء ومشقة سفر.

- كاذب أنتما غريبان عن هنا، لستما من دولة أورينتس.

فضح أمرهما واكتشف أنهما ليسا من هذا المكان، فهذا واضح عليهما من ملابسهما وشكلهما الغريب الجميل عن كل هؤلاء الناس، ما لفت انتباه عامر من كلام هذا الشخص أنه يقول لهما أنهما ليسا من الدولة التي قال اسمها، فسأله بكل تركيزه:

- ماذا تقصد بأننا غريبان؟، أين نحن بالتحديد؟

- اتبعاني.

لا يملكان أي حل آخر سوى أن يتبعاه، لعله مرشدهما ومنقذهما الوحيد هنا، وصلا إلى إحدى تلك البيوت الذي كان مبنيًّا من الطوب اللبن القديم، دخلا وهما يتفحصان الداخل، ولكن البيت فارغ لا يوجد به شيء، السقف لم يكن مكتملًا، بل يوجد نصفه فقط، الذي كان مصنوعًا من العصى السميكة المربوطة ببعض الحبال، البيت كله كان هذا المربع فقط، ما يقارب العشر أمتار في عشر أمتار، الأرض التي يقفون عليها هي أرض الصحراء نفسها من الخارج، يوجد فقط بعض قطع القماش التي كانت على هيئة فراش للنوم وبعض الأقمشة الأخرى بجانبه، والتي يبدو أنها ملابسه، دعاهما صاحب البيت للجلوس على الأرض.. فجلس ثلاثتهم:

- أنا لا أعلم من أين أتيتما أو حتى كيف، ولكن كان يجب عليكما ألَّا تأتيا أبدًا إلى هنا.

نظرا لبعضهما والخوف يكسو وجهيهما ثم عاودا النظر إليه مره ثانية:

- أنتما هنا على الأرض الثانية، وهذا من حسن حظكما.

حاول عامر أن يشرح له الأمر كاملًا.

- أنت محق أننا لسنا من هذا المكان، ولنكون صادقيْنِ معك لا نعلم كيف أتينا إلى هنا، أو كيف سنخرج، أرجو منك أن تشرح لنا كل شيء بالتفصيل.

ضحك على كلامه وهو ينظر إليه وكأنه قال مزحة:

- تخرج من هنا! ألم أقل لكما لم يكن عليكما أبدًا المجيء إلى هنا أيها الضيفان.. لا خروج من هذه الأرض أو الأرض الأولى أو الثالثة.

- لم أفهم.

- سأشرح لكما في عجالة.. رأيتما كيف تبدو شكل الحياة، بالخارج «أرض الفقراء»، أشكالنا وأوصافنا وكل شيء رأيتماه، نحن هكذا نعيش في نعيم بالنسبة لسكان الأرض الثالثة «أرض الوحل»، من يذهب إلى هناك يعني عدم عودته مرة أخرى، من يعيش هنا ربما تكون لديه فرصه للارتقاء والعيش بشكل أفضل، أقصد في الأرض الأولى « أرض

النعيم»، وهذه لا يدخلها سوى الأقوياء أو الأغنياء، أشخاص لهم أوصاف، ولديهم إمكانيات معينة، هم من يُسمح لهم فقط بدخولها، هذا شكل الحياة هنا باختصار شديد في دولة «أورينتس».

يقاطعه مصطفى:

- آسف لمقاطعتك، ولكن نريد أن نعرف كيف نخرج من هنا ونعود إلى ديارنا، نحن من سكان القاهرة.

يكمل عامر من بعده:

- هل لنا أن نتشرف بمعرفة اسمك.

- شابكتا.

- وأنا عامر وهذا أخي مصطفى، كل ما نريدك أن تفهمه أننا جئنا إلى هنا بالخطأ، ولا نعرف كيف؟ صدقني، غير أننا دخلنا إلى جبل ما لعين، وفقدنا الوعي، ولا نتذكَّر بعدها ماذا حدث...

ظل شابكتا صامتًا قليلًا يحاول فهم حديثهما الذي كان من الواضح عليه أنه لم يستطع فهم بعضه.

- انظرا أيها الأخوان، أنا لا أعرف عمَّاذا تتحدثان، ولا عن القاهرة هذه، ولا عن الجبل الذي دخلتماه، فكما قلت لكما

من المستحيل الخروج من هذه الدولة المقسمة إلى ثلاث أراضٍ، فكما أخبرتكما: الأرض الأولى: «أرض النعيم»، وهذه يعيش عليها الأغنياء والأقوياء فقط، أولهم «الملك» حاكم «أورينتس»، لديه قصره الكبير الذي يعيش فيه هو وزوجته وأبناؤه.. المرتبة التي تليه هم وزراؤه ومستشاريه، والمرتبة التي تليهم هم الكهنة «رجال الدين»، بعدهم الحراس، بعدهم الطبقة المتوسطة.. وهم آخر مرتبة، أقل قوة وغنى.. هؤلاء من يعيشون على الأرض الأولى.

الأرض الثانية «أرض الفقراء»، وهي تلك الأرض التي نحن عليها الآن، وكما رأيتماها منذ قليل ورأيتما كيف تبدو شكل الحياة فيها، وكلنا في مرتبة واحدة...

الأرض الثالثة «أرض الوحل»، وهم الذين تم نفيهم إلى هناك ليقضوا بقية حياتهم في الوحل أو الطين إلى أن يموتوا في أماكنهم، وهؤلاء يكونون هناك بسبب عقوبة تم فرضها عليهم، وهي أشد من الموت بكثير..

هذه هي الأراضي الثلاث بإيجاز، وكل فرد في الدولة لديه مهمة ليقوم بها مهما كانت نوعها، هذا إذا أراد العيش وتجاوز فرض العقوبة عليه، لا مكان هنا للضعفاء...

يحاولان فهم هذا الكلام الذي لا علاقة له بهما، لا من قريب ولا من بعيد، وبالرغم من كل ما حدث ما زالا يشعران

وكأنهما بداخل كابوس، وسيستيقظان منه في أية لحظة، ولكنهما يعلمان جيدًا من داخلهما أن كل هذه الأحداث التي مرَّا بها ليست مجرد كوابيس، بل حقيقة وواقع يعيشانه الآن، وأي واقع هذا!، أين هم بالتحديد على كوكب الأرض وفي أي عصر وكيف.. تحدث عامر وعلامات الحيرة والدهشة تملأ وجهه:

- ما هذا النظام، وكيف تعيشون بهذه الطريقة؟!

- نحن هكذا منذ القدم، والكل يعيش على طريقة الكتاب وأوامر الملك.. أما عن الكتاب فهو الكتاب المقدس: « كتاب أودم « محرم على أحد الاقتراب منه سوى الملك والكاهن الأكبر فقط، مكانه بداخل برج كبير بجانب قصر الملك، يوجد ما يقارب العشرين أو الثلاثين حارسًا حوله يحرسونه من أي ذرة تراب تقترب منه، لأهمية هذا الكتاب وقدسيته، إنه دستورنا، بداخله كل القوانين المسنونة التي شرعها الكهنة والملك، ومن يتمرد ويعصي، فإما أن يكون قربانًا للإله، أو النفي إلى «أرض الوحل»، وكل شخص على حسب مقدار الجريمة التي ارتكبها تتحدد عقوبته المناسبة، ولكن المجنون فقط هو من يعصي...

- ولماذا هذا الكتاب مهم لهذه الدرجة؟ في النهاية هو مجرد كتاب به بعض القوانين.

- لأن هذا ما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا أولا، وأوامر الملك والكاهن الأكبر ثانيًا، لا أحد غير الملك والكاهن الأكبر يمكنه الدخول إلى البرج والاقتراب من الكتاب، وهما يدخلان في حالة واحدة، (إما لتسنين قانون جديد، أو تعديل قانون سارٍ) هذا الكلام كله الذي أحدثكم عنه الكل يعرفه ليس أنا فقط، فهي أمور وتقاليد متعارف عليها عند الجميع منذ القدم، ولكن هناك أسرار لا يعرفها أحد غيري، أنا فقط من يعرفها وغير مسموح لي بالتكلم عنها، وإلا سأفقد حياتي...

- ولماذا أنت فقط؟

- لأنني في الماضي كنت أحد حراس قصر الملك قبل أن أُنفى إلى هنا.

4

أنت الآن بداخل إحدى الكهوف القديمة والخاصة التي يخاف الجميع الاقتراب منها من قسوة ما يقال عن هذه الأماكن وساكنيها، دعك من هذه العظام المتناثرة والمتآكلة هنا وهناك، ودعك من هذه الكلمات الغير مفهومة المكتوبة على تلك الجدران، ركز فقط على الطريق أمامك إلى أن تصل إلى مصدر تلك الرائحة الكريهة، فعندها يجلس الساحر الذي سيلقاه كريستي بعد عدة دقائق.

وصل إليه ووجده نائمًا على بطنه وهو يتمتم بكلمات بالكاد يسمعها من يقف بالقرب منه، لم يفعل كريستي أي شيء، وفي انتظار رد فعل منه، وفجأة خرجت صرخة عالية لامرأة في المكان تخلع القلب من مكانه، لم يعلم مصدرها أو لمن تكون، اعتقد أن هناك امرأة موجودة في المكان تألمت من شيء ما وصرخت بهذا الشكل، ظل يتلفت حوله برعب يحاول معرفة ماذا يحدث هنا، أو يحاول معرفة نوع الخطر الذي من الممكن أن يهاجمه في أي لحظة دون أن يشعر، أثناء انشغاله بخوفه والبحث بعينيه في كل ركن من حوله، وجد ذلك الساحر فجأة يقف أمامه مباشرة، تخرج منه تلك الرائحة التي يمكنها أن توقظ الموتى من قبورهم.. فتح فمه البشع وقال بصوت مقبض:

- أنت جريء لكي تأتي إلى مكاني، سبب زيارتك؟

- الملك أخذ مني ابني، وأريد استعادته منه ومعاقبته.

- يجب أن تقدم في المقابل خمسة قرابين لي، والأهم أن يكونوا من أهل بيت الملك.

- وكيف سأفعل ذلك؟

- سأخبرك.

***

- ماذا تقصد بأنك كنت من حراس الملك؟

- افترى أحدهم عليَّ وبسببه تجردت من وظيفتي، ونُفيت إلى هنا.

- ماذا حدث؟

وقبل أن يجيبه سمعوا بالخارج أصوات لأشخاص يصرخون وأطفال تبكي، أشار لهما بأن يلتزما الصمت وألَّا يتحركا من مكانهما، ولا يذهبا إلى الخارج مهما حدث، يبدو من طريقة تحذيره الجادة هذه أن الوضع بالخارج خطير جدًّا، وأن هناك شيئًا كبيرًا على وشك الحدوث، نهض شابكتا وفتح الباب برفق، وقبل أن يخرج أكَّد عليهما بألَّا يذهبا إلى أي مكان، ويبقيا في مكانهما حتى يعود إليهما..

خرج وأغلق الباب وراءه، والفضول يأكلهما.. لم يستطع عامر أن يمنع نفسه من أن يترك ما يجري بالخارج، فذهب ليفتح الباب مسافة صغيرة جدًّا ليرى فقط بعينٍ واحدة، ورأى.. الكل مجتمعون بجانب بعضهم، جالسون على الأرض، يشعرون بخوف شديد، منهم من يبكون، وهناك من النساء من تحتضن أطفالها وتحاول تخبئته وحمايته، من حولهم كانوا يسير أشخاص آخرون مختلفون، كالذي كان يركض وراء عامر وأخيه، كانوا ثلاثة يسيرون حول تجمع هؤلاء الناس المساكين، بيدِ كلٍّ واحد منهم عصا غليظة يحركونها من فوق رؤوس الجالسين، وكأنهم يلعبون معهم لعبة ما، تكلم أحدهم:

- كما تعلمون جميعًا أيها الفقراء أن اليوم هو الموعد لاختيار من سيذهب إلى الأرض الثالثة إذا لم ينهي عمله، فليظهر الثلاثة المكلفون سابقًا القيام بالعمل الذين كُلِّفوا به.

نهض من بين الجالسين ثلاثة رجال قصيرو القامة، أجسادهم عارية، يرتدون ما يغطي عوراتهم حتى تحت الركبة، وحول رقابهم سلسلة وكأنهم كلاب، اقتربوا منه وركعوا أمامه وتكلم أوسطهم:

- لم نستطع اللحاق، هناك بعض الأعمال التي لم ننته منها بعد.

- اعذرني أيها الفقير، أنت تعرف القوانين، ليس بيدي ما يمكنني فعله لكم.

نهض ثلاثتهم وهم يبكون وينظرون إلى الجالسين بنظرات وداع وحزن، واحد منهم ذهب إلى امرأة وطفل يحتضنهما وهم يبكيان عليه كثيرًا، والطفل يصرخ، نهض الجميع، وتكلم الحارس بصوت عال:

- غدًا سنأتي لاختيار من يكمل العمل.

غادر الحراس ومعهم هؤلاء الثلاثة المساكين يسيرون أمامهم، والحزن واليأس يملأ وجوههم، رأى عامر صديقنا شابكتا عائدًا إلى منزله، فأغلق الباب وعاد إلى مكانه سريعًا ممسكًا يد أخيه يطمئنه بأن كل شيء على ما يرام، عاد إليهم ليكمل جلسته معهم:

- أمور تحدث معنا دائمًا، اعتدنا عليها.

- ماذا حدث بالخارج؟

- لا تشغلا بالكما.

لم يستطع عامر كتمان الأمر بداخله، فتكلم بكل وضوح:

- لقد رأيت كل ما حدث، أريد منك أن تشرح لي ماذا يحدث هنا.

- ما كان عليك أن ترى، ولكن لا بأس سأخبركما.. هؤلاء حراس من الأرض الأولى، يأتون بين الحين والآخر، ليتابعوا سير الأعمال هنا وتنفيذها من عدمها، وهل من تم اختيارهم من قبلُ للعمل على صنع «الرموز» أنهوا عملهم أم لا؟ مَن أنهى عمله قبل الوقت المعلوم ينجو، وربما لو أبدع في إتقان عمله تكون لديه فرصه للارتقاء والعيش في أرض النعيم، أما مَن لم يستطع إنهاء العمل قبل أوانه كالثلاثة الذين رأيتهم منذ قليل، فيتم نفيهم إلى أرض الوحل، يقضون بقية حياتهم في الوحل حتى الموت، الملك فقط من يستطيع إنقاذهم من هناك، وهذا بالطبع مستحيل ولا يحدث...

مصطفى يستمع لما يقال غير مصدق ما تسمعه أذناه، فتساءل والخوف يسيطر على وجهه:

- أهذا حقيقي؟ هذه هي طريقة حياتكم هنا؟

- نعم.

حاول عامر تهدئته وبدون كذب، هو أيضًا شعر بخوف ممَّا سمعه، ولا يعلم كيف سينجو هو وأخيه من كل هذا، فتساءل وهو يأمل أن يسمع ما يريحه:

- ونحن ما وضعنا؟ ماذا سنفعل الآن وأين سنذهب؟

- آجلًا أو عاجلًا سيتم فضح أمركما، لا مفرَّ من هذا، هي فقط مسألة وقت، وسيسمع الحراس بوجود أغراب في المكان، أفضل اقتراح هو أن تسلما أنفسكما، وتتقبلا بمصيركما مهما كان.

- نسلم أنفسنا! هل جننت؟ ربما يقتلوننا أو يرمون بنا في الوحل، نحن لسنا من هنا، ولا نعلم كيف أتينا إلى هذا المكان اللعين، ولا دخل لنا بحياتكم الغريبة هذه.

- كان عليكما التفكير في هذا من قبل، قبل أن تدعا فضولكما يأتي بكما إلى هنا، ما قلته هو أنسب حل صدقاني، والاختيار لكما.

لو كنتَ أنت مكانهما ماذا كنت ستفعل؟ من أين ستبدأ وكيف ستفكّر في طريق العودة؟ هل تقبل بأن تقضي بقية حياتك هنا؟ هذا إذا نجحت بالبقاء على قيد الحياة بعد كل ما قيل.. هما الآن في حيرة من أمرهما لا يعلمان ماذا يفعلان!! يلعنان اللحظة التي وقفا فيها أمام ذلك الجبل، وكل ما قاما به من أشياء غبية حتى وصلا إلى هذه النقطة التي لا رجوع منها.

عامر يلوم نفسه بشدة على ما فعله في نفسه وبأخيه، وبالأخص أخاه الذي حذَّره كثيرًا وطلب منه الرجوع والكفَّ عن البحث وراء هذه الأمور، ولكنه كعادته لم يستمع له، وسار

خلف حماقاته وجرَّ أخاه المسكين معه إلى هذا الهلاك، بسبب غباء وفضول وتصرفات عامر هما الآن هنا، وكأنهما حُشرا في مكان ما ولا يستطيعان الخروج منه أبدًا مهما فعلا..

لم يستطع الأخوان النطق بأي كلمة، وظلا هكذا جالسين حزينين يفكران في حالهما، وإلى ما وصلا إليه، شابكتا ينظر إليهما ولا يعلم ماذا يقول لهما، ولا كيف يساعدهما، عاجز هو الآخر مثلهما...

أثناء هذا السكوت المميت سمعا صوتًا عاليًا قادمًا من الخارج من بعيد، كان صوت نفخ في بوق، استمر صوت البوق خمس مرات، ثم عاد الصمت من جديد ليخترقه هذه المرة صوت عامر، وهو يتساءل:

- ما ذلك الصوت؟

- صوت النداء.. اليوم يوجد احتفال في قصر الملك للترحيب والتكريم والتشريف بالمولود الجديد ابن الملك، يقام هذا اليوم من كل عام مرة واحدة، يحضر الجميع إلى هناك للاحتفال، بالإضافة إلى أن ذلك اليوم مميز جدًّا من ناحية أنه يسمح بعبور أهل الأرض الثانية إلى الأرض الأولى بدون مقابل، لحضور الاحتفال، وبعدها في نهاية اليوم يرجعون من حيث أتوا، هذا يوم عيد بالنسبة لأهل أرض الفقراء؛ لأنهم في ذلك اليوم يشربون ويأكلون ويحتفلون

ويفعلون ما يشاءون بدون أي قيود، يرون في ذلك اليوم ما لم يستطيعوا رؤيته طيلة حياتهم على أرضهم، أما بالنسبة لأهل الأرض الأولى، فهذا اليوم بالنسبة لهم كأي يوم آخر.

- أهذه مصادفة أم ماذا! لماذا وصلنا إلى هنا تزامنًا مع هذا اليوم خصيصًا؟

- لا أعرف، ولكنه أمر جيد، يمكنكما أن تأتيا معنا متخفيين، وتريان كل شيء بأنفسكما هناك، ربما هذا قد يساعدكما على اتخاذ قراركما.

انتظر عامر قليلًا يفكّر وهو ينظر لأخيه، يشعر بندم شديد على الحال التي أوصله إليها، تائه لا يعرف ماذا يفعل؟ ومن أين سيبدأ؟ وماذا ستكون نتائج أفعاله مهما كانت؟! فقال له في النهاية:

- حسنًا سنأتي معك، كيف سنخفي أنفسنا؟

ذهب شابكتا عند تلك الأقمشة الملقاة هناك، وقام بإلقاء النظر عليها كلها وهو يقيس بعضها بذراعيه، إلى أن اختار قطعتين قماش، إحداها لونها أخضر، والثانية سوداء، بعدها أعطى لكل منهما قطعةً وطلب منهما ارتداءها على رأسيهما، ففعلا ما قاله، ثم قام هو ببعض التعديلات كي يقوم بإخفاء ملامحهما بقدر الإمكان، كيلا يكشفهما أحد، بالإضافة إلى

أنهما سيكونان وسط الكثير من الناس مختلطين بهم، فمن الصعب أن يتعرف عليهما أي أحد بسهولة..

خطر على عقل عامر سؤال:

- عند قدومنا هنا رآنا أغلب مَن في المكان، لماذا لم يبلغ أحد عن وجودنا أو لماذا أنت تساعدنا؟

- الحياة التي نعيشها صعبة لدرجة ألا ننشغل بغيرنا، أو نضر أي أحد مهما كان، ستفهم معنى كلامي جيدًا إذا عشت معنا فترة ورأيت حالنا، نحن قوم مسالمون لا تقلق.

سأل مصطفى هذه المرة:

- وماذا سنفعل هناك في الاحتفال؟

- لا شيء، ستأكلان وتشربان وتشاهدان كيف تبدو الحياة هناك.

- نحن مستعدان، لنذهب لذلك الاحتفال.

***

تحت ضوء القمر يسير الآلاف من الناس، يسيرون ببطء وانتظام في الصحراء بين أصوات الذئاب، وهناك العديد من الحراس يسيرون معهم يراقبون هذا الجمع الكبير، يتهامسون فيما بينهم، منهم من يبتسم، ومنهم من يضحك،

هناك من تحمل طفلها بين ذراعيها، وهناك من يضع ذراعه على امرأة بجانبه، وهناك من يمسكون بأيدي بعضهم البعض، جميعهم متوجهون إلى الاحتفال الكبير.. هل تأتي معي بعينيك إلى هذا الطرف ناحية الشمال قليلًا، نعم اقترب معي اقترب أكثر، دقِّق النظر وسترى شابكتا وبجانبه اثنان يغطيان رأسيهما.. فتكلم أحدهما بصوت منخفض وكان صوت عامر:

- نحن نسير منذ ساعتين متى سنصل؟

- بقي القليل.

- من أين ظهر كل هؤلاء الناس فجأة هكذا!، لم يكن كل هذا العدد موجودًا في مكانك.

- وهل تظن أننا القرية الوحيدة في الأرض الثانية، نحن ما يقارب الأربعين قرية متفرقون.

- ماذا؟!

- كما ترى بنفسك.

أخذوا ما يقارب ساعة أخرى حتى وصل هذا الحشد الضخم في النهاية إلى الأرض الأولى.. الرحلة كلها استغرقت ثلاث ساعات، توقَّف الجميع عن السير فجأة، فحاول عامر

وأخوه النظر للأمام ليريا ما يحدث.. كانت هناك بوابة حديدية ضخمة مغلقة، كالتي تشبه بوابات القصور قديمًا، ولكنها ضخمة، لونها أصفر، مصنوعة بشكل احترافي مذهل يخطف الأبصار.. قطع تركيزهما صوت شابكتا:

- يقومون ببعض الإجراءات عند البوابة، ثم سيفتحون ليدخل الجميع.

- أي إجراءات؟

- الحراس الذين كانوا يسيرون بجانبنا يعطون تقريرهم عنا إلى الحراس في الداخل.

انتظر الجميع خمس عشرة دقيقة، ثم سمعوا صوت فتح البوابة مع صوت النفخ في البوق.. بدأوا يتحركون ويدخلون الواحد تلو الآخر، مع اقتراب الأخوين إلى البوابة تزداد ضربات قلبهما خوفًا من أن يلاحظهما أحدهم ويلقي القبض عليهم وتنتهي رحلتهم عند هذا الحد، فحاول شابكتا تهدئتهما وهو يشير إليهما بذراعيه بأن يهدآ، وأن كل شيء سيكون على ما يرام.

يقتربان وها هما قد أوشكا على الدخول، كان يوجد عند جانبي البوابة من الأعلى حارسان يمسك كل واحد في يديه قوسًا وسهمًا يراقبان دخول الجميع، وفي الأسفل كان يوجد

عند الجانبين أيضًا حارسان يمسك كل واحد منهم سوطًا وعصًا غليظة بيديه، كان يوجد في أعلى البوابة نيران مشتعلة لتضيء المكان، بقي القليل وأوشكا على العبور، ثم دخلوا بسلام في النهاية، ولم يلاحظ أحد عليهما أي شيء، تنفَّسا الصعداء، ثم ابتسم لهما شابكتا وقال:

- ألم أقل لكما أن كل شيء سيكون على ما يرام، مرحبًا بكما في أرض النعيم.

***

مرحبًا بك أنت بداخل قصر الملك، سآخذك في جولة قصيرة داخل القصر، ثم سنخرج بعدها سريعًا.. الجدران كما ترى مزخرفة ومرسوم عليها العديد من الرسومات المختلفة والجميلة، هناك رسومات لبعض الأطفال حديثي الولادة، وهناك رسومات لرجال يرتدون تاجًا على رؤوسهم، وهناك رسومات لنساء يرتدين حول رقابهم سلاسل مختلفة الأشكال، والمكان كله مليء بهذه النوعيات من الرسوم..

في أعلى الجدران توجد الكثير من الشعلات النارية تضيء المكان بقوة، نحن الآن بداخل ممر طويل في الدور الأول، تعال معي عند تلك الغرفة، إنها غرفة الملك وزوجته.. هما الآن في الداخل يتحدثان وهما حزينان.

الملك رجل ضخم الجسد، يرتدي بنطال قماش لونه أبيض، وعلى جسده قميص لونه أصفر ذهبي، يصل طوله إلى تحت ركبتيه، يذكرني هذا الأسلوب في ارتداء الملابس بطريقة الهنود، يضع تاجًا على رأسه مع خروج بعض خصيلات الشعر البيضاء الصغيرة من أسفل التاج في الأمام عند جبينه، يرتدي العديد من الخواتم الذهبية في أصابعه، ويرتدي حذاء أنيقًا لونه أبيض، يبدو من هيئة وجهه تلك مع هذه التجاعيد البسيطة أنه تجاوز الأربعين أو يقترب من الخمسين..

زوجته ترتدي فستانًا لونه أخضر يلمع من كل جزء فيه مع بروز بعض الأجزاء من جسدها على الفستان، ترتدي حول رقبتها سلسلة ذهبية جميلة، في نهايتها معلق بها شيء مصنوع على شكل طفل رضيع، هي جزء من السلسلة، ومصنوع معها من الذهب.. تضع العديد من الأساور الذهبية حول معصمها، وترتدي أيضًا العديد من الخواتم الذهبية، وترتدي حذاء جميلًا لونه أخضر كلون الفستان.. إنها «رومانا»، أعلم أنها امرأة جميلة ومثيرة، سأحاول أن أصفها وأتمنى ألَّا أنسى شيئًا فيها وأظلمها، فهي من أجمل النساء في أورينتس.

هناك أنواع من أجسام النساء كل نوع له اسم خاص، ولكن رومانا جمعت بين أكثر من نوع، فهي تأخذ من نوع يدعى

«الساعة الرملية المثالية»، تتمتع في هذا النوع بتناسق مثالي في جسدها، تتمتع بخصر نحيف، وصدر بارز، وأكتاف متناسقة مع حجمها، وتأخذ من نوع آخر يدعى «الساعة الرملية الممتلئة»، تتمتع بأرداف وصدر ممتلئين، وتأخذ من نوع ثالث يدعى «الإجاصة»، تتمتع فيه بوزن زائد في منطقة المؤخرة، جسد كامل مغر من كل جزء فيه، من يراها مجرد نظرة يقع في غرامها وفي حب كل شيء منها..

ماذا تفعل؟ لا تنظر إليها هكذا كثيرًا كيلا يكتشف الملك أنك تنظر لزوجته ويقتلك، أبعد ناظريك عنها.. يضع الملك يده اليمنى على ظهرها، يحاول تهدئتها ويحثها على أن تكف عن الحزن والبكاء.. دعنا نخرج من تلك الغرفة، فلقد ارتفعت درجة الحرارة فيها فجأة بدون سبب، ونذهب إلى الغرفة المجاورة لهما.. حيث يوجد بها العديد من الأطفال الصغار النائمين، كانوا ما يقارب العشرين طفلًا، أعمارهم تتراوح ما بين السنتين والعشر سنين، كل واحد منهم نائم على فراش خاص به.. في غرفة أخرى كان يأتي صوت صراخ لطفل رضيع، فخرجا يركضان نحوه ودخلا تلك الغرفة، وحملت الأم طفلها الرضيع الذي يبدو أن احتفال اليوم مقام على شرفه.

في الدور الأرضي كانت توجد مائدة طعام كبيرة، وحولها

العديد من الكراسي، وفي ركن ما بداخل هذا المكان الواسع يوجد عرش الملك الذي يستحق أن يقال لصانعه أنه أفضل صانع موجود على وجه الأرض، الكرسي أو هذا العرش طوله كان مترين ونصف، عرضه نصف متر أو أقل، مصنوع من الحديد، ذهبي اللون، يوجد عليه العديد من الرسوم الصغيرة على أشكال تاج وسيوف.. من الخارج تأتي أصوت الاحتفالات والصراخ والضحك، يبدو أن الاحتفال بدأ..

***

يسير عامر ومصطفى في طرقات الأرض الأولى يتفحصان معالم هذا المكان الذي لا يدخله أي أحد بسهولة كما يقال، العديد من المباني العالية، كل مبنى لا يقل عدد أدوراه عن عشرة أدوار، ألوانهم مختلفة، هناك صف من المباني لونه أزرق، وهناك صف آخر لونه أخضر، وآخر لونه أسود، والعديد من الصفوف بألوان مختلفة، كما يوجد أيضًا حدائق صغيرة جميلة المنظر بداخلها العديد من الأشجار والورود، وأيضًا توجد مبان غريبة الهيئة في بنائها، عرفا فيما بعد أن تلك هي المعابد ودور العبادة ومكان حل القضايا، المكان بالطبع كبير جدًا، يبدو أنه لا نهاية له مع وجود كل هذه الأشياء هنا.. ما زال الجميع يسيرون ناحية القصر، وهما مندهشان غير مصدقين ما يريانه.. قاطع تعجبهم صوت شابكتا:

- ما رأيكم؟

تكلم كلاهما معًا بصوت واحد وهما يبتسمان:

- مذهل حقًّا.

كان يسير في الطرقات من جانبهم العديد من الأحصنة على ظهورها يركب الحراس وهم يراقبون المكان ويحرسونه، وينظرون لكل من يسير.. بدأت أصوات الاحتفالات والصخب تصل إلى آذانهم مع اقترابهم للقصر تدريجيًّا، ظهر باب آخر ذهبي اللون ضخم أمام عينيهما، اقتربا منه، وبدأ الجميع بالدخول بانتظام وهدوء، دخل الأخوان وشاهدا الكل يأكلون ويشربون ويضحكون، وهناك أيضًا من يقبلون بعضهم البعض أمام الجميع، على مسافة عشرين مترا كان يوجد قصر الملك، لا يحتاجان إلى أحد ليخبرهما بأن ذلك هو القصر، فشكله كفيل بأن يتحدث عنه، لن أطيل في وصفه ولكن كل ما سأقوله أن هذا القصر ومن أبحاث عامر السابقة ومعرفته بهذه الأشياء قليلًا، كان مبنيًّا على الطراز الألماني، لا تسأل كيف، ولكنه حقًّا كان هكذا، فخم ومبهر بشكل لا يوصف، كبير الحجم بشكل مذهل، يغلب عليه اللونان الأبيض والأزرق.. بجانبه كان يوجد برج طويل للغاية بطوله تقريبًا لونه أسود، إنه بلا شك ذلك البرج الذي يوجد بداخله «كتاب أودم»، قاطعهما صوت شابكتا مرة

أخرى:

- هل تأكلان شيئًا أو تشربان؟

أجابا بالموافقة السريعة، وطلب منهما بأن يتبعاه، سارا وسط هذا الحشد العظيم حتى وصلا إلى مكان كبير يوجد على أرضه الكثير والكثير من الأطعمة على أشكال وألوان مختلفة، أغلبها كان من اللحوم، والباقي خضروات وفواكه من كل الأصناف، جلس ثلاثتهم وقال لهم شابكتا:

- هيا تناولا وخذا ما تريدان واملآ بطنيكما حتى تشبعا، اليوم نحن نعيش في الجنة وغدًا نعود إلى الجحيم.

- أنا لا أصدق ما تراه عيناي، ما هذا المكان!!

- ألم أخبركما أنها أرض مميزة ومختلفة.

- ليت كان معي كاميرا وقمت بتصوير كل هذا.

- ما الكاميرا؟

- لا شيء لا تهتم، نريد أن نشرب، من الخوف والاندهاش الذي نحن فيه نسينا أننا لم نشرب منذ وقت كبير.

- لو تريدان أخذ أي طعام معكما خذاه وتعاليا معي.

قاما بالفعل بتعبئة القليل من الفواكه وقطع اللحم بداخل

ملابسهما، وأمسكا البعض في يديهما يأكلانه في طريقهما، حتى وصلا إلى مكان آخر واسع به بحيرة ماء، به العديد من الأكواب الصغيرة المصنوعة من الفخار، الكثير منها ملقى بداخل بحيرة الماء هذه، أمسك شابكتا واحده ملأها ثم شرب، وبعدها قاما هما بفعل نفس الأمر، وأخذ كل واحد منهما كوبًا ملأه ثم شربا حتى الشبع.. طعم الماء كان مختلفًا قليلا عن الذي يشربانه عادة، لكنه جيد لا بأس به.

قال شابكتا:

- للأسف هذا النعيم ليوم واحد فقط، ألم أقل لكما أن هذا اليوم بالنسبة لنا عيد، ننتظره بفارغ الصبر كل سنة، ومن حظكما أنكما أتيتما في هذا اليوم.

قاطعه عامر:

- من حظنا!!، تقصد من سوء حظنا، بعد كل ما أخبرتنا به من الممكن أن نموت هنا، لابد أن نجد طريقة للهروب والعودة إلى وطننا في أسرع وقت.

وقبل أن يجيبه للمرة الثانية.. سمعا صوت نفخ البوق من جديد خمس مرات، تسارع كل من في المكان يركضون ويلقون ما في أيديهم ويتخذ كل واحد منهم مكانًا يقف فيه، ينظمون أنفسهم في صفوف، يدور كل هذا بسرعة مع متابعة

الحراس لهم في المكان..

خطر على عقل عامر أن يذهب إلى الأمام ويقترب إلى القصر بقدر الإمكان ليشاهد كل شيء بالتفصيل، ويسمع كل ما سيقال بكل وضوح.. أمسك بيد أخيه وركضا إلى الأمام وسط تحركات الجميع، لاحظ شابكتا فعلتهما فركض وراءهما هو الآخر كيلا يرتكبا أي حماقة ويتم الإمساك بهما، وصلا عند نقطة قريبة من القصر لا بأس بها ووقفا، لكن لم يستطع عامر أن يقف بجانب أخيه من كثرة الزحام واصطدام الناس ببعضهم، فوقف مصطفى في صف أمامه ناحية اليمين، وشابكتا خلفهما بصفين.. إلى أن استقر الجميع في أماكنهم.

بعدها بدأ باب القصر يفتح ببطء حتى فتح على مصراعيه ليخرج العديد من الحراس من الداخل يقفون في صف واحد بجانب بعضهم ثابتين.. بعدها خرج الملك وزوجته يحملان طفلهما وهما يبتسمان، رفع الملك طفله إلى الأعلى أمامهم، وبدأت الطبول تقرع من مكان ما بقوةٍ وعلى إيقاع منتظم، فبدأ الجميع يصرخون بصوت عال من السعادة، ثم أنزل الطفل وسكت الجميع، وتوقف قرع الطبول.. خرج رجل آخر من الداخل ووقف بجانب الملك.. يرتدي رداءً أسود قطعة واحدة يغطي جسده من رأسه حتى قدميه، أخذ الطفل منه

ووضع يده على رأسه قليلا، ثم أعطاه إلى أمه.. نفخ البوق مرة واحدة، ثم بدأ هذا الرجل بالتحدث..

«أهلا بكم شعب أوربنتس العظيم.. اليوم كما تعلمون جميعًا يوم خاص جدًّا ومميز.. فاليوم أتى إلى عالمنا مولود جديد من نسل الملك «كاسياسي» العظيم، وهو الابن الواحد والعشرون، ونحن اجتمعنا اليوم مثلما نفعل مرة من كل عام للاحتفال على شرف ابن الملك وببركة الإله.. استمتعوا بوقتكم هذه الليلة.. دمتم بخير».

أنهى حديثه القصير ثم عاد من حيث أتى ومن خلفه الملك وزوجته وأُغلق الباب، والحراس ما زالوا يقفون في أماكنهم دون تحرك.. تحرك الجميع وعادوا كما كانوا يأكلون ويشربون ويفعلون ما يفعلون.. اقترب الأخوان من بعضهما وأتى إليهما شابكتا سريعًا وهو يوبخهما:

- في المرة القادمة لا تتصرفا بحماقة هكذا، ولا تفعلا أي شيء قبل أن تخبراني، كان من الممكن أن يُكتشف أمركما.

قال له عامر وهو يضحك:

- لا تقلق نحن بخير، كنت أريد فقط مشاهدة وسماع كل ما يحدث من قرب، من كان الذي يتحدث، وكيف سمعه كل هؤلاء الناس؟

- إنه الكاهن الأكبر «بتاري» الذراع الأيمن للملك، يسكن في القصر، له مكان خاص به وحده، وبالنسبة لحديثه، فمن سمع يخبر من لم يسمع.. وفي الأساس الجميع يعرف ماذا سيقال، فهذه ليست المرة الأولى التي يقام فيها هذا الاحتفال.

- والآن ماذا سنفعل؟

- نبقى حتى ينتهي الاحتفال وبعدها نعود ونفكر ماذا ستفعلان؟! لنذهب نأكل ونشرب مرة أخرى، فنحن لا نرى هذا كل يوم.

إذا نظرت إلى القصر في الأعلى عند الدور الأول عند تلك النافذة، سترى جمالًا وإغراء يقف ينظر لكل هؤلاء الناس، فرومانا تقف تنظر إليهم وعلى وجهها الحزن يغلفها، الحزن والدموع لا مكان لهما على وجه كهذا، ولا على شفتين عريضتين منتفختين كهذه، ولا على عيون جذابة مثيرة كهذه، ولا على بشرة ناعمة كهذه، لم يخلق هذا الوجه بكل تفاصيله المختلفة المميزة كي يحزن ويبكي، هذا ظلم في حقها، بالإضافة إلى شعرها الحرير الأملس الذي بطول ظهرها كله، نصفه كان أبيض نعم، ولكن هذا لا يعيبه، ولا يعيب قوام جسدها المثير ولا شبابها.. لماذا تقف وهي حزينة في يوم كهذا؟

قبل أن يتحرك مصطفى وقعت من داخل ملابسه تفاحة

على الأرض كان قد خبَّأها، فنزل ليلتقطها، وبدون قصد صدَمه أحدهم ليقع على ظهره ويكشف وجهه أمام الجميع، ركض عامر إليه سريعًا ليغطي رأسه قبل أن يراه أحد، سحبه من على الأرض بسرعة وأخذه وذهبا، لربما رأى أحد الحراس وجهه...

دعني أخبرك هنا بأمر صغير.. الكل هنا في هذه الدولة أشكالهم متقاربة جدًّا في الأوصاف، إما أن تكون أصلع، أو لديك القليل من الشعيرات في رأسك، أما عن ملامح الوجه فهي أيضا متقاربة، فالأغلبية تبدوا على ملامحهم الجهد والإرهاق الشديد من كثرة ما يرونه من مشقة وعذاب، لون بشرتهم واحدة، أما بالنسبة لعامر ومصطفى، فلقد كانا لديهما شعر أسود كبير وناعم، ملامحهما مختلفة ومميزة عن الجميع هنا، بشرتهما بيضاء غير هؤلاء أصحاب البشرات السوداء والبنية الغامقة.. مختصر الكلام يمكنك أن تخرج عامرًا ومصطفى من وسط مليون من بين هؤلاء الناس بكل سهولة، وهذه كانت هي الكارثة الكبرى!!

ذهب ثلاثتهم عند مكان الأطعمة، اطمأنوا أن لا أحد يتبعهم أو علم بوجودهم، شعر مصطفى بالعطش فجأة، فأخبر أخاه أنه سيذهب وحده يشرب ويعود إليه سريعًا، كان لا يريده أن يذهب وحده، ولكنه أصر كثيرًا وأن لا داعي بأن يأتي معه

ولن يتأخر عليه.. فطمأنه شابكتا أيضًا بأن لا بأس في ذهابه وحده.. المكان ليس خطيرًا هذه الليلة على الأقل...

- هل تتذكر مكان البحيرة؟

- نعم.

غادر وعينه لم تسقط من عليه حتى اختفى وسط هذا التجمهر الضخم...

- لا تقلق سيعود، تناول طعامك.

بعد قليل من الوقت بدأ الجميع يتحركون تدريجيًّا عند نقطة ما، لاحظ عامر وشابكتا تحركهم فسارا معهم ليريا ماذا يحدث؟ بدأ الخوف يسري في جسد عامر عندما علم أن الاتجاه الذي يسير فيه يؤدي إلى البحيرة، أي: عند أخيه، أسرع من خطواته لأنه لم يطمئن أبدًا لما يحدث، وصل ووجد حارسين يقفان هناك يمسكان مصطفى ووجهه مكشوف أمام الجميع، تجمَّد في مكانه من الصدمة لعدة ثوان:

- من أنت أيها الغريب؟

- ماذا تريدان مني؟

- ستأتي معنا.

حاول عامر الركض واللحاق به وهو ينادي عليه، ولكن أمسكه شابكتا من الخلف بقوة ووضع يده على فمه وثبته جيدًا وقام بسحبه إلى الخلف قبل أن يكتشف أحد أمره هو الآخر.. أخذ الحارسان مصطفى ودخلوا به إلى القصر وأقفل الباب من خلفهم، بصعوبة أخرج شابكتا عامرًا من المكان ووقفا في ركن ما بعيد عن الجميع، وبدأ يتكلم بكل غضب وعيناه يملأهما الغضب...

- لماذا أوقفتني لقد أخذوا أخي، الملاعين أخذوا أخي لماذاااا؟

- اهدأ ولا تصرخ سيسمعنا أحد.

- لا يهمني أي أحد، أقول لك لقد أخذوا أخي من الممكن أن يقتلوه.

- لا تصرخ واسمعني جيدًا، كنت مجبرًا أن أفعل بك هذا، نعم لقد أخذوه، ولكن من الغباء أن تذهب وتسلم نفسك لهم هكذا على طبق من ذهب، هذا انتحار.

- لا يهمني أي شيء، ماذا تنتظر مني أن أفعل، أشاهدهم يأخذونه وأقف أتابع هذا من بعيد دون فعل شيء.

- أنا لا أقول هذا، أقصد أن تتصرف بذكاء أكثر كيلا يمسكوا بك، ولو فعلوا لن تقدر على فعل أي شيء وقتها.

- وماذا تقترح أن أفعل، أتركهم يقتلون أخي؟

- لن يقتلوه، طالما أخذوه إلى القصر فلن يموت.

- ولماذا أنت متأكد لهذه الدرجة؟

- لأنهم أخذوه إلى القصر، ومن خلال تجربتي السابقة من عملي كحارس في الماضي، فإنهم بالتأكيد يريدون منه شيء.

- ماذا سيريدون من أخي؟

- الكثير، فهو غريب ولا ينتمي إلى هذه الدولة، سيسألونه الكثير من الأسئلة، ولهذا السبب لن يقتلوه، ثق بي.

- كيف عرفوا بأمره؟ سأجن.

- عندما وقع وسقط الغطاء من على رأسه، بالتأكيد رآه أحدهم وأبلغ عنه.

- ألم تقل لي من قبل أن الجميع يكفيه ما يعانيه في حياته، ولا يتدخل في حياة غيره ولا يؤذيه.

- نعم هذا صحيح ولكن..... يجب أن نغادر هذا المكان سريعًا، هناك شيء ما سيء على وشك الحدوث لا وقت لدينا.

- إلى أين؟ لا تتوقع مني أن أغادر وأترك أخي هنا أليس كذلك؟

- قلت لك لن نستطيع فعل أي شيء له الآن، يجب أن نغادر ونفكر جيدًا فيما سنفعل وكيف سننقذه.

اضطر عامر أن يسكت ونظر إلى الأرض وهو يبكي، والدموع تنهمر من عينيه، ولا يعلم ماذا سيفعل، وما حركته القادمة، لأول مرة يكون عاجزًا إلى هذه الدرجة، ولا يستطيع مساعدة أخيه الوحيد، ثم بدأ يثرثر مع نفسه:

- أنا السبب في كل هذا، أنا من أتيت به إلى هنا، لقد حذَّرني كثيرًا، ولكني لم أستمع له، وها هم قد أخذوه بسببي وربما يقتلوه.

5

بعد مرور ستة أشهر من وقت ميلاد مينالي ابن كريستي، طلب الكاهن استدعاءه إلى المعبد، اندهش في البداية لأن هذه الأمور غير معتادة عادة من الكهنة، بعد أن ذهب إليه لم يصدق ما قاله له:

- الملك يريد رؤيتك أنت وعائلتك.

الملك بنفسه من طلب هذا! معروف أن الملك لا يقابل أحدًا من عامة الشعب، فمن أين يعرف عن كريستي؟ ولماذا يريد مقابلته؟ فهم مجرد عائلة بسيطة في حالهم من بين ملايين العائلات.

في اليوم التالي ذهب هو وأسرته إلى القصر، دخل لأول مرة ولم يكن يصدق نفسه أنه بداخل قصر الملك، تقدم قليلًا حتى وجده يجلس على عرشه، وبجانبه تقف رومانا في انتظارهما:

- سيكون لك ما تريد من الأموال والبيوت والأراضي إذا وافقت على طلبي.

هذه كانت بداية حديث الملك، عرضه المغري هذا صدم كريستي جدًا، فسأله بكل فضول:

- ما هو أمرك سيدي الملك؟

- تعطيني مينالي مقابل أن أعطي لك طفلًا آخر! وأي شيء تريده مما سبق.

- ولماذا هذا؟

- لأن زوجتي هي من أرادت، كل مسألة تعرض على الكهنة ويكون موضوعها إنجاب طفل نعلم بأمرها.

- اعذرني على طريقتي في الكلام، ولكن ما أعلمه أن لديك الكثير من الأولاد.

- هذا أمر لا يعنيك، نحن نريده لأسباب خاصة، بالإضافة إلى أنني سأعطيك طفلًا من عندي مقابل له، وأي شيء آخر تريده، في النهاية فهذا ليس ابنك الحقيقي.

شعر كريستي ببعض الغضب، ثم نظر إلى برينا، فهزت رأسها بالرفض وهي حزينة.

- آسف سيدي، لا أستطيع أن أعطيه لك، فزوجتي ستحزن كثيرًا إذا فعلت هذا بها.

تغيرت ملامح كاسياسي إلى الجدية أكثر وقام من على الكرسي، وقال بنبرة حادة بكل كبرياء ملك:

- بصفتي ملكك آمرك أن تترك الطفل.

تحرك حارسان وذهبا إليه وأخذا مينالي من برينا وهي تبكي عليه بشدة، وليس في يد كريستي فعل أي شيء، أعطى الحارسان الطفل إلى كاسياسي، فأخذه وأعطاه لرومانا، ولم يقبلا كريستي وبرينا بأي طفل أو بأي شيء آخر، غادرا مجبرين وعادا لبيتهما وهما في غاية الحزن على فقدان ابنهما.. فقدا طفلهما الذي عانيا كثيرًا كي يحصلا عليه بكل الطرق، والآن ذهب ولا يوجد أمل لرجوعه، فذهب كريستي مرة أخرى إلى الكاهن وأخبره بما حدث معه...

- لا يمكنني فعل شيء لك، ما يريده الملك يأخذه، من يستطيع الوقوف أمامه؟ لا أحد.

- وماذا سأفعل أنا، أنت تعلم جيدًا كم عانينا لكي نحصل عليه وبماذا ضحيت في سبيله.

- كما تعلم جيدًا، الملك في تراثنا هو بمثابة ابن الإله، وكلمته فوق الجميع لا يعلو عليه أحد، انس مينالي فلن يعود لكم مرة أخرى، أما بالنسبة لو أردت أن تنجب زوجتك مرة أخرى فأنت تعرف كيف.

عاد لزوجته فاقد الأمل، الأمر بالنسبة له يمكن أن يمر وينسى ما حدث، أما بالنسبة لبرينا فلا يستطيع أن يراها وهي بهذا الحزن الشديد، فلم تكن لديه النية أبدًا أن يظل

صامتًا دون فعل شيء، ففكر بأن يسلك طريق الانتقام وليحدث ما يحدث، لن تهمه النتائج مهما كانت، لو كانت الحرب فهي الحرب إذًا...

***

عاد عامر وشابكتا في تلك الليلة إلى الأرض الثانية، لم يكن هو في وعيه، وكان طيلة الوقت غاضبًا لا يستطيع تمالك نفسه، يركل ويحطم أي شيء يأتي في طريقه، يصرخ ويضرب بيديه على الجدران، يريد تدمير العالم وقتل كل من يفكر في إيذاء أخيه، ومن الواضح أنه لن يهدأ حتى ينقذه...

- اهدأ لن يفيدك كل هذا الغضب.

- إياك أن تطلب مني الهدوء.

- حسنا لا تهدأ، ولكن الغضب لن يفيدك، عليك أن تركز قليلًا كي تستطيع التفكير.

- دعك من هذا وأخبرني كيف سننقذ أخي؟

- رأيت بنفسك أنه من الصعب الدخول إلى الأرض الأولى، ولو نجحت بالدخول فلن تستطيع التحرك بحرية؛ لأن الحراس لن يتركوك وشأنك حتى يمسكوا بك، وعندما يفعلون فأنت ميت.

- أنت حتى الآن لم تخبرني كيف سنأخذه منهم، لا يهمني كل هذا الهراء.

- سنضع معا خطة في منتهى الخطورة.

- سأفعل أي شيء لأنقذه ولو كان الثمن حياتي.

***

في اليوم التالي اجتمع الناس وجلسوا جميعهم على الأرض كالمرة السابقة؛ لأنه سيتم اختيار ثلاثة رجال ليكملوا عمل صنع الرموز، جاء حارسان على الأحصنة، وظلا ينظران إلى جميع الرجال الموجودين، الاختيار عشوائي ولهم مطلق الحرية في اختيار أي أحد، المهم أن يتم إنهاء العمل في الوقت المحدد.. نادى حارس على أحدهم من وسط الجالسين، ونادى الحارس الآخر على رجل آخر، جاء الرجلان ووقفا أمام الحارسين ينظران إليهما كي يسمعا جيدًا المهمة التي سيقومان بها، لو أرادا العيش ولا يتم نفيهم إلى «أرض الوحل»..

تكلم أحدهما:

- مطلوب منكما صنع اثني عشر رمزًا خلال يومين.

نظرا إلى الأرض وقالا بصوت واحد:

- سنفعل.

ركبا الحصانين وانطلق كلاهما مغادرين المكان، وقبل أن يخرجا من القرية، انقض عليهما من الخلف فجأة رجلان وأفقداهما وعيهما، ثم قاما بخلع ملابسهما وربطهما وأخفياهما في مكان بعيد عن أعين الناس، بعدها ارتديا ملابس الحراس وركبا الحصانين وانطلقا في طريقهما..

- هل أنت مستعد يا عامر؟

- لا أريد تضييع الوقت أكثر.

انطلق كل منهما متخفيين يتوجهان إلى «أرض النعيم».. نعم هي خطة مجنونة وفيها مخاطرة كبيرة، ولكن لم يكن بيديهما فعل أي شيء آخر، فكان هذا هو الحل الوحيد لدخولهما إلى هناك، وبعدها سيقررا ماذا سيفعلان وكيف سيدخلان القصر؟

- لماذا تساعدني يا شابكتا؟

- هل أقول لك الحقيقة أم أكذب؟

- الحقيقة أفضل.

- لدي حساب شخصي أريد إنهاءه مع أحد العاملين في قصر الملك.

- أتقصد مسألة طردك ونفيك إلى هنا.

- أجل هذه المسألة.

- أخبرني ماذا حدث، الرحلة ما زالت في بدايتها.

- بالطبع ولم لا، ما حدث هو.....

***

أثناء تلك اللحظات وقبل وصولهما، كان هناك جيش كبير يسير ناحية الأرض الأولى، إنه نفس الحشد الذي كان يجر تلك الصخرة الضخمة الذي صادف وأن رآهما عامر ومصطفى، منذ تلك اللحظة وحتى الآن ما زالوا يسيرون حتى وصلوا بالقرب من أرض النعيم وتوقفوا عن الحركة.. ثم ترك كل واحد منهم طرف الحبل الذي كان يمسكه وجلس على الأرض يستريح.. الحارس الذي ركض خلف الأخوين من قبل، ذهب عند البوابة وتكلم مع أحدهم، ثم فتح الباب بعد دقائق وخرج من الداخل الكثير من الحراس يحملون الطعام والشراب، ذهبوا عندهم وألقوها عليهم، أخذ كل واحد منهم ما استطاع التقاطه وبدأوا جميعا يأكلون بنهمٍ شديد ويشربون حتى عادت إليهم طاقتهم من جديد..

وقف أمامهم حارس وقال بصوت عال:

- اليوم سترتاحون في أماكنكم وغدًا ستبدؤون العمل.

عاد الحراس إلى الداخل وبقي بعضهم يراقبونهم، أكلوا وناموا في أماكنهم والإرهاق يسيطر عليهم، وتحتل الآلام من أجسادهم، فلقد كانت رحلة شاقة، وما زال ينتظرهم غدًا عمل صعب..

***

حل ظلام الليل وكان عامر وشابكتا قد وصلا، يقفان بعيدًا يراقبان المكان جيدًا قبل الدخول، رأى عامر الكثير من الناس نيامًا على الأرض حول صخرة كبيرة الحجم هائلة، فتذكر أنهم هم نفس من رآهم في البداية، فسأل شابكتا عن هؤلاء وماذا يفعلون...

- إنهم العبيد، هؤلاء مهمتهم نقل الصخور الضخمة والعمل عليها، ليصنعوا رمزًا كبيرًا على شكل الملك.. حياتهم صعبة للغاية، فهم لا يأكلون أو يشربون كثيرًا، فقط كل فترة وأخرى لتشحن أجسادهم ببعض الطاقة التي تكفيهم للعمل فقط.. يمكنك أن تعتبرها عقوبة وعملًا لهم في نفس الوقت، ففي كل الأحوال هم أفضل بكثير من حال أهل الأرض الثالثة الذي لن تتمنى أن تراهم أبدًا.

- لا وقت لدي للاندهاش مما تقوله والسؤال عنه، على كل

حال لنركّز على مهمتنا، كيف سندخل؟

- سندخل وكأننا الحارسان الذيْنِ أخذنا ثيابهما، من الأفضل أن يصدقا لعبتنا الصغيرة هذه.

تحركا واقتربا من البوابة وهم يضعان على رأسيهما الخوذة كما هو حال باقي الحراس هنا، وقفا أمامها ثم قال شابكتا بصوت عال وهو ينظر إلى الحارسين اللذين يقفان في الأعلى على جانبي البوابة:

- افتحوا البوابة.

لم يشك أحد فيهما؛ لأنه وبكل بساطة وبدون أي تعقيدات أو تفكير، لن يخطر على بال أي أحد أن يتنكر شخص آخر بزي حارس بدلًا عنه، فتح الباب ودخلا ومرا بسلام، تابعا سيرهما ووصلا إلى نقطة بعيدة عن أعين الجميع وتوقفا ليقررا ماذا سيفعلان في خطوتهما القادمة.. فقال عامر:

- الآن ماذا؟

- سنحاول الوصول إلى القصر.

- وبعد أن نصل؟

- فلندعُ أن يسمحوا لنا بالدخول وتنطلي عليهم خطتنا

***

نهض الكاهن من على الأرض بعد أن أنهى طقوسه الدينية، ثم ارتدى ملابسه وتوجَّه إلى رمز ضخم أكبر منه بقليل، على شكل رجل، وقف أمامه قليلًا وأغمض عينيه، وبدأ يتمتم في سرِّه بعض الكلمات ثم قال: آمين، بصوت مسموع، انتهى والتفت ذاهبًا إلى غرفة في المعبد، دخلها ووجد فيها ثلاثة رجال جالسين على الأرض، ومن خلفهم يقف حارسان، وقف أمامهم وأمرهم بالوقوف، وبدأ بسؤال أولهم:

- هل تعرف أنك ارتكبت جريمة؟

- نعم أعرف.

- إذًا دعني أسمع اعترافك.

- أعترف بأنني أخذت متعمدًا حصة زائدة من الماء في اليوم السابق.

كتاب أودم ص ٤٠ القانون ٦٥:

«لكل شخص من موظفي أرض النعيم.. حصة خمسة عشر كوبًا من الماء في اليوم.. ومن يأخذ متعمدًا زيادة عن حصته يعاقب بالعقاب المناسب الذي يحكم به الكاهن».

***

هناك طائفة من الموظفين يعملون في وظائف مختلفة، هم أقل طبقة على الأرض الأولى، منهم من يعمل في حسابات الدولة وميزانيتها ووضع الخطط المناسبة لها، ومنهم من يعمل في الهندسة والبناء (من ناحية التوجيه والرسم)، ومنهم من يعمل في الخدمات الطبية، ومن يعمل في النشاطات الرياضية المختلفة، وهكذا في مختلف المجالات.. هؤلاء الموظفون كلهم لا يُسمح لهم في اليوم بأخذ حصة من الماء تزيد على الخمسة عشر كوبًا.. ومن يخالف ذلك يعاقب بما يراه الكاهن مناسبًا...

- لقد ارتكبت جريمة وستعاقب بالنفي إلى أرض الفقراء.

ثم نظر الكاهن إلى الشخص الثاني وسأله:

- وأنت هل تعرف أنك ارتكبت جريمة أيضًا؟

- نعم سيدي الكاهن.

- أسمعني اعترافك.

- أعترف أنني قمت باغتصاب فتاة، وفعلت بها ما لا ترضاه، وألحقت بها الأذى.

كتاب أودم ص ٢٢ القانون ٢٣:

«من يغتصب أي عذراء بأي فعل ولو كان بالملامسة البسيطة.. يُنفى إلى الأرض الثالثة.. وتأخذ من اغتصبت تعويضًا عادلًا من الدولة عن الأضرار التي لحقت بها».

***

- ستذهب إلى أرض الوحل.

بعدها نظر إلى الثالث وسأله:

- وأنت أيضًا.

- نعم سيدي لقد ارتكبت جريمة كبيرة.

- اعترف بها.

- أعترف أنني سرقت المال من صديق موظف يعمل معي في نفس الإدارة التي نعمل فيها معًا.

كتاب أودم ص ٢٥ القانون ٢٧:

«من يسرق أي شيء من أي شخص بدون رضاه أو خفية في السر.. تقطع رأسه ليكون عبرة لكل من تسول له نفسه بأن يسرق من غيره.. ولا يفكر في أن يتعدى على غيره بأي شكل كان».

***

- بعد قليل ستذهب إلى مكان «الأخذ» وستقطع رأسك.

أنهى الكاهن جلسته معهم، ثم خرج خارج المعبد وذهب ليقف في مكان الأخذ، وأتي من ورائه حارس يمسك ذلك الشخص الذي سرق، أتى به ووضع رأسه على حجر قطع الرؤوس، رفع الحارس سيفه إلى الأعلى وبضربة واحده كانت رأسه على الأرض.. ثم أتي حارس آخر وهو يمسك من اغتصب، فأمره بأن يذهب به الآن إلى الأرض الثالثة، ويلقوا به بداخل الوحل كي يبدأ عقابه ويموت ببطء.. ثم أتى حارس ثالث يمسك مَن أخذ حصة زائدة من الماء، فأمره بأن يذهب به من فوره إلى أرض الفقراء، ويجرده من ثياب الموظفين، ويعطيه قطعتين من ملابس الفقراء، ويأخذ منه لقبه وكل المزايا التي كانت ممنوحه له، ويلقي به هناك ويتأقلم هو بنفسه مع الفقراء.. إما أن يكافح للعيش معهم، أو يرتكب خطأ مرة أخرى ويموت...

ذهب الجميع كما أمرهم الكاهن، ثم عاد ودخل إلى المعبد، ووقف عند مكان صغير به بعض المياه بداخل شيء يشبه حوضًا صغيرًا به كوب صغير من الفخار، فخلع ملابسه كلها، وأخذ تلك الآلة الحادة وجرح فوق سرته بخط صغير، ثم ضمد جرحه، وأخذ كوب الماء الموجود بداخل الحوض، ملأه وغسل نفسه من رأسه إلى قدميه، بعدها ارتدى ملابسه وذهب ليقف أمام الرمز مرة أخرى يتمتم بكلمات كما فعل منذ قليل، وبعدها قال بصوت مسموع:

- آمين.

***

الرمز: هو كالتمثال.. يصنعونه كي يرمزون به إلى الإله الذين يعبدونه.. يصنعون منه الكثير.. مع كل واحد هذا التمثال يحمله معه في كل مكان وفي بيته.. يضعه أمامه ويكلمه عندما يكون في ضائقة أو يطلب شيئًا أو يدعو

***

يجلس كريستي ينظر إلى الساحر الذي كان نائما على بطنه يتمتم، أنهى ما كان يفعله ثم نظر إلى عيني كريستي قائلا:

- سنقتحم القصر.

- كيف؟

- دع هذا الأمر لي، مهمتك أنت هي عند لحظة دخولنا تذهب وتحضر لي خمسة أطفال من أبنائه.

- ربما يقتلني أحد الحراس قبل أن أفعل هذا.

- هذا متوقف عليك، إما أن تحضر لي الخمسة أطفال وعندها تستعيد ابنك أو لا، وفي كلتا الحالتين أستطيع النجاة بنفسي، أما أنت فلا أعدك.

***

في طريق ذهابهما إلى القصر كان عامر يتأمل المكان بكل تفاصيله، وينظر للمرة الثانية للمباني والمعابد والحدائق الصغيرة المتواجدة بكل مكان من حوله، مكان جميل ومنظم بشكل مذهل، فسأل رفيق رحلته:

- لماذا كل صف من هذه المباني بلون مختلف، أهناك سر وراء هذا؟

- لا، بل كل صف من تلك المباني يسكن فيها أشخاص معينين، فعلى سبيل المثال صف المباني الأسود يسكن فيه الكهنة، والصف الأحمر يسكن فيه الحراس، والصف الأخضر يسكن فيه موظفو الهندسة والبناء، والأزرق يسكن فيه باقي

الموظفين على اختلاف وظائفهم، وهكذا، ولا يحق لأحد أن يسكن في مكان لا ينتمي إليه، وإلا يعاقب.

- والمعابد؟ مكان للعبادة!

- نعم، المعابد هي الأماكن الخاصة بالكهنة «رجال الدين»، فهم الأقوى في السلطة بعد الملك، بل في بعض الأحيان تكون كلمتهم فوق الملك؛ لما لهم من قوة وسلطة من عند الإله، فهم صوت الإله، يحكمون بين الناس في مختلف القضايا، يصدرون الأحكام، ولا يحق لأحد الطعن عليها بأي شكل أو التشكيك فيها، ينظرون كافة المنازعات بكل أشكالها، ويستمعون للخصوم وعرض مشاكلهم، ثم يصدرون الحكم في النهاية، لا يستطيع الملك اتخاذ أي قرار في الدولة دون الرجوع إليهم أولًا ثم يرجع بعدها إلى مستشاريه، وفي النهاية يذهب إلى الكاهن الأكبر «بتاري» للتصديق على القرار ليصبح نهائيًا وساري المفعول في الدولة لينتج أثاره على الجميع..

بالطبع الملك له سلطة في النهاية في الموافقة على القرار أو عدم قبوله، ولكن كما أخبرتك، لا يستطيع فعل شيء بمفرده يخالف إرادة الإله، لذا ينتظر حكم الكهنة أولًا وبعدها الكاهن الأكبر.. هذا إذا كان الأمر متعلقًا باتخاذ قرار مهم في الدولة يمس المصالح الاقتصادية أو السياسية، أو تعيين

كاهن أو وزير أو مستشار، أو عزل أحدهم، أو اتخاذ قرار بناء أي شيء يفيد الصالح العام..

أما إذا كان من القرارات البسيطة التي لا تحتاج لكل هذا الاهتمام والمراقبة.. فيستطيع الكاهن اتخاذها بنفسه دون الرجوع إلى أحد، أو يستطيع الملك اتخاذ أي قرار خاص به أو بأسرته بعيدًا عن أي أحد، وكذلك كل وزير في الدولة يستطيع اتخاذ القرار بمفرده دون الرجوع إلى أحد، في مجال اختصاصه فقط دون أن يتعداه.

فوزير الأمن منوط به القيام بالإشراف واتخاذ القرارات المناسبة المتعلقة بأمن الدولة بأراضيها الثلاث، وأيضًا المتعلقة بالحراس من تعيين أو عزل أحدهم لمخالفة صدرت منه أو عقوبته، وكل هذه الأمور، ولا يستطيع أي أحد التدخل في أعمال وزير الأمن وإلا أصبح معتديًا على منصب غيره، ويستحق التوبيخ والتأديب والعقاب من الملك..

وكذلك وزير المال، هو وحده المختص باتخاذ القرارات المتعلقة بميزانية الدولة وإصداراتها وإيراداتها وخطة اقتصاد الدولة وما حدث في السنة الماضية وماذا يخططون لفعله في السنة المقبلة.. كل واحد في مجال وظيفته دون أن يتعدَّى ويدخل في اختصاص غيره.. أما الكاهن الأكبر «بتاري» فهو ذراع الملك، مهمته حكم الدولة في غياب أو

مرض الملك، وهي ظروف استثنائية نادرًا ما تحدث، وهو أيضًا صاحب التصديق النهائي على بعض القرارات قبل سريانها على عامة الشعب، ويسكن في القصر..

- فهمت، وذلك البرج الذي بجانب القصر هو الذي بداخله ذلك الكتاب الذي حدَّثتني عنه، أليس كذلك؟

- بلى، هذا البرج يحرسه أكثر من ثلاثين حارسًا من الخارج بطول القصر، لا يدخله سوى الملك والكاهن الأكبر فقط، وهذا في حالات تقنين قانون جديد أو تعديل قانون قديم، هذا الكتاب موجود منذ آلاف السنين، لا يعرف أحد ما المكتوب بداخله أو كيف يبدو شكله، أو حتى كيف يبدو شكل البرج من الداخل، من يقترب من ذلك البرج يُقتل من فوره.. نحن نعرف القوانين والعادات من خلال آبائنا وأجدادنا، فنحن وُلدنا على هذه التقاليد ووجدناهم يقومون بها، فتعلمناها من أسلافنا، وهكذا استمر الأمر على مدار السنين، لا يسأل أحد ما هذا القانون أو كيف يحدث أو لماذا؟ فقط يجب عليك السمع والطاعة، وإذا عصيت فلا مفر لك من العقاب..

- أمر محير! لماذا هذا الكتاب مهم جدًّا لهذه الدرجة؟ أشكُّ أن هناك سرًّا آخر وراء هذا الأمر.

- نحن لا نفكّر بهذه الأمور أو ماذا يخفون أو ماذا يفعلون؟

كل ما يشغل بالنا طيلة الوقت هو العمل، وكيفية النجاة بحياتنا بقدر الإمكان.

- هذا طبيعي، فحياتكم صعبة بالفعل، وهل تعرف في أي عصر نحن، أو في أي مكان على كوكب الأرض؟

- لا أحد يعرف، لكن اسم دولتنا هو «أورينتس».

- معلومة صغيرة أفضل من لا شيء.

- أوشكنا على الوصول فلتستعد.

***

كان هناك العديد من الحراس أمام باب القصر الخارجي وبأيديهم العصي والسهام، والجميع على أهبة الاستعداد لأي ظرف مفاجئ، يقتربان والقلق بدأ يسيطر عليهما، أشار شابكتا بيده إلى عامر بأن يهدأ ويتابع سيره بهدوء، أوشكا على الاقتراب، لم يشك أي أحد فيهما حتى هذه اللحظة أن كل شيء يسير على ما يرام، وصلا عند الباب فسألهما أحدهم من الداخل:

- ماذا تريدان؟ العدد بالداخل مكتمل.

تكلم شابكتا وقال بنبرة جادة:

- نحمل رسالة إلى الملك من أحد أصدقائنا من الأرض

الثالثة.

- اخلعا خوذتكما!!

هنا ينتهى كل شيء، فبمجرد الكشف عن وجههما وبالأخص عامر، سيقبض عليهما، وربما يقتلان في مكانهما في الحال، لا يستطيعان رفض الأمر وإلا سيشكون فيهما وينتهي أيضًا في هذه الحالة كل شيء، لم يخطر على بال شابكتا أن يطلب منهما هذا الطلب المفاجئ، فمن الطبيعي أن جميع الحراس يثقون في بعضهم البعض، ومن الصعب أن يتنكر أحد غريب بزي حارس وهو ليس حارسًا، ولكن في النهاية هذا أمر طبيعي بالتأكيد، فهم سيدخلان عند الملك، ولابد من مراعاة جميع الإجراءات الأمنية واتخاذ كافة التدابير الاحترازية، ولو لم يكن هناك حتى أي شك..

في هذه اللحظة بالقرب من القصر من ناحية الشمال كان يقترب رجلان ليسا من الحراس هما أيضًا، إنهما الساحر وكريستي، كانا يتنكران بزي حارسين أيضًا، هل الجميع أغبياء هنا أم الثقة بينهم زائدة عن الطبيعي، المهم بدآ يقتربان من القصر، ووقفا خلف عامر وشابكتا يراقبان ما يحدث..

أشار الساحر لكريستي بأن لا يتحرك، وهو تقدَّم إلى الأمام وهو مغلق العينين، ثم رفع ذراعه الأيسر إلى السماء وكفٌّ

يده مفتوح ثم أغلق كفه، وبعدها بدأ يحصل في المكان شيء غير طبيعي، من السماء كانت هناك عاصفة أو سحابة من الدخان الأسود قادمة إليهم جميعًا، كانت تصدر صوتًا مرعبًا وهي تهبط على رؤوس الجميع، نظر عامر خلفه سريعًا ليكتشف ماذا يحدث، ليجد رجلًا يقف خلفه بالتحديد، ثم نظر فوق رأسه إلى السماء ليجد دخانًا أسود كثيفًا قادمًا ناحيتهم، لم يفهم ما هذا.. فصرخ شابكتا فيه سريعًا:

- عامر، اهرب هذا سحر عمل أحد السحرة، هناك ساحر موجود قريب منا.

- سحر؟

- أجل هيا بسرعة.

بدأ الحراس يركضون ويتخبطون ببعضهم البعض وهم فزعون، من الواضح أن الجميع يعلم نوع الخطر القادم إليهم، ولا يوجد في أيديهم ما يفعلوه ليوقفوه، صرخ أحدهم قائلا:

- سحر أسود فليهرب الجميع.

استمع عامر لتحذيره وهربا من المكان وهو لا يفهم لماذا حدث هذا فجأة! اقتربت عاصفة الدخان الأسود والتفت على كل من في المكان، كل من يلمسه الدخان يسقط على الأرض في مكانه، لا تعلم هل مات أم فقد الوعي؟ بدأ الجميع

يسقطون الواحد تلو الآخر، والساحر خلع الخوذة من على رأسه وهو ينظر إليهم جميعًا مبتسمًا..

عامر وشابكتا نجحا بالهروب من المكان، ويقفان الآن بعيدًا يشاهدان هذا الجنون الذي يحدث أمامهما، ذلك الدخان الأسود الذي يلتف حول الجميع كالأفعى التي تلتف حول جسد فريستها تخنقها حتى الموت، هذا ما كان يحدث، قال شابكتا:

- هذا سحر أسود لو أمسكك ستموت.

- لا أفهم، لماذا ومن؟

- لا أعلم ولكن هناك ساحر في المكان يقوم بهذه الألاعيب، يبدو أن هدفه الأساسي هو الملك.

- أخي في الداخل، لا أستطيع الاختباء هنا دون فعل شيء.

- سننتظر فتح الباب وبعدها نرى، على الأقل نعرف شكل الساحر.

- أخي في الداخل ولا أعلم بأي حال هو الآن، وأنت تقول لي ساحر وسحر أسود!!

شعر بالغضب أكثر ولم يعد يستطيع أن يطيق الانتظار،

فلم يكن بيديه سوى متابعة ما يحدث والتحرك في الوقت المناسب، بدأت أعداد الحراس تقل في المكان ولم يتبق الكثير منهم وأوشكوا جميعًا على الانتهاء، في وسط كل ما يحدث، كان أحدهم يتحرك بحصانه متوجهًا إلى البوابة الخارجية، رفع ذراعه الأيسر تجاه الدخان الذي يطير في الهواء ويقضي على كل من يراه في طريقه، جاءت ووقفت فوق رأسه ثم حرك ذراعه تجاه الباب وتحرك معه الدخان وغلَّف الباب كله حتى أصبح باللون الأسود، ثوان وأصبح الباب رمادًا على الأرض وكأنه احترق، ولكن حدث هذا الاحتراق في طرفة عين، مات كل من كان في المكان واختفى ذلك الدخان في الهواء فجأة كما ظهر فجأة.. اقترب منه كريستي ووقف بجانبه، ليدخلا هما الاثنان معًا متوجهينِ إلى القصر، ويبدو أن هناك حدثًا كبيرًا سيئًا على وشك الحدوث بعد عدة دقائق قادمة..

6

خرج عامر وشابكتا من مخبئهما ليشاهدا بعينيهما عددً كبيرًا من الجثث ملقى على الأرض، تحركا من بين كل هؤلاء الأموات، ولا أحد حتى الآن يصدق ما حدث منذ قليل، أخذ عامر عصا من على الأرض وخبأها بداخل ملابسه، ثم رأى شيئًا كالسكين حادة أخذها وخبأها هي الأخرى، وفعل شابكتا نفس الأمر، يحاولان تأمين أنفسهما لربما يضطران أن يقاتلا في أي لحظة، ما زال ذلك الساحر وكريستي يسيران في الأمام، أما هما فقد عبرا من عند مدخل البوابة التي تحولت لرماد أسود، دخلا ولم يكن هناك أحد في المكان، المنطقة كلها هادئة، اقتربا ووقفا ينظران ماذا سيفعل الساحر هذه المرة...

نزل الساحر من على ظهر الحصان وذهب ليقف أمام باب القصر، وفجأة فتح الباب وحده على مصراعيه ودخل بكل هدوء ومن خلفه صاحبه، ركض عامر ليدخل هو الآخر ولكن أقفل الباب سريعًا ولم يستطع اللحاق.. وقفا هما في الخارج يحاولان فتح الباب ولكن بلا فائدة.. رأى نافذة صغيرة الحجم عن اليمين فتوجه إليها ورأى الداخل جيدا، فرأى ذلك الساحر وكريستي يقفان بدون فعل شيء ولم يأت أحد بعد لاستقبالهما، أشار الساحر لكريستي ناحية السلم، فركض

إليه وصعد إلى الأعلى وبعد دقائق قليلة جاء ومعه خمسة أطفال، ثلاثة أطفال صغار يحملهم واثنان يمشيان، أحضرهم ووضعهم أمامه على الأرض، وفي تلك اللحظة نزل من على السلم كاسياسي وورومانا يركضان سريعًا، لابد أنهما أدركا ما يحدث الآن، وقفا فزعين أمام الساحر مما يحدث بداخل قصرهما غير مدركين لماذا وكيف.. فلاحظ الملك أن الذي يقف بجانب الساحر هو كريستي الذي أخذ منه طفله في السابق، فتكلم بكل غضب:

- ماذا تفعلان هنا وكيف تجرؤان على اقتحام قصري أنا؟

ضحك الساحر وقال له:

- دعني أعرفك على نفسي في البداية، أنا «حور» الساحر الذي لا مثيل له، نعم أنا معجب بنفسي قليلًا، ليس غرورًا ولا كبرياء، بل ثقة كبيرة في نفسي، والآن دعك من كبريائك الغبي هذا وأخبرني لماذا أخذت ابن هذا الرجل؟

- وما شأنك، أنا ملك الدولة وأفعل ما أشاء.

- لا لن تفعل ما تشاء، لا تظن لأنك الملك أنك هربت من العقاب على أفعالك، ولن يستطيع أحد معاقبتك.

- أنسيت أيها الساحر نص القانون في « كتاب أودم «؟

- لا لم أنسه ولا تقلق أنا لم آت هنا لأجلك.

كتاب أودم ص ٢ القانون ٤:

«أي ساحر يستخدم قدراته للاعتداء على الملك أو قتله.. ينقلب عليه جميع سحرة الدولة ويقتلونه».

***

- إذًا لماذا أتيت؟

- لآخذ منك ابن هذا الرجل الذي يقف بجانبي.

- حقًّا! وكيف ستفعل هذا؟

- هكذا.

ظهر نفس الدخان الأسود فجأة في المكان، ووقف أمام الخمسة أطفال ليخرج من داخله كائن قصير القامة لا تظهر منه أي ملامح، يمسك بيده اليمنى سيفًا ضخمًا يرفعه إلى الأعلى فوق رؤوسهم، فصرخ الملك وزوجته وهما يستنجدان به أن يتوقف، فصرخ فيهم كريستي قائلًا:

- أنتما اللذان بدأتما، أنتما من أخذتما مني ابني، فلتتحملا نتيجة أفعالكما.

ونزل السيف بقوة على أعناق الأطفال الخمسة لتنفصل الرؤوس عن الأجساد بضربة واحدة، بعدها خرج من المكان صوت صرخة كبيرة لامرأة صمت الأذن، لدرجة أن كل من

في المكان وضع يديه على كلتي أذنيه يتألم من شدة قوة تلك الصرخة، إلا الساحر.. ظل واقفًا يضحك لما يحدث ويستمتع بصوت الصرخة، وكأنها موسيقى هادئة بالنسبة له، عاد الكائن إلى داخل الدخان وبعدها اختفت فجأة كما اختفى صوت الصرخة، جثث الأطفال مقطعة الرؤوس تسيل منها الدماء، لا تريد أن تراهم على هذا الوصف أبدًا، وقعت رومانا على الأرض تبكي، والملك يقف مصدومًا لما حدث جامدًا لا يستطيع الحراك لا يدري ماذا يفعل.. أما عامر في الخارج ما زال يتابع كل ما يحدث غير مصدق لما تراه عيناه.. تكلَّم الساحر «حور» موجهًا كلامه له:

- أنا لا أعرف لماذا تخطف أبناء الآخرين كرهًا بالرغم من تشابههم جميعًا في الأوصاف!! ربما أنت شخص مريض أو غير عاقل وزوجتك كذلك، ولكن ما أعرفه جيدًا أنك تفعل شيئًا ما خبيثًا جدًّا ولا تريد لأحد أن يعرفه، لهذا أنا مطمئن على نفسي، ولن تستطيع الرد على ما حدث هنا الليلة.

ينظر إليه بكل غضب دون النطق بكلمة، أثناء كل هذا كان هناك طفل رضيع يطير في الهواء قادم من الأعلى ناحية كريستي، وصل إليه واستقر بين ذراعيه، فحضنه بشدة وهو يبكي:

- بُني مينالي، ستسعد أمك جدًّا برؤيتك.

التفت حور وكريستي ليغادرا.. فلقد تمت المهمة التي قدما من أجلها واستعادا ابنه في النهاية، وفي مقابل كل هذا قتل خمسة أطفال أبرياء بطريقة شيطانية بشعة، اختبأ عامر فور رؤيتهما يخرجان، ظل يراقبهما حتى اختفيا عن الأنظار، ثم تحرك سريعًا ليدخل قبل أن يقفل باب القصر مرة أخرى، وتبعه شابكتا ركضًا، دخل الاثنان ووقفا أمام الملك الذي كان ما زال يقف منهارًا ممَّا حدث، ورومانا ما زالت تجلس على الأرض تبكي بشدة، نظر إليهما كاسياسي ليفاجأ من شكل عامر الغريب، لم يعطه عامر فرصة للتكلم، فقال له بكل غضبه:

- أين أخي؟

نظرت رومانا إليه وهي مندهشة قليلًا أو معجبة به لا تفهم، وهو ينظر إليه نظرات تدل على أنه يفهم معنى سؤاله جيدًا، ثم نظر إلى شابكتا نظرات الشخص الذي يريد تذكر شيئًا ما، يحاول أن يتذكر أين رآه من قبل، فبالطبع يعرفه؛ لأنه كان يعمل هنا في الماضي، عاد بنظره إلى عامر وقال:

- من أنت؟

- ليس لدي وقت لهذا، سأكرِّر سؤالي مرة أخرى وأخيرة، أين أخي؟

لم يجب، بل رومانا هي من أجابته قائلة:

- لا تقلق أخوك هنا.

نظر عامر إليها سريعًا، ثم تجمد للحظات ينظر إليها لا يصدق ما تراه عيناه من جمال، لم يلاحظها عندما دخل، ثم بدأ يتفحص بعينيه كل جزء فيها، لا يحتمل ما يراه من كل هذه الأشياء المذهلة فيها المبهرة للعيون الخاطفة للأبصار، لم يترك شيئًا فيها إلا وقد تفحصها جيدًا، شرد وهو ينظر إليها وهي لاحظت أنه أعجب بها وبمفاتنها وبجسدها المثير.. أيقظه صوت شابكتا من هذا الحلم الجميل:

- ماذا تفعل؟

أفاق من إعجابه وحلمه القصير ثم قال لها متسائلًا على ردّها:

- أهو على قيد الحياة؟

- نعم.

- جميل وأين هو الآن؟

- في مكان آمن.

وقبل أن يتكلم امتلأ المكان فجأة بالحراس، أين كانوا ولماذا حضروا الآن، لا تفهم ماذا يحدث هنا، أمرهم الملك

بالقبض عليهما وحبسهما، حاولا الفرار منهم واستخدام الأسلحة التي كانت بحوزتهما ولكن بلا جدوى، قبضوا عليهما وخرجوا بهما خارج القصر وذهبوا عند مكان ما بالخلف.

بناء كبير بابه من الحديد كأبواب السجون، فتح الحارس الباب وألقى بهما في الداخل وأقفل عليهما، وعامر يصرخ فيهم ويسبهم بكل أنواع الشتائم، وشابكتا يحاول تهدئته، صرخ الحارس فيه ليصمت وإلا يقتله، ولكن عامر لم يعد يهمه شيء، فأخوه على قيد الحياة وهو يحتاج إلى مساعدته الآن، كان هناك بعض الأشخاص معهم في ذلك الحبس ينظرون إليه بتعجب، فصرخ فيهم كلهم:

- لماذا تنظرون لي؟ فليهتم كل واحد بنفسه وبمصيبته.

قال شابكتا:

- لا تصرخ عليهم ما ذنب هؤلاء.

- لقد حبسونا، بفضل خطتك العبقرية ألقوا القبض علينا، ولا نعلم لولا ذلك الساحر كيف كنا سنعبر من تلك البوابة في البداية، أو كيف كنا سنصل إلى تلك النقطة في رحلتنا.

- على الأقل نحن نعرف أن مصطفى على قيد الحياة، أليس هذا جميلًا؟

- هذا هو السبب الوحيد الذي لم يجعلني أفقد عقلي حتى الآن، وأقوم بفعل أشياء جنونية.

- ليس بيدنا شيء سوى انتظار ماذا سيفعلون معنا.

بعد أن هدأ قليلًا نظر للخارج ناحية السماء وهو يبتسم قائلًا لنفسه:

- أخي على قيد الحياة.

ليلة الاحتفال..

قبض الحارسان على مصطفى وأخذاه إلى داخل القصر وصعدا به إلى الدور الأول، ليفاجأ برومانا تقف أمامه تنتظره وهي تنظر إليه بكل سعادة، ما هؤلاء الناس المجانين! كانت تبكي منذ قليل في يوم حفل ابنها، وكأنه مات ولم يولد، والآن تبتسم لشاب غريب لا تعرفه! حقًّا جميعهم مجانين، لم يفهم سر ابتسامتها له فسألها:

- ماذا يحدث هنا؟

- لا تخف أنت في أمان.

- أمان؟!

أشارت لهما بأن يأخذاه، ذهبا به إلى غرفة في آخر الممر، أدخلاه وأقفلا عليه، ثم ذهبت هي عند كاسياسي وجلست أمامه وهي سعيدة، فتعجب من ابتسامتها:

- لدي لك خبر جميل.

- أنت تضحكين! ماذا حدث؟

- وجدت شخصًا وأريد أن أتبناه.

ثم ذهبا معا متوجهيْنِ إلى الغرفة التي بداخلها مصطفى، فتح الحارس الباب وعندما رأى كاسياسي هذا الشاب

الغريب اندهش بقوة من هذا الكائن الذي لم ير مثله من قبل، فمن أول نظرة له تعرف أنه ليس من هذه الدولة على الإطلاق، وكأنه قادم من كوكب آخر.. فظل ينظر إليه يتفحَّصه، لا يصدِّق ما يراه من اختلاف جوهري بينه وبينهم، ومصطفى ينظر إليه باندهاش لا يفهم من هذا المجنون؟ ولماذا ينظر إليه هكذا؟ أفاق من إعجابه واندهاشه وسأل مصطفى:

- من تكون؟

ردَّ عليه بسخرية:

- مرحبا أنا اسمي مصطفى، طالب في الصف الثاني الثانوي من القاهرة، من أنتما؟

تغيرت ملامحهما إلى عدم الفهم، وكأنه يخاطبهما بلغة أخرى، ثم قال كاسياسي:

- ماذا تقول يا بني؟ لم أفهم أي كلمة غير أن اسمك مصطفى.

- ماذا أفعل كي أجعلك تفهم، ماذا تريد؟

- من أين أتيت؟ وكيف جئت إلى هنا؟

- هذه قصة يطول شرحها، ولكن سأعطيك إجابة قصيرة،

لا أعرف.. ماذا ستفعلان بي؟

- أأنت وحدك أم جئت مع أحد آخر؟

- أنا فقط.

- ستبقى هنا معنا، ستكون واحدًا من أبنائنا، زوجتي عثرت عليك وتريد أن تتبناك.

- عفوًا!!

- إما هذا أو تموت، وأنا لا أريدك ميتًا.

- سيدي أنا لدي عائلة ولست من أرضكم، أريد فقط العودة إلى موطني، أخبرني كيف وسأرحل من هنا، وكأن شيئًا لم يحدث.

- انظر أيها الشاب، سأتكلم معك بكل صدق، بداية أعرفك على نفسي، أنا ملك الدولة كاسياسي وحاكمها، وهذه زوجتي رومانا.. لا أعرف من أنت أو كيف أتيت ولا يهمني، ولكن يبدو أنك صيد ذهبي نادر، ولا أريد أن أفوته أو أفرط فيه، لا أريد قتلك، ستعيش معنا وكأنك واحد من أبنائنا، أنت جميل الوجه، ومختلف عن أي طفل أو شاب في دولتنا، بشرتك جميلة، وشعرك ناعم ولامع، وسيم ومختلف عن الجميع، ابن مثالي.. زوجتي أعجبت بك، وتريد أن تتبناك لتصبح أمك،

وأنت كل ما ستفعله أنك ستعيش معنا في هذا القصر، وأي شيء تريده مهما كان ستحصل عليه، أنا واثق أنك ستعيش هنا حياة لم ترها من قبل أو ستراها في المستقبل.. كل طلباتك مجابة، ما رأيك؟

- هل أنت مدرك لما تقوله؟

همست رومانا في أذن كاسياسي، فخرج وأقفل الباب وبقيت هي معه، أحضر لها حارس كرسيًّا ووضعه أمامه، فجلست تنظر إليه وقالت وهي مبتسمة:

- لماذا لا تريد العيش معنا؟ هناك الملايين لا يستطيعون مجرد فقط أن يحلموا بالاقتراب من باب القصر، أنت ستعيش مع ملك الدولة في نفس بيته، ستعيش حياة لم ولن تحلم بها في حياتك، فقط نريد منك أن تعتبرني أمك والملك والدك، وتتقبل بهذا الأمر، لماذا ترفض عرضًا كهذا؟

نظر إليها جيدًا هذه المرة، ولا يعرف كيف سيقبل بأن تكون هذه أمه! صاحبة هذا الجسد المغري ذات الوجه الملائكي صاحبة هذا الشعر الأملس، والتي تريد أن تلتهم شفتاها وكأنها فراولة حمراء طعمها لذيذ جميلة الاحمرار لامعة.. هرب من النظر إليها ثم أجاب:

- لأنني لدي عائلة، ولأنني لست من هنا، ولا أنتمي لهذه

الدولة، ولا أعرفكم، ولأنني لا أريد كل هذا من الأساس.

- حسنا ربما أنت متفاجئ وخائف قليلًا هكذا في البداية، ولكن أعدك أنه مع مرور الوقت ستحب المكان هنا، وستحب العيش في هذا القصر، وأنت بنفسك ستقول لنا هذا وأنت في قمة سعادتك.

- سيدتي الملكة الجميلة، أنت لا تعرفينني لتقولي لي هذا الكلام، لو كنتم تريدون تنفيذ طلب لي حقًّا، أخبروني كيف أخرج من هنا.

- عندما وقعت في الحفلة وكشف وجهك، رأيتك عندما كنت أقف في الشرفة وأنت أيضًا رأيتني، كانت لحظات سريعة، ولكني عندما رأيت وجهك لم أصدق ما أراه، في لحظتها قلت لنفسي لن أتركك لأي أحد غيري، وستصبح ابني.

أخذ مصطفى نفَسًا طويلًا ونظر إلى الأرض لا يدري ماذا يقول، يفكر في أخيه الذي هو حتمًا الآن أصيب بالجنون؛ لأنه افترق عنه بهذه الطريقة أمامه، ولا يدري ماذا من الممكن أن يفعله كي ينقذه ويطمئن عليه، هو الآن قلق عليه أكثر مما هو قلق على نفسه، هل يختار أن يبقى وينتظر حضوره لإنقاذه؟ أم يفكر في طريقة للهروب والعودة إليه؟ عاد بنظره إليها وقال:

- من فضلك اتركيني وحدي.

- لا بأس، ولكن أنتظر إجابة منك، فكِّر جيدًا، ولو اخترت العيش معنا بإرادتك صدقني لن تندم لحظة على قرارك هذا.

خرجت ونهض هو من على كرسيه يتجول قليلًا في أركان الغرفة يفكِّر، ذهب عند شرفة صغيرة وقف عندها ينظر إلى السماء حزينًا قائلًا لنفسه:

- أخي.

في اليوم التالي ليلًا.. تسير كاميرا تصوير هذا المشهد من أمام الشرفة التي كان يقف عندها مصطفى، تتحرك إلى الأسفل وتذهب خلف القصر عند ذلك البناء حيث يوجد عامر محبوسًا..

7

- كنت أظن أن لديك خطة جيدة.

- اعتقدت أن لا أحد سيوقفنا أو يشك فينا، ظننت أننا سندخل القصر بشكل طبيعي كأن لدينا رسالة نريد إيصالها إلى الملك، ونخدع الجميع بهذه الطريقة، اعذرني لم أتوقع حدوث كل هذا.

- خطة رائعة، ما هذا الذي حدث منذ قليل؟ لقد قتل ذلك الساحر خمسة أطفال بوحشية.

- لا أعرف كيف يجرؤ على فعل هذا أو لماذا فعل!!

- لقد سمعت الرجل الذي كان معه يقول للملك أنه أخذ ابنه كرهًا أو نحو هذا، أهذا ما يفعله الملوك هنا؟ يخطفون أبناء الآخرين؟

- صدقني لا أعرف أي شيء.

- ألم تكن حارسًا سابقًا كيف لا تعرف؟!

- أشك فقط ببعض الأشياء، ولكنه جنون.

- لا تقلق، لقد تخطيت مرحلة الجنون منذ وقت طويل بعد كل ما رأيته، أنا الآن أتوقع حدوث أي شيء وأصدقه بكل

قلبي، تكلم.

***

عاد كريستي لمنزله وفور أن رأت برينا ابنها فرحت فرحًا كبيرًا، فأخذته واحتضنته غير مصدقة أنه رجع إليها، بكت من سعادتها وهي تقبل ابنها، فرح لأنه استطاع في النهاية إسعاد زوجته ثانيةً وأنه أعاد إليها ابنها سالمًا، فقالت له:

- كيف فعلت هذا؟

- لا يهم كيف، المهم أن ابننا عاد إلينا.

خرج ليجد حور يقف في انتظاره على حصانه، فاقترب منه وهو يتلفت حوله يتأكد من عدم وجود أحد يلاحظهما أو يراقبهما، وقال:

- لن أنسى أبدًا ما فعلته من أجلي.

- المهم لا تنسى أنت اتفاقنا.

- في أقرب وقت لا تقلق.

***

في اليوم التالي صباحًا كان الحدث الأكبر الذي أثار الجدل والحديث بين كل الناس، عمَّا حدث أمام القصر وموت الكثير

من الحراس بواسطة السحر الأسود، ودخول ساحر إلى بيت الملك وهجومه عليه وعلى زوجته، وأنه قتل خمسة من أبنائهما بلا رحمة، وبعدها غادر ولم يستطع أحد إمساكه، والكثير من الكلام هنا وهناك، وكان هذا الحدث أسطوريًّا، ولم يحدث شيء مثله من قبل، جمعوا كل الجثث وقاموا بحرقها كلها، بعدها قرر الملك عقد اجتماع مع الكاهن الأكبر ليناقش هذا الأمر سرًّا بينهما، ثم سيخرج أمام الجميع في خطبة علنية ويفسِّر ما حدث كي يهدِّئ من روع وفزع الشعب قليلًا..

الكل يعلم أن هناك سحرة يعيشون بينهم، ولكن لهم أماكنهم الخاصة التي يسكنون فيها، الكل يخاف من الاقتراب منهم ولا يجرؤ أحد على زيارتهم إلا نادرًا ليطلب من أحدهم خدمةً يفعلها له، هم كأي شخص آخر مسموح لهم بالعيش داخل الدولة، ولكن محظور عليهم استخدام سحرهم فيما يضر غيرهم، وإذا فعلوا عُوقبوا كأي شخص آخر، ولكن أحدهم اخترق تلك القواعد وهاجم الملك بنفسه، بل وتمادى في الأمر لدرجة أنه قتل خمسة من أبنائه بلا رحمة.

الغريب أكثر أن الملك لم يصدر منه أي شيء ضده، ولم يطلب من أحد ملاحقته أو القبض عليه ومعاقبته، وهذا ما

أثار الشك والدهشة بين وزراء وكهنة الملك، إلا الكاهن الأكبر الذي لم يكن مندهشًا من ردِّ فعله، هناك شيء ما يخاف منه الملك ولا يريد أن يفضح نفسه، ولا أن يعرفه أي أحد مهما حدث، تم الاعتداء على بيته وقتل الكثير من الحراس وقتل أبنائه، كل هذا ولا يريد الرد عليه!!

اجتمع كاسياسي وبتاري في اجتماع سري بينهما يناقشان الأمر ويدرسانه، لا يريدان لأحد معرفة عمَّاذا يتحدثان، أما رومانا فهي منهارة في غرفتها منذ ما حدث، ولا تستطيع في نفس الوقت أن تلوم أحدًا، لأنها كانت مسؤولة عن كل ما حدث بشكل ما، كانت تبكي بشدة وتلوم نفسها باستمرار، أنهى كاسياسي اجتماعه، وتم تنظيف المكان حول القصر من الجثث، ثم طلب أن يتم إعداد كل ما يلزم لإلقاء خطبة عاجلة على الناس، وشرح الأمر كي يفهموا ويقلل من خوفهم.

قبل وقت غروب الشمس بقليل، كانت الساحة أمام القصر مليئة بالكثير من الناس ينتظرون توضيح ملكهم، الحراس يحاوطون المكان كله ويراقبون الجميع، بعد دقائق خرج كاسياسي وبجانبه بتاري، وقفا أمام الجميع وطلب أحد الحراس من الكل قطع أصواتهم وهمساتهم والتزام الصمت، هدأوا وبدأ كاسياسي بإلقاء خطبته:

- أعلم أن السحرة مسموح لهم بالعيش معنا، ونادرًا ما يذهب أحد إليهم أو يقابلهم حتى بالمصادفة، ولكن نحن جميعًا في النهاية نتبع قوانين «كتاب أودم».. ومن ضمن القوانين قتل الساحر الذي يتعدى على غيره أو يستخدم سحره ضده بأفعال سيئة، ولهذا تم إمساك الساحر الذي اقتحم بيتي ليلة أمس، وتمت معاقبته على جرائمه، ورأسه تم تعليقها على خازوق ليكون عبرة لكل السحرة التي تسول لهم أنفسهم فعل شيء كهذا مرة أخرى، لذا لا يقلق أحد أو يخاف، فكل شيء الآن على ما يرام، ولا داعي للخوف، كل واحد منكم يعود لحياته وعمله، ولنعتبر كل هذا لم يحدث، دمتم بخير!

أنهى كلماته والتفت عائدًا إلى الداخل، وبجانبه بتاري يقول له بصوت منخفض:

- هذا هو الأفضل لنا جميعًا.

رحل الجميع وعادوا من حيث أتوا، وعامر بالخلف سمع كل ما قيل وهو يضحك، فقال لشابكتا:

- الآن أصبح الملك بين يدي.

***

حضر الليل والسكون يعم المكان، سمع عامر صوت أقدام

قادمة نحوه، فنهض من على الأرض، ليفاجأ بأن الملك هو الزائر قادم ليراه، أشار للحارس بفتح الباب وإخراجه، شابكتا يتابع ما يحدث بصمت، أخذه الحارس وذهب به إلى غرفة صغيرة بجانب مكان الحبس، دخل وبعدها دخل كاسياسي وأمره بالخروج وغلق الباب، جلسا على كرسيين، وبدأ الملك بسؤاله:

- أأنت أخ ذلك الشاب؟

تحمس وأجاب سريعًا:

- نعم إنه أخي ماذا فعلتم به؟

- لا تتوتر هكذا إنه بخير وبصحة جيدة.

- ماذا تريدون منا؟ دعونا نرحل عن هذا المكان اللعين.

- ليس بهذه السهولة، أولًا أخبرني من أنتما؟ وكيف جئتما إلى «أورينتس»؟

- أنا واثق أنك سألت نفس السؤال له، ولكن لا بأس دعني أخبرك أنا أيضًا، لا أعرف.

- لا تعرف! منذ متى وأنتما هنا؟

- منذ ثلاثة أيام، استيقظنا ووجدنا أنفسنا أول مرة بداخل صحراء.

- لن أطيل في الكلام ولن أكذب عليك، أنت وأخوك مميزان جدًّا بالنسبة لنا، لذا لا أريد أن أقتلكما أو أفعل بكما أي شيء يؤذيكما، أخوك سيعيش معنا في القصر، مثله مثل أبنائنا كلهم، سيعيش حياة سعيدة، حياة لم ير مثلها من قبل، أما أنت فلو تريد أن تعمل في أي مكان تريده أو أيًّا كان ما تطلبه سأحققه لك بكل سرور، لا توجد مشكلة بالنسبة لي.

- ولماذا لم تعرض عليَّ العيش معكم في القصر مثله؟

- لأنني أعرف أنني لو فعلت شيئًا كهذا، لا آمن في يومٍ ما أنكما ربما تقومان معًا بفعل شيء يغضبني أو تحاولان الهرب، لذا أنا مجبر على أن أفرقكما.

- الموت وحده هو من سيفرقنا، اعلم هذا جيدًا.

- جميل أنك تحب أخاك، ولكن اعذرني لن أستطيع أن أجعلكما معًا في نفس المكان.

- وأين تريد أن تضعني إذًا؟

- أينما تريد، سأبعث لك شخصًا يطلعك على كل الوظائف في «أرض النعيم»، وأنت اختر ما تريد.

- على الأقل اسمح لي بأن أرى أخي وأطمئن عليه.

- موافق سأحضره لك بعد قليل.

خرج وعامر ما زال جالسًا في مكانه حائرًا لا يعلم ماذا يختار، أو كيف سينقذ أخاه، هل يقبل عرضه أم يعاند كعادته، كيف يستطيع العيش بعيدًا عن أخيه، كيف من الأساس يستطيع تقبل العيش هنا بين كل هؤلاء، أليس عليه أن يفكر في طريقة للخروج من هنا؟ انتظر دقائق ثم وجد مصطفى يدخل إلى الغرفة ركضًا إليه، نهض واحتضنه بقوة وهو ينظر إليه وهو في كامل سعادته:

- أنت بخير.

- نعم، بل أنت طمئني عليك.

- أصبحت بخير الآن بعد رؤيتك.

- الجميع هنا مجانين، الملك وزوجته يريدان أن يتبنوني، يريدان أن أصبح ابنهما

- لدي علم بهذا، اسمعني جيدًا، في الوقت الحالي ليس بأيدينا أي شيء نفعله، وبالتالي سننفذ كل ما يقولونه لنا، ستظل أنت في القصر، وأنا سأعمل في إحدى الوظائف بالقرب منك، وسنرى بعضنا ثانيةً لا تقلق.

- هل حقًّا ستقبل بكلامهم ونعيش معهم هنا؟

- فقط مؤقتًا يجب أن ننفذ أوامرهم، بعدها سنرى إلى أين

ستؤدي بنا الأيام القادمة.

***

ذهب أحد الحراس وأحضر شابكتا من الحبس عند عامر، ثم طلب منه شرح ما حدث...

- سأعمل في قسم الهندسة.

- ماذا؟ ماذا عن أخيك وعن هروبكما؟

- لم أنس، الآن أنت ستأتي للعمل معي، لقد بعثت طلبًا إلى الملك بهذا، شرط كي أوافق على طلبه.

- ماذا يدور في رأسك؟

- الكثير، لن أحرق لك المفاجأة الآن، هيا استعد سنذهب للسكن في مكان فاخر خمس نجوم.

8

أرض الوحل!

أهلا بك بداخل الأرض الثالثة «أرض الوحل»، أرض الجثث أو الموتى.. دعك مرة ثانية من تلك الرائحة الكريهة الآن، وتحمل معي بضعة دقائق فقط وبعدها سنغادر، هيا اقترب، اقترب أكثر كي ترى كل شيء بوضوح، أحسنت قف هنا بالتحديد ولا تتحرك كي لا تقع وتكون معهم فتموت موتًا عظيمًا.. أنت الآن تقف على حافة أعظم «خندق» من الممكن أن تراه في حياتك، لا تنظر إلى آخره، فعيناك لن تستطيع أن ترى آخر هذا الخندق العظيم، لا من اليمين أو من الشمال، عمقه كبير للغاية، نستطيع أن نقول أن العرض من سبعة إلى تسعة أمتار، العمق طويل كما قلت، لكن تستطيع أن ترى ما يوجد بالأسفل..

سأحاول أن أصف لك هذا المنظر البشع، المكان بالأسفل مليء بالوحل العفن أو الطين، وبداخله المئات من الناس الثابتين في أماكنهم لا يتحركون، منهم من هو على قيد الحياة بالفعل، ومنهم من مات منذ زمن، ومنهم من في طريقه إلى الموت، ومنهم من يموت الآن أمام عينيك، لا يستطيع أحد التحرك من مكانه؛ لأنه لا أحد يمتلك القوة الجسدية الكافية لفعل ذلك، ولو فعل فلا يوجد أي مكان

يذهب إليه، أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله يوجد فقط الوحل، الصعود إلى الأعلى مستحيل، الطريق الوحيد أمامك هو الموت، فلتحاول أن تكسب أكبر وقت ممكن حتى يأتي إليك عزرائيل ويقبض روحك لينتهي هذا العذاب، إنه العذاب الأليم (عذاب الدنيا) بالنسبة لهذا الشعب، من يأتي هنا فحياته انتهت، لا فرق من أنه يتنفس أو لا، أصوات تأوهات وآلام تخرج منهم، لا يقدرون على كبت أوجاعهم أو وقف عذابهم المستمر..

كل يومين يُلقى عليهم مخلفات طعام أو بقايا قليلة، تلقى وتثبت في الوحل، ومن يقدر على السباحة في الوحل والوصول إلى تلك البقايا هو من يستحق أن يأكلها، ومع مخلفات الطعام تلك، هناك عدة أنابيب مياه تلقي عليهم المياه كل يوم، من يقدر أيضًا على الوصول إلى أسفلها ويفتح فمه أو كفتي يديه هو من يشرب.. وبهذه الطريقة يعيشون قليلًا، هناك من يتحمل شهرًا ويموت، وهناك من يتحمل أسبوعًا، ومن يتحمل يومًا ويموت.. كل شخص منهم وقوة تحمله.. ليس الموجودون هنا رجالًا فقط ، بل توجد النساء أيضًا.. ينامون في أماكنهم، وأي نوم هذا! بالكاد يغلقون أعينهم لحظات ويستيقظون بسبب الرائحة الكريهة والديدان والحشرات...

كل هؤلاء لا يأتون إلى هنا إلا إذا ارتكب أحدهم جريمة يعاقب عليها بتلك العقوبة، وهذه العقوبة إما أن يحددها نص الكتاب أو حكم الكاهن.. أجسادهم عارية كلها بالطبع، من يموت في مكانه يبقى على حاله إلى أن يتحلل جسده، أو يغطس إلى الأسفل، أو تتمزق وتتحرك أشلاؤه فيما بعد إلى أي مكان، أو أيًّا كان ما يحصل في جثثهم بعد موتهم، لا أحد يهتم؛ لأنه منذ لحظة دفعك من على حافة الخندق إلى الأسفل، حياتك أصبحت في حكم العدم، لا فرق إذا كنت تتنفس أم لا، أنت في كل الحالات شخص ميت، انتهت حياتك، لم يعد لك أية أهمية تذكر.. ولأن «كتاب أودم» ينص على مادة مؤداها:

كتاب أودم ص ٤ القانون ٥:

«من يُحكم عليه بالنفي إلى أرض الوحل.. لا بأس بأن يستحق بعض الطعام والشراب.. إلى أن يموت في محله!!»

***

وكأنهم خنازير يعيشون حياتهم الطبيعية بداخل الوحل، اعتادوا على هذا وتأقلموا معه جيدًا، يأكلون ويشربون وينامون في الوحل، لا فرق بينهم وبين حياة الخنازير.. على حافة الخندق في الأعلى، على اليمين والشمال يوجد عدد كبير من الحراس يقفون يراقبون ما حولهم جيدًا.. بالإضافة إلى أنهم يحرصون على إطعام من في الأسفل كل يومين.. الغريب أن هذا العدد كبير زيادة عن الطبيعي، نظرًا لأن المكان هنا لا يحتاج إلى كل هذا الاهتمام والحراسة؛ لأنهم لا يفعلون أي شيء سوى إلقاء الطعام والشراب فقط، وإلقاء المذنب الجديد الذي يأتي كل يوم تقريبًا أو أكثر من واحد..

نسيت تلك الرائحة بسبب تركيزك في رؤية كل هذا، رائحة المكان مليئة بروائح جثث الموتى المتحللة، وأيضًا رائحة الوحل، لهذا يضع الحراس على أنوفهم قطعة قماش صغيرة كي يتحملوا الوقوف في هذا المكان دون أن يغمى عليهم ويقعوا إلى الأسفل، أو يموت أحدهم في مكانه.. هناك من يصرخ من الأسفل يطلب الرحمة وأن يعفوا عنه، وهناك من

النساء من تبكي على أنفسهن ومن تبكي على أبنائها الذين تركوهن مجبرين خلفهم هكذا، أصوات وصراخات وتأوهات كلها متداخلة ببعضها البعض، وأمر صعب للغاية على أي شخص أن يتحمله أو حتى يلمحه للحظات..

أشكالهم وقد علاهم الوحل مقزز للغاية، تبرز رؤوسهم فقط من الأعلى مغطاة بالوحل، وباقي أجسادهم بالأسفل تأكلها الديدان والحشرات والعفن، مشهد لن تراه إلا في كوابيسك.. بالإضافة إلى كل ما يعانونه هنا، يتحملون النظر إلى الموتى وهم يتحللون أمامهم وتخرج من داخل رؤوسهم إلى الخارج الديدان، تخرج من أنوفهم وأعينهم وآذانهم.. عذاب ورعب وموت وكل ما يخطر على بالك موجود بداخل هذا الخندق الذي لا نهاية له...

أبدًا أبدًا لن تتمنى أن تكون واحدًا منهم، الموت حرقًا أو غرقًا أو خنقًا أو رميًا بالسهام أو بالرصاص أهون عليك من وجودك بداخل هذا الخندق المميت.. تموت هنا رويدًا رويدًا، تندم أشد الندم على الذنب الذي اقترفته وجعلك تأتي إلى هنا، تفتقد عائلتك كل ثانية، تبكي على كل دقيقة من حياتك التي انتهت، تعرف وتقدّر قيمة روحك أكثر من ذي قبل.. الأمل هنا غير موجود، الشيء الوحيد الموجود هنا والذي يسيطر على المكان كله ورائحته منتشرة في كل الأرجاء..

هو الموت!!

هيا نخرج من هذا المكان سريعًا، فأنا لا أحبه، وأنت أيضًا أعتقد أنك لم تحبه ولا تتمنى المجيء إلى هنا مرة أخرى..

***

بداخل القصر يجلس على مائدة الطعام كاسياسي ورومانا يأكلان، ومصطفى جالس معهم تارة ينظر إليهما وتارة ينظر إلى الطعام، ابتسمت له رومانا وقالت:

- بني ألست جائعًا؟

أغلق عينيه غضبًا وأخذ نفسًا كبيرًا ثم نظر إليها وقال بكل هدوء وبداخله غضب كبير:

- لا تقولي لي بني.

تكلم كاسياسي وقال له وهو ينظر إلى طعامه أثناء الأكل:

- لا تغضب هكذا، لا بأس ستعتاد على هذا مع مرور الوقت.

- أيمكنني أن أنهض لست جائعًا.

- بالطبع يمكنك فعل كل ما تريد، لن نجبرك هنا على أي شيء.

نهض غاضبًا وغادرهما عائدًا إلى غرفته، خطر على باله بأن يتجول قليلًا في القصر أولًا ثم يعود بعدها إلى غرفته، دخل إلى غرفة الأطفال الكبيرة، التي يوجد بداخلها ما يقرب من خمسة عشر طفلًا، ثم دخل إلى غرفة المولود الجديد، بعدها رأى غرفة الملك والملكة، ثم تفحص تلك الرسومات على الجدران المرسومة بكثافة في كل جزء من تلك الجدران.. بعدها قرر الصعود إلى الطابق الثاني.. لم يختلف كثيرًا عن الأول، رأى غرفة مفتوح بابها قليلًا، حاول أن يدخلها ولكن أوقفه صوت «بتاري» من الغرفة المجاورة:

- مصطفى ماذا تفعل هنا؟

- أتجول قليلًا.

- هذا الطابق خاص بي، ولا يمكن لأي أحد أن يصعد إليه بدون علمي غير كاسياسي.

- عذرًا.

التفت عائدًا إلى الأسفل، كان يوجد طابق ثالث ولكن لم يهتم، عاد إلى غرفته وأقفل على نفسه ونظر من الشرفة يفكر في أخيه، وماذا يفعل الآن وكيف حاله.. ثم قال لنفسه وهو حزين:

- آمل أن تكون بخير يا أخي.

***

يسير كريستي بخوف شديد وهو ينظر حوله باستمرار يتأكد من عدم رؤية أحد له أو مراقبته، تسير بجانبه فتاة تبلغ من العمر ثماني عشرة سنة، ترتدي ما يغطي صدرها ومن أسفل سرتها إلى أعلى ركبتيها بقليل فقط ولا شيء آخر، يبدو على وجهها بعض الإرهاق بسبب عملها الكثيف.. تنظر هي الأخرى باستمرار حولها تخاف من أن يراها أحد، يحاول كريستي طمأنتها ولكن لا ينجح في هذا؛ لأنه هو نفسه خائف قليلًا.. يقتربان من إحدى الكهوف البعيدة، من فوق الكهف يوجد العديد من الغربان السوداء تقف تنظر إليهما بشكل مرعب مع أصواتهم المفزعة، وبالأخص في هذا المكان، وفي هذا الوقت قبل منتصف الليل بقليل، تصرخ فيهما الغربان وهم ينظران إليهما وهما يدخلان إلى الكهف..

نفس العظام المتناثرة هنا وهناك والمتحطمة، وتلك الكلمات المكتوبة بلغة غير مفهومة، يسيران تجاه الرائحة الكريهة كما أخبرها، وصلا إلى مصدر الرائحة ليجدا «حور» نائمًا على بطنه كالمرة السابقة.. شعرت الفتاة بخوف أكثر وهي تنظر إلى كريستي، لا تعرف ماذا تفعل أو تقول، صرفت نظرها عنه إلى الأمام، لتجد أمامها الساحر يقف قبالتها ينظر إليها بشهوة، لم ينزل عينيه من عليها، ثم بدأ يلمس بأصابعه

أجزاء من جسدها، نظر إلى كريستي وهو في غاية سعادته وقال له:

- الآن أنت دفعت مقابل الخدمة، يمكنك الرحيل.

- لن تفعل بها شيئًا سيئًا أليس كذلك؟

- بالعكس، سأجعلها سعيدة جدًا.

خرج هو وتركهما وهو يعيد تذكر الاتفاق الذي دار بينهما سابقًا في أول زيارة له هنا:

قبل بضعة أيام.. زيارة كريستي الأولى للساحر:

- سأساعدك في استعادة ابنك ولكن بمقابل.

- وهو؟

- نحن السحرة لا نرى الكثير من الفتيات في حياتنا، وأنت تعرف الجميع يخاف الاقتراب منا أو رؤيتنا.. أريد منك أن تجد لي فتاة جميلة وتحضرها لي إلى هنا أمضي معها بعض الوقت، وبعدها أدعها ترحل.

- سأحاول أن أجد لك إحداهن وأحاول إقناعها بالمجيء إلى هنا، ولكن أولا ستنفذ أنت الاتفاق ثم بعدها أنا.

- موافق.

صافحا بعضهما واتفقا على خطتهما الخبيثة.. هذا كريستي وزوجته مجرد عائلة من بين ملايين العائلات، ويقومان بفعل كل هذه الأشياء المقززة والخبيثة لنيل ما يريدانه، في البداية موضوع إنجاب الطفل بتلك الطريقة، ثم ذهاب كريستي إلى ساحر والاتفاق معه على كل هذه الأمور، وكل ما حدث بعدها.. فما بالك بباقي العائلات!، ماذا يفعلون هم أيضًا؟ إلى أي مدى يعطيهم «كتاب أودم» الحرية والتصرف بما يريدون أن يفعلوا وكيفما يشاءون وفي أي وقت من خلال قوانينه، وأحيانًا يفعلون أمورًا تخرج عن قواعد الكتاب ليحققوا رغباتهم، منهم من يهرب من العقاب بشكل ما مثل كريستي، ومنهم من يمسك به ويعاقب، كل على حسب درجة جريمته وما اقترفت يداه..

الكثير والكثير من الأشياء السيئة تحدث هنا ومباحة.. منها ما هو مسموح بفعلها، ومنها ما هو محرم فعله، من كتب تلك القوانين وما هدفه من كتابتها بهذه الطريقة؟. ولماذا يتبعها الجميع هكذا دون سؤال أو تفسير، هل لأنهم يخافون من العقاب فقط؟ أم لأنهم يجدون في تنفيذها بالنسبة لهم متعة ولذة؟ أو لأن هذا ما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم؟ أم ماذا؟! ولكن ما هو أكيد من كل هذا، أن الكل يخاف على حياته ويقدر قيمتها جيدًا، يخاف من العقاب أيًّا كان شكله أو مكانه.. يفعلون ما يفعلون ولكن يحرصون على أن لا

يعاقبون.

***

- كم سيستغرق بناء الرمز (التمثال)؟

- بضعة أيام قليلة.

يقف عامر وبجانبه بعض الموظفين الذي يعملون في إدارة الهندسة والبناء والرسم، يقفون يتابعون تلك الصخرة الكبيرة التي بخارج «أرض النعيم» التي كان يجرها العبيد وأحضروها إلى هنا.. هم الآن يعملون على نحت تلك الصخرة العملاقة على شكل الملك كاسياسي، يمسكون في أيديهم مطارق وحديدًا يستخدمونها في العمل، يملؤون كل جزء من الصخرة من الأعلى إلى الأسفل، ومن الجانبين ومن الأمام والخلف، كل مكان بها يعملون على نحتها بشكل دقيق جدًّا، كي يخرج في النهاية تمثال الملك كما هو بدون أي خطأ فيه.

يتابع عامر ومن معه أعمالهم، ويتذكر تلك اللحظة التي رآهم فيها أول مرة منذ أن قدم إلى هنا وهم يجرونها، ولم يتخيل أبدًا أنه سيقف أمامها الآن يتابع العمل ويشرف عليه أيضًا.. ينظر إلى الأعلى عند جزء الوجه يتابع من يقوم برسم العينين، ومن يقوم برسم الأنف وهكذا، يرى كل شيء بالتفصيل، يتابع كل ما يحدث بشغف، ويسأل هذا عن هذا

وهكذا، لا يتوقف حتى يعرف كل شيء ويفهم كيف تصنع هذه التماثيل وكم تستغرق، والكثير من الأشياء التي عرفها، كان معه شابكتا يقف بجانبه متعجبًا منه، فسأله:

- أرى أن هذا العمل يعجبك وبدأ بجذب انتباهك، هل ستظل هنا دائمًا حقًّا وتنسى أخاك؟

- هذا ليس المكان المناسب للتحدث عن هذه الأمور.

- وبماذا تفكر؟

- إذا أخبرتك فلن تكون هناك أي متعة أو تشويق، وأنا لا أريد حرق الأحداث، أريد للمشاهد أن يستمتع بكل لحظة دون أي حرق.

رجع يتابع النظر إليهم، ثم تحرك لينظر من خلفها ومن كل جوانبها يشاهد كل جزء منها كيف يعملون عليها، وكم يستغرقون، نادي أحد المساعدين الموجودين معه، فذهب إليه وسأله:

- هذه الصخرة الصغيرة البعيدة، ماذا سيصنعون بها؟

- هذا التاج.

- فهمت.

بعد قليل من الوقت لاحظ عليهم التعب والإرهاق الشديد،

فهم يعملون منذ فترة كبيرة ولم يأخذوا دقائق للراحة، فنادى على شخص آخر وطلب منه أن يأمرهم جميعًا بالتوقف عن العمل...

- ولكن هذا مخالف للقوانين.

- هذا كان في السابق، أما الآن فأنا موجود، وسيكون هنا نظام جديد.

وبالفعل توقفوا عن العمل، ولم يصدقوا أنفسهم أن هذا حدث لهم حقًّا، أسقطوا ما بأيديهم من أدوات، وجلسوا على الأرض يتنفسون براحة وهم سعيدون، جاء أحد الحراس إلى عامر وهو غاضب قائلًا له:

- ماذا تظن نفسك فاعلًا؟ من أنت لكي تأمر العبيد بالتوقف عن العمل.

- أنا عامر المهندس الجديد أهلًا وسهلًا.

- ما فعلته مخالف للقوانين.

- اصمت واسمعني جيدًا، اذهب الآن إلى ملكك وقل له: إن عامرًا طلب من العبيد التوقف عن العمل للراحة قليلًا، وانظر ماذا سيقول لك، وأيضًا اطلب منه أن يرسل الطعام والشراب لهم.

- طعام وشراب لهم والآن!! هل أنت مجنون يا هذا؟

- اذهب وكف عن تضييع وقتي، أنتظرك.

لم يجد سوى أن يفعل ما طلبه منه، لكي يسمع حكم الملك في الأمر ولا يفعل الحارس شيئًا من تلقاء نفسه يعاقب عليه فيما بعد، فذهب ونظر عامر إلى العبيد وهو يبتسم لهم ويشير إليهم بيديه ويطمئنهم بأن لا يقلقوا، ينظر شابكتا إليه ولا يصدق ما يفعله من كل هذه الأمور، وكأنه ابن الملك وعاش هنا سنين طويلة.. بينما يتهامس المهندسون فيما بينهم لا يفهمون ماذا ينوي عامر أن يفعل.

مرت عشرون دقيقة وجاء الحارس ومن خلفه الكثير من الحراس يحملون الطعام والشراب!!. لم يصدق أي أحد في المكان ما حدث وما يحدث، وكأن عامرًا كان يعرف أن كل هذا سيحدث حقًّا، لهذا تجرأ وقام بما قام به، هلل العبيد صارخين فرحًا من السعادة مندهشين غير مصدقين أن هذا الطعام قادم إليهم حقًّا، شابكتا ينظر لما يحدث وهو يفتح فمه من الصدمة غير مصدق، وضع الحراس الطعام والشراب أمامهم كلهم وطلبوا منهم أن يأكلوا حتى الشبع، ويشربوا حتى يرتوا، لم ينتظر أي منهم ثانية واحدة، انقضوا جميعًا يأكلون بنهمٍ ويشربون دون توقف.. ذهب الحارس نفسه إلى عامر وقال له:

- الملك لم يعترض على ما فعلته، وأمر بإرسال الطعام كما طلبت.

- أعلم شكرًا لك.

ثم نظر إليهم وهم يأكلون بكل سعادة، وهذا أشعره بسعادة كبيرة، تقريبًا لم يشعر بمثل هذا الشعور من قبل في حياته، ربما لأنه أطعم الكثير من المساكين، أو لأنه أمرهم بالتوقف عن العمل وتنفيذ أمره، أو لأنه في مكانة كبيرة الآن تجعله يطلق الأوامر على غيره، حتى ملك الدولة نفسه لم يعترض.. الكثير من المشاعر متداخلة في بعضها البعض بداخله، وكلها تنتج السعادة بداخله وعلى وجهه.. نأمل أن لا ينغرس في كل هذا النعيم وهذه المكانة وينسى أخاه..

9

عصر الأولين / قبل الانقلاب.!

قبل مئات السنين كانت «أورينتس» دولة رائعة نوعًا ما، والناس كلهم يعيشون فيها بسعادة، ولم تكن تنفذ العقوبات إلا في أضيق الحدود، وقليلًا ما يعاقب أحد؛ لأن الناس كانوا يعيشون في رخاء وسعادة، ولم يكن يفكر أحد في ارتكاب جريمة أو فعل أمر سيء لأحد أو لنفسه..

في ذلك الوقت لم تكن الدولة مقسمة إلى ثلاث أراض كما حدث فيما بعد، بل كانت أرض واحدة كبيرة يعيش عليها الجميع معًا، لا يوجد فرق بين العبيد أو الفقراء أو الوزراء، بل كانوا جميعًا يعاملون نفس المعاملة، كان الفرق بينهم فقط في اختلاف وظائفهم وحالتهم المادية وطريقة معيشتهم وهكذا.. ولكن بشكل عام كانت الحياة جميلة، والجميع مرتاحون، المطلوب من كل شخص هو أن يقوم بعمله على أكمل وجه ولا شيء آخر، منهم من كان يعمل في الزراعة، ومن يعمل في الهندسة والبناء، ومن يعمل في المعابد، وهم الكهنة «رجال الدين»، ومن يعمل حارسًا في أي موقع في الدولة، كلهم سواء، ومن يعمل مساعدًا لكل ما سبق..

كان يسمح أيضًا بعمل السيدات إذا أردن ذلك، والجرائم

التي كان يعاقب عليها ليست كثيرة، فإما أن يقتل أو يسرق أو يؤذي غيره عمدًا أو يغتصب، وقس على ذلك أي جريمة كبيرة مثل تلك الجرائم، والعقاب إما الحبس أو الإعدام شنقًا.. لا يوجد أرض الوحل، أو النفي إلى أرض الفقراء، أو قطع الرؤوس، ولا كل هذه الأشياء.. ولم يكن هناك شيء اسمه «كتاب أودم».

كان هذا هو نظام الحكم في الدولة آنذاك، وكل ملك يأتي بعد سابقه يحكم بنفس الطريقة بلا أي اختلاف.. إلى أن حدث الانقلاب!

في يوم مشئوم، كان الملك «فتوحي» يسير وسط العامة يتفقد أحوالهم ويراهم، ويعرف لو كان هناك أية مشاكل أو أي شيء ليقوم بحله كما هي عادته دائمًا، كان يركب على حصانه ومن حوله بعض الحراس يحرسونه من بعيد، نزل من عليه وذهب إلى أحد الناس وسأله:

- كيف أحوالك؟

رد عليه الرجل ولم يكن يعرف أن ذلك هو الملك:

- بخير نعيش بسلام وأمان بفضل ملكنا.

ابتسم له فتوحي دون رد، غادر من عنده وظل يتابع ما يقوم به كما يفعل دائمًا، يوقف بعض الناس ويسألهم عن

أحوالهم وهل لديهم مشاكل أو إذا رأى أحدهم ما أزعجه ويريد إصلاحه وتغييره وكل هذه الأمور..

أثناء انشغاله مع أحدهم وبدون مقدمات، انطلق سهم تجاهه بسرعة ليخترق صدره ويقع قتيلًا على الأرض من فوره جثة هامدة.. عندما رأى الناس هذا بدأوا يصرخون ويركضون من هول هذا المشهد، وحراسه ركضوا إليه يتفقدونه، وحاول بعضهم البحث على من أطلق السهم، ولكن لم يجدوه، علم الجميع فيما بعد أن هذا الذي قُتل أمامهم هو الملك فتوحي، فزاد ذعر الناس أكثر وبكوا عليه بشدة.. أخذ الحراس الجثة إلى القصر وقام المسؤولون عن مراسم الدفن بتحضير جنازته...

حضر الجميع الجنازة أمام القصر، كان التابوت بداخله الجسد موضوع أمام أعينهم، يقف عنده أحد الكهنة يقرأ كلمات الوداع على روحه وهو يبكي، الكل يقف يشاهد ما يحدث بحزن وأسى شديد، غير مصدقين ما حدث لملكهم، ومن يجرؤ على فعل هذا ولماذا، انتهى الكاهن من إلقاء كلماته وحمل الحراس التابوت، وأخذوه ليضعوه بداخل المقبرة الكبيرة التي توجد بجانب القصر، كانت هذه المقبرة خاصة بالملوك فقط..

وقبل أن يرحل الجميع بعد انتهاء كافة مراسم الجنازة

والدفن.. انطلق صوت بوق عال في المكان، نفخ البوق خمس مرات، والجميع ينظرون إلى بعضهم لا يفهمون ما يحدث، وما تلك الأصوات، ومن وسطهم ظهرت مجموعة من الناس يرتدون ملابس سوداء تغطي من رؤوسهم إلى أقدامهم، كانوا مميزين عن كل من في المكان، جاءوا هكذا يسيرون بكل هدوء ناحية القصر والكل ينظر إليهم بترقب، وصلوا إليه ووقفوا أمامه والتفتوا ناظرين للناس.. أزالوا الرداء من على رؤوسهم وكشفوا عن أنفسهم، ثم تكلم من كان في الأمام وهو يبدو أنه قائدهم وقال:

- الملك مات وبالطبع هناك ملك جديد سيحكم.

قال له أحد الكهنة:

- وهذا ما سيحدث، ستقام الانتخابات، وسيتم اختيار أحد وزراء الدولة ليحكم.

ضحك بعد سماع كلماته وقال للجميع:

- انتخابات! واختيار أحد الوزراء!، منذ هذه اللحظة سيكتب تاريخ جديد، وستكون هناك قوانين جديدة ستسري على الجميع بلا استثناء، والخبر الجميل أنني ومن هذه اللحظة أنا «جيكاي» الملك الجديد.

وفجأة ظهر من كل مكان العديد من الرجال الذين

يرتدون تلك الملابس السوداء وهم يحملون الكثير من الأسلحة المختلفة، انتشر الفزع بين الناس وظلوا يركضون ويتخبطون ببعضهم، الكثير هرب بعيدا، وهناك من بقي يشاهد ما يحدث، الحراس لم يستطيعوا فعل أي شيء لمنعهم، فلقد كانوا أكثر عددًا وأكبر قوة، خاف الكل منهم، حتى أن بعض الكهنة هربوا ركضًا من المكان، وذلك الذي أعلن نفسه ملكًا ظل يراقب ما يحدث بشغف وهو يضحك، وعلامات الخبث والشر تكسوا وجهه بوضوح، فأكمل حديثه:

- سيبدأ تاريخ وعصر جديد من الآن وإلى الأبد، وأنا من سيبدأ بكتابة هذا التاريخ.

ما زال هناك من يهرب خوفًا، الكهنة والحراس والعامة.. أما الوزراء الذين كانوا موجودين بالقصر، أخذوهم كلهم وأمام أعين الجميع قطعوا رؤوسهم.. في نهاية ذلك اليوم، كان هذا المكان مليء بالدماء والجثث الملقاة على الأرض، هرب من هرب ومات من مات.

وهذا «جيكاي» وجماعته يجلسون بداخل القصر يقومون بإعداد خطتهم القادمة للحكم، وكانت هذه هي بداية تنجيس الدولة بتلك القوانين التي يكتبونها الآن، وتلك الخطط التي يضعونها كي يطبقوها على الكل قريبًا.. وبالفعل بدأ العمل من اليوم التالي...

سيتم هدم المقبرة كلها على كل توابيت الملوك التي بداخلها، وبناء برج عال مكانها.. بدأ العمل بالفعل على بناء البرج، وأثناء هذا انشغل جيكاي ومن معه بكتابة القوانين الجديدة التي سيسير عليها كل الناس بعد ذلك، وتم تقنين الكثير من القوانين، وفرض العقوبات حتى على أتفه المخالفات، ثم قرروا تقسيم الدولة إلى ثلاث أراض مختلفة.. الأرض الأولى وهي التي يعيش فيها أصحاب المكانات العالية والأغنياء والكهنة، والأرض الثانية يعيش فيها الفقراء، وهؤلاء يتم معاقبتهم بالعيش عليها بسبب فعل خاطئ ارتكبوه، وربما تكون لديه فرصة أخرى للارتقاء من جديد، أما الأرض الثالثة، فلقد قاموا بتحويل الخندق الذي كان من المفترض أن يستخدم للدفاع عن الدولة ضد الأعداء في الحروب.. استخدموه لغرض آخر تمامًا، فلقد ملأوه كله بالوحل العفن، ليلقوا فيه من يرتكب جريمة أو فعلًا يستحق أن يعاقب من أجلها هذه العقوبة...

بعد الانتهاء من بناء البرج وكتابة بعض القوانين في «كتاب أودم» الذي قاموا بتأليف عنوانه، وكتابة كل القوانين بداخله، وضعوه بداخل ذلك البرج في الأعلى، وحرموا على أي أحد الاقتراب منه سوى الملك والكاهن الأكبر، الذي تم تعيينه فيما بعد مساعدًا للملك ليكون ذراعه الأيمن والحاكم من بعده.. شددوا الحراسة حول البرج بكثافة.. من بين

هؤلاء الجماعة الطاغين ظهر السحرة، وأصبح مسموحًا لهم بممارسة طقوسهم السحرية بعيدًا عن الناس، وبشرط أن لا يؤذوا أحدًا بأعمالهم.

زادت المعابد، وزاد عدد الكهنة، وزاد عدد الحراس في كل مكان، ففُتح الباب أمام الجميع لمن يريد أن يعمل حارسًا، ومن كان مؤهلًا لأن يصبح كاهنًا يحصل على اللقب، ويعمل بأحد المعابد ليحكم بين الناس، ويكون صوت الإله والوسيط بين الناس والإله.. وتم تعيين وزراء جدد بناء على موافقة جيكاي.. ليبدأ عصر جديد تمامًا.. عصر مليء بالنجاسة والقسوة والظلم والقتل والسحر وكل شيء خبيث وشرير ومقزز، وكل ملك جديد يأتي بعد موت السابق.. يحكم على نفس النظام والسير على نفس القوانين..

طغى الملوك طغيانًا كبيرًا، وانتشر الخوف بين الناس، الحياة أصبحت مرعبة وغير مستقرة وآمنة كما كانت من قبل، عدد السكان يقل بسرعة كبيرة، الكثير يموت يوميًا، إما في أرض الوحل، أو بحكمٍ من الكاهن عليه.. فُرضت الضرائب على الكل، مع العلم أنها لم تكن موجودة من قبل، أصبح الكهنة قساة في التعامل مع كل من يأتي إليهم طلبًا للمساعدة في مسألة خاصة، وأشداء في الحكم عليهم بأحكام عقوبتها كبيرة ومؤلمة.

أصبح وجود السحرة حتى ولو كانوا بعيدين يخيف الجميع، هناك من يلجأ إليهم سرًّا لطلب خدمتهم في القيام بأعمال شيطانية، نادرًا ما يُعاقب الساحر أو من طلبه للمساعدة على فعل ارتكبه أي منهما، للسرية الشديدة التي يحرصون عليها، بعدها بقليل بدأ في وجود العاهرات، وأصبح لهن أماكن مخصصة من أجلهن، يذهب إليهم الرجال لإشباع رغباتهم الجنسية مع دفع مقابل الخدمة، وهذا عمل مرخص له في الدولة، لا يستطيع أحد منعهم من القيام به...

عند كتابة القوانين، كان هناك قانونينِ مهمينِ جدًّا يهم الملك ويهم الشعب.. وهما:

***

كتاب أودم ص ١ القانون ١:

«يحكم الملك الدولة فترة غير محدودة الزمان.. يتوقف حكمه على قدرته على الإنجاب.. فلو استطاع إنجاب طفل في السنة يحكم هذه السنة.. والسنة التالية هكذا وما بعدها وبعدها، وهكذا إلى فترة غير معلومة.. تحدد مدة حكمه بعدد أبناءه وقدرته على الإنجاب.. وإذا تخلف عن الإنجاب في سنة، يُعزل من الحكم».

***

كتاب أودم ص ١ القانون ٢:

«إذا عزل الملك من الحكم.. يتولى الكاهن الأكبر من بعده حكم الدولة.. ويعين الملك الجديد كاهنًا أكبر جديدًا يختاره من بين الكهنة المنتشرين في المعابد».

***

أعتقد أن بعض الأمور قد وضحت في عقلك الآن، ولكن لا بأس دعني أخبرك بكل بساطة عن معنى هذين النصين السابق ذكرهما:

القانون الأول يقول بأن الملك لا يستطيع أن يحكم إلا إذا أنجب ولدًا على الأقل في السنة الواحدة، فيجب إذا أراد

أن يستمر في الحكم أن ينجب كل عام طفلًا جديدًا، وإذا تخلف في سنة عن الإنجاب يعزل من حكم الدولة، ومسموح له بالزواج بأكثر من زوجة والإنجاب منهم جميعًا، يمكنه أن يتزوج كما يريد من الزوجات لا يوجد حد له، الشرط الوحيد أن تكون زوجته شرعًا وقانونًا كي يكون الابن من زوجة صحيحة، فلا يجوز أن ينجب من عاهرة..

والسر وراء هذا القانون هو أن هؤلاء الجماعة التي كان يقودهم جيكاي لديهم فلسفة أو معتقدات خاصة بهم أو خاصة بنشأتهم، على أن الابن هو الدليل على فحولة أو رجولة الرجل، أو كما يعتقدون في ثقافتهم الخاصة، فإذا أردت أن تحكم دولة وتكون ملكًا يجب عليك أن تثبت أنك تستحق هذا المنصب برجولتك، وذلك من خلال إنجاب طفل كل عام، الأمر غريب، ولكن كان هذا شرطهم وقانونهم الأول...

القانون الثاني يقول بأن الملك إذا عزل عن الحكم بأي طريقة كانت، سواء مات أو انعزل بسبب عدم إنجابه أو قتله أو أيًّا كان السبب، يحكم من بعده الكاهن الأكبر ذراعه الأيمن، وهو الوحيد الذي يسمح له مع الملك الاطلاع على «كتاب أودم» ودخول البرج، وهو والملك سواء في كل شيء، حتى أن الكاهن الأكبر يحكم في بعض الحالات

الاستثنائية؛ كمرض الملك أو ذهابه في رحله، أو تغيبه عن مباشرة سلطته أيًّا كان السبب.. لذا فهو من يحكم بعد انتهاء فترة مَن قبله، وهو بدوره يعين كاهنًا أكبر جديدًا ليحل محله إذا انتهت فترته هو الآخر يومًا ما، وهكذا تدور العجلة أو نظامهم...

***

10

الحاضر..

يجلس كاسياسي وبتاري في القصر بداخل إحدى الغرف، كان النقاش بينهما في البداية هادئًا ثم بدأ يأخذ منعطفًا آخر، فكر كاسياسي من قبل في عدة أمور إذا حدثت ستغير الكثير من الأشياء في الدولة، وسيولد عصر جديد معها، كانت لديه رغبة في أن يقنن قانونًا جديدًا ينص على أن من يحكم من بعد الملك أحد أبنائه، يختاره الملك ليكون الملك بعد وفاته.. ويُمحى القانون الذي ينص على أن يحكم الكاهن الأكبر، بالطبع كانت هذه الفكرة فيها تعدٍّ على حق الكاهن الأكبر، وتغيير كبير في طريقة نظام الحكم منذ مئات السنين، وهذا ما أغضب بتاري عندما صارحه كاسياسي بهذه الفكرة، اعترض على كلامه ولم يوافق أن يقنن قانونًا ينص على هذا الهراء، فهذا تعدٍّ على حقه وأخذه منه ظلمًا، بالإضافة إلا أنه لو فعل هذا، فأيًّا كان مَن سيحكم من أبنائه لن تكون لديه الخبرة والعلم الكافي لهذه المسؤولية الكبيرة بخلاف الكاهن الأكبر...

- بعد كل ما فعلته معك ومساعدتك طيلة كل هذه السنين تكون هذه مكافأتي؟

- ستظل في منصبك، لن تذهب لأي مكان.

- لا لا هذا اغتصاب لحقي، ولن أسمح بحدوث هذا.

نهض وغادر غاضبًا، وكان يبدو عليه أنه لن يستسلم بسهولة أمام هذا الأمر، ولم يدع أمام كاسياسي سوى أن يجبره على التفكير ببعض الأمور السيئة ضده ليتخلص منه كيلا يعيقه فيما بعد.. خرج كاسياسي من القصر متجهًا إلى البرج، يبدو أنه على وشك فعل شيء كبير الآن، رأى حراس البرج ملكهم قادمًا ناحيتهم، فأفسحوا الطريق أمامه سريعًا، ليدخل هو من باب بطوله تقريبًا، دخل وعاد الحراس إلى مواضعهم مرة أخرى، المكان بالداخل مظلم، وكان يوجد بعض الغربان في المكان تطير في الأرجاء، مع ازدياد قوة الرياح قليلًا، أشعل النار في إحدى تلك العصيان الخشبية المعلقة على الحائط بجانبه، أمسكها ليضيء أمامه سلمًا ملتفًّا يقود لأعلى البرج.

تحرك إليه وصعد درجات السلم، استغرق بضع دقائق حتى وصل إلى القمة، نظر إلى السماء ليجد القمر يضيء له المكان بشكل جيد، أمامه كان يوجد صخرة بنصف طوله على شكل منضدة، أو على شكل حرف (T)، وعليه يوجد كتاب غلافه أسود مغلق برباط سميك من حوله في كل جزء منه، الكتاب كان ضخمًا كالمجلدات، ولكن حجمه أكبر بقليل، فك وثاق

الحبل من عليه ليفتحه على الصفحة الأولى ليبدأ بمحو نص القانون الثاني، ثم أخذ من جانب الكتاب ريشة موضوعة في زجاجة حبر سوداء صغيرة، ليكتب هذا النص:

كتاب أودم ص١ القانون ٢:

«يحكم الدولة بعد وفاة الملك.. أحد أبنائه الذي يختاره بإرادته.. وإذا كان الابن ما زال صغيرًا ولم تكن لديه الخبرة الكافية بعد فيساعده في الحكم الكاهن الأكبر.. حتى يستطيع تحمل المسؤولية بنفسه».

***

وضع الريشة جانبًا وهو ينظر لما كتبه، يتخيل المستقبل، لا يعلم أنه بفعلته تلك فتح على نفسه أبواب الجحيم، أغلق الكتاب وربطه كما كان، ثم عاد أدراجه وخرج، قبل أن يرحل قام بأمر الحراس بأنه إذا أتى إليهم بتاري لا يسمحوا له بالدخول مهما فعل أو قال، وفي الأعلى عند تلك الشرفة، كان بتاري يقف يشاهده يخرج من البرج عائدًا إلى القصر، وهو يتوقع ماذا فعل، فكانت تبدو علامات الغضب واضحة على وجهه بقوة...

- أنت من بدأت يا كاسياسي.

***

في صباح اليوم التالي بدأ الجميع بالعمل في التحضير لاحتفال اليوم «عيد القرابين» أو «عيد قرابين الإله» عند المعبد الرئيسي الذي كان قريبًا من القصر، هو احتفال يقام

كل عام بمناسبة القرابين الذين سلموا أنفسهم طواعية للإله، فتقوم جميع كهنة الدولة بحساب عدد القرابين خلال تلك السنة، ثم يحتفلون بهذا الرقم، وهي مناسبة يحضرها أناس الأرض الأولى فقط كما نص على ذلك الكتاب:

***

كتاب أودم ص ٣ القانون ٤:

«يقام عيد قرابين الإله مرة كل عام.. يحضره أناس أرض النعيم فقط لا غير».

***

جاء الليل وبدأ الناس بالتجمع أمام المعبد الرئيسي، يأكلون ويشربون كما يفعلون في أي احتفال، حضر الملك وزوجته والكاهن الأكبر ودخلوا إلى المعبد، ثم خرجوا ثلاثتهم بعدها بقليل ومعهم بعض الكهنة.. جلسوا أمام الناس يشاهدونهم وهم سعداء، خطر على عقل رومانا شيء فقالت لكاسياسي:

- أريد منك أن تفعل لي شيئًا هذه الليلة.

ثم نهض بتاري ليلقي خطابه كعادته:

- أهل أرض النعيم.. أعيروني انتباهكم للحظات من فضلكم.. مرحبًا بكم جميعا في الاحتفال السنوي بعيد قرابين

الإله.. نحتفل اليوم ب٢٣٠ قربانًا.. وكما تعلمون جميعًا أن مَن يسلم روحه طواعية للإله.. يعيش في النعيم في الحياة الأخرى بكرم من الإله عليه؛ لأنه لم يغضبه وامتثل لأوامره.. أما من يتهرب من تقديم نفسه قربانًا.. يُعدم بالحرق حتى الموت.. وعندها يغضب عليه الإله ويعيش في جحيم في الحياة الأخرى.. شكرا لاستماعكم..

أنهى خطابه الذي يلقيه كل سنة كما هو دون زيادة أو نقصان غير اختلاف العدد فقط، ثم غادر المكان، عادة يجلس حتى نهاية الاحتفال عكس هذه المرة، وكان كاسياسي يعرف سبب تصرفاته تلك.. انتهى الاحتفال وفي طريق عودتهم أمر حارسين بالذهاب لمكان ما لقضاء مهمة سرية صغيرة له، خرجا من موكب الحراس الذي كان يسير من حول الملك وذهبا حيث أمرهما، ووصلا إلى بيت كريستي، تأكدا قبل الدخول من عدم وجود أحد يسير أو يراقبهما في المكان، ركل أحدهما الباب بقدمه ليقع على الأرض، دخلا عند كريستي وبرينا اللذين كانا جالسين مع ابنهما يمرحان ويلعبان بكل سعادة، تفاجأ الزوجان من وجود حراس يقتحمون منزلهما في هذا الوقت وبهذه الطريقة الغريبة، لم يتركا لهما مجالًا للكلام أو الاستفسار، أخذ أحدهما الطفل مينالي، والحارس الآخر أخرج سيفه وقطع رأس الزوجين معًا، لتنفجر الدماء من أعناقهما، ويقعان جثتين هامدتين

على الأرض تسيل منهما الدماء مع اهتزاز جسديهما بسرعة حتى هدآ، لتدل على خروج الروح نهائيًا.. عادا إلى الملك وأعطيا له الطفل، وبعدها أمر كاسياسي حارسين آخرين بقتل هذين اللذين أحضرا له الطفل، فوقعا على الأرض غارقين في دمائهما هما الآخرين.

بعدها ذهب بدوره وهو يحمل مينالي ودخل على رومانا في غرفتهما، وعندما رأته فرحت بشدة وأخذته تحتضنه ثم قال لها:

- أتريدين شيئًا أخر؟

- لا، فلقد جعلتني الآن سعيدة وهذا يكفيني.

***

***

يجلس عامر في المبنى الإداري الخاص بكبار المهندسين والرسامين، المبنى مكون من ستة عشر طابقًا، كل طابق خاص برتبة أو طبقة معينة من المهندسين، أعلاهم مكانة أو طبقة هم من يجلسون في الطابق الأخير.. حيث كان يجلس معهم عامر وبجانبه شابكتا، كانوا جميعًا يجلسون على كراسي حديدية جميلة الصنع، كان حجم ذراع الكرسي الأيمن كبيرًا شيئًا ما، لمن يريد أن يضع عليه شيئًا خاصًا

بعمله كورقة أو كوبًا أو أي شيء.. البعض يتحدثون فيما بينهم ويتشاورن في بعض تفاصيل العمل، وهناك من يجلس بمفرده يقوم بتخيل بعض الأشياء في رأسه ويرسمها على الورقة، وهناك من يمسك بعض الأحجار الصغيرة ويرسمها على أشكال عدة.. الجميع منشغلون في أعمالهم، يتابعهم بشوق، وشابكتا لا يفهم سر انجذابه السريع لهم بهذا الشكل، مع أنه كان منذ أيام لا يريد المكوث هنا والخروج هو وأخوه بأي طريقة.. كانت تصرفاته غريبة قليلًا، فأخرجه شابكتا من تركيزه:

- عامر ماذا تفعل؟

- لا شيء، انتظرني قليلًا وسأعود إليك بعد قليل.

نهض وذهب إلى رجل كان يجلس في ركن ما وحده لا يفعل أي شيء غير أنه يشرب عصيرًا من الفاكهة من كوب الفخار الذي يحمله، اقترب منه وسحب كرسيًّا ليجلس بجانبه، ليفاجأ هو بذلك الغريب الذي اقتحم هدوءه وخصوصيته، ليسأله بكل اندهاش:

- من أنت؟ وماذا تريد؟

- أنا جديد هنا أتيت من طرف الملك، فقط أريد سؤالك عن بعض الأشياء إذا سمحت.

- من طرف الملك!! اسأل بالطبع.

- ماذا تعرف عن البرج؟ أو كيف يبدو من الداخل؟

- لا أحد يدخل إليه غير الملك والكاهن الأكبر، وبالتالي فلا أحد يعرف كيف يبدو، ولكن من ينظر إليه سيعرف كيف يبدو من الداخل بسهولة، في البداية ستدخل إلى البرج من خلال باب مختبئ خلف ظهر أحد الحراس، بالطبع سيكون هناك سلم ملتف حتى أعلى البرج، بسبب طول البرج والذي يصعب معه بناء سلم غير هذه الطريقة، إلا إذا كان هناك وسيلة أخرى للصعود إلى الأعلى، أخمن أن كتابنا المقدس يقبع في نهاية ذلك السلم في الأعلى، يصعد الملك على السلم ويلتف صاعدًا حتى يصل إلى الكتاب، يفعل ما يفعله ثم يعود بعدها إلى الأسفل ليخرج كما دخل...

- أهذا كل شيء تستطيع توقعه؟

- ماذا تقصد؟

- أقصد ماذا لو كان هناك شيء آخر غير السلم أو الكتاب.. شيء غامض لا يعرفه أحد أو مكان سري على سبيل المثال.

- صدقني ليس لدي علم بأي شيء، ولكن هناك أمر فكرت فيه من قبل بالفعل، تحت القصر يوجد نفق تحت الأرض، علمنا هذا من أجدادنا الأولين الذين قاموا ببناء القصر، وبما

أن القصر بجانب البرج، فهناك احتمال صغير أن ذلك النفق يوصل إلى مكان ما سري أسفل البرج ويدخل إليه من خلاله.

- لو ما تقوله صحيحًا، فلن يحتاج الملك أن يدخل إلى البرج من بابه، وسيختار مباشرة طريق النفق دون علم أحد.

- معك حق، ولكن لو كان هذا النفق موصلًا إلى مكان أسفل البرج بالفعل، فقد يكون له غرض آخر، أو ليخفي شيئًا ما، أو ليس كل هذه الأمور، فقد يكون لغرض هروب عائلة الملك أو أي شخص في أوقات الحروب.

- ما يضايقني هو المبالغة في حماية هذا البرج إلى كل هذا الحد.

- «كتاب أودم» هو دستورنا، قوانينه هي ما نسير عليها ونتبعها، تقنين قانون جديد أو تعديل قانون قديم هو أمر في غاية الأهمية، لذا هو يستحق كل هذه الحماية.

- لا أوافقك الرأي.

وتركه عامر وعاد ليجلس بجانب صديقه:

- ماذا كنت تتحدث معه؟

- كيف لم يخطر على بالي هذا من قبل، أنت كنت تعمل حارسًا في القصر، هل يوجد نفق تحت الأرض أو سمعت

شيئًا عن هذا الأمر؟

- لا لم أسمع لماذا؟

- لأنني أريد حل سر غموض هذا البرج اللعين، أريد أن أنهي هذه اللعبة سريعًا وأحل لغزها.

***

يسمع مصطفى طرقًا على باب غرفته، استيقظ من على فراشه وفتح الباب ليفاجأ بكاسياسي:

- هل تسمح لي بالدخول؟

لم يتكلم بل تحرك من مكانه ليفسح له الطريق للدخول، دخل وجلس وتبعه مصطفى ليجلس أمامه يسأل نفسه: لماذا أتى هذا له الآن؟ وماذا يريد؟

فابتسم له كاسياسي وقال:

- ما أكبر مسؤولية تحملتها في حياتك كلها؟

شرد قليلا يفكر ثم قال:

- مسؤولية نفسي، أن أجتهد في دراستي لأصبح شخصًا ناجحًا في المستقبل.

- جميل، وهل تحملت مسؤولية شخص أخر غيرك؟

- ما رأيك أن نترك هذه المقدمة الغامضة وتدخل في الموضوع مباشرة.

- ما رأيك أن تصبح الملك وتحكم «أورينتس»!!

- ماذا!!! هل ما سمعته صحيحًا؟

- نعم صحيح، أريدك يا مصطفى أن تكون خليفتي ووريثي بعد موتي، أن تعترف وتقبل من كل قلبك أنني والدك، وسأجعلك الملك.

- لحظة واحدة، لماذا تفعل هذا؟ ماذا ستستفيد؟

- لا شيء، هذا الأمر ضد القانون والعادات، ولكن عندما رأيتك وأعجبت بك فكرت في اتباع سياسة جديدة للحكم، وهي أن يكون أحد أبناء الملك هو الملك بعده، وتغيير القانون الذي يقول بأن يحكم الكاهن الأكبر، من خلال سلطتي التي أتمتع بها في تغيير القوانين وتعديلها، فكرت في هذا وقلت لنفسي: ولم لا؟

- جلالتك أنت لا تعرفني ولا أنا أعرفك، أنا لست ابنك، أنا لدي عائلة، لدي أب وأم وأخ، ولا أريد أن أكون ملكًا.

- لا تتخذ قرارك سريعًا، لست على عجلة من أمري، خذ كل الوقت للتفكير وسنتحدث مرة أخرى.

***

لم يكن بتاري سعيدًا أبدًا بسبب ما يفعله كاسياسي أو يفكر في فعله، ليس بعد كل هذا العمر وكل هذه الخدمة له، تكون هذه هي المكافأة، فلم تكن لديه النية أبدا للاستسلام والجلوس هكذا دون فعل شيء، خرج يومًا من القصر وذهب إلى السوق، توقف عند أحد التجار الذين يبيعون البقر والغنم، طلب من الصبيان الذين يعملون في المكان مناداة صاحب الدكان، جاء وتفاجأ برؤية الكاهن الأكبر بنفسه يقف أمامه، فهو يعرفه...

- الكاهن الأكبر بتاري!

- لا وقت لدي لهذا، جواسيسي أخبروني أنك على صلة ببعض السحرة، أريدك أن تأخذني إلى ذلك الساحر الذي اقتحم القصر منذ أيام، أنا واثق أنك سمعت بهذه الحادثة.

- سمعت ولكن لماذا؟

- ليس من شانك، إما أن تأخذني الآن أو أقبض عليك وأعاقبك على جرائمك التي تقوم بها سرًّا مع السحرة.

- حسنًا حسنًا سآخذك.

ذهبا إلى ذلك الكهف، وكان الظلام قد حل، أشار له التاجر

بأن يدخل ويتبع تلك الرائحة الكريهة وسيصل إليه، رحل هو ودخل بتاري إلى الكهف، ولم يعبأ بأي شيء في طريقه، فقط ظل يسير خلف الرائحة حتى رآه، ليجده نائمًا على بطنه كعادته:

- من أنت؟ وما حاجتك؟

سأله حور وهو على وضعه دون أن ينظر إليه حتى، فأجابه:

- أنا الكاهن الأكبر، وأريدك في أمر كبير.

خرجت من العدم الكثير من الغربان السوداء تطايرت في المكان بسرعة ومن حول بتاري، حاول إبعادها عنه ومن أمام ناظريه، وعند اتضاح الرؤية حوله، وجده يقف أمامه:

- أرجوك دعك من هذه الحركات، فأنا لا أخاف.

- من خلال ذلك العرض الصغير الذي أقوم به، أعرف مع من أتعامل وهل يستحق خدمتي أم لا، تفضل قل ما تريد.

- أريد الإطاحة بالملك.

نظر إليه حور بسرعة والاندهاش يكسو وجهه وعلامات التساؤل والحيرة على وجهه عبرت عن كل ما بداخله دون أن يتكلم، فأكمل بتاري:

- سأشرح لك.

***

- مكان جميل.

التفت الكاهن إلى ذلك الصوت ليجد عامرًا هو من يقف خلفه يتابعه، وهو يقوم بطقوسه الدينية.

- من أنت؟

- حقًّا لقد سئمت من كثرة هذا السؤال، مرحبًا أنا عامر، لدي تصريح من الملك بالتجول في أي مكان والتحدث مع من أريد.

لم يهتم الكاهن بكلماته وأسلوبه الساخر في التحدث، فسأله:

- ما مسألتك؟

- أريدك أن تحدثني عن تلك التماثيل الصغيرة التي يصنعها أناس الأرض الثانية.

- ليست تماثيل بل رموزًا، وهذا عملهم المكلفون به.

- وما دوركم أنتم ككهنة؟

- نحن صوت الآلهة.. نحن من نحكم في القضايا.. نحن

العين التي تراقب كل شيء.. نحن من نسيطر على العقول.. نحن من نحرك من نريد إلى حيث نريده أن يذهب.. نحن القوة التي لا نهاية لها.

- أعتذر عن المقاطعة، ما هذه الرسوم التي على الجدران، ألها معنى؟

- نعتقد أن لها معنى ما، ولكن لا أحد يعرف، رسمها القدماء دون تفسير ماذا يقصدون أو على ماذا تدل.

دقَّق عامر النظر على الجدران الأربع، وبالأخص على الجدارين المرسوم عليهما الرجل النائم على ظهره، والمرأة النائمة على بطنها، ووجود تلك الأفاعي...

- هل هذه الرسوم موجودة في كل المعابد؟

- نعم.

غادر وهو يبتسم أمامه بكل خبث وسعادة، يبدو أنه اكتشف شيئًا ما أو ربما لا..

***

في صباح اليوم التالي كان العبيد قد انتهوا من صنع تمثال الملك.. بعدها قاموا بلف تلك الحبال حوله من جديد ليجروه إلى مكان آخر، أخذ كل منهم طرفًا منه وبدأ الحراس

يصرخون فيهم بأن يتحركوا، أخذوا بعض الوقت في البداية ثم تحرك التمثال، وهم يبذلون كل ما عندهم من طاقة، اتجهوا إلى بوابة أرض النعيم، ففتحوها وسمحوا لهم بالعبور، كانت المساحة تسمح بمرورهم كلهم مع التمثال، فلم يكن عسيرًا عليهم أن يعبروا من البوابة، بالطبع استغرق هذا بضعة ساعات، يسير بعض الحراس من أمامهم يوجهونهم عند نقطة معينة ليتركوا التمثال عندها، لم يتركوهم ليأخذوا راحة ولو لخمس دقائق، ما زالوا يسيرون وهم متعبون بشدة، يحاولون الانتهاء من هذا العمل سريعًا.. فصرخوا جميعًا بصوت واحد ليرفعوا من حماسهم وليزيدوا من سرعة تحرك التمثال أكثر، وصلوا في النهاية عند المعبد الرئيسي وتركوه بجانبه، ليكون في المنتصف بين المعبد والقصر، بعدها ترك كل واحد الحبل من يده، ليقعوا جميعًا على الأرض يأخذون أنفاسهم ويستريحون قليلًا من هذا العذاب...

وصل عامر ومن معه من المهندسين ليشاهد هذا المشهد المذهل، التمثال يشبه كاسياسي تمامًا، التاج على رأسه، ويقف ينظر إلى الأمام وكلتا يديه بجانبه وقدميه ملتصقتان ببعضهما.. رأى عامر حال العبيد فنادى على نفس الحارس الذي كلَّمه في المرة السابقة وطلب منه إحضار طعام وشراب لهم في الحال، لم يعترض هذه المرة وذهب وجاء

بعد قليل ومعه بعض الحراس يحملون الكثير من الأطعمة والمشروبات.. تجمع بعض الناس يشاهدون تمثال الملك الجديد، ومن وسطهم كان يقف بتاري متخفيًا، يبتسم ابتسامة خبيثة قائلا:

- سيقع هذا التمثال قريبًا كما سيحدث مع الملك!

11

أنهى كاسياسي عشاءه واقترب منه أحد الحراس ليخبره بأن هناك ضيفًا جاء ويريد مقابلته، عرف من هو، وسمح له بأن يدخله، ذهب ينتظره في أحد الغرف المعدة لاستقبال الزائرين، أتى الحارس ومن خلفه ظهر عامر، ثم أشار له كاسياسي بأن يدخل...

- أتمنى ألَّا أكونَ قد أزعجتك.

- لا على الإطلاق.

- سأزيل علامات الاستفهام وأخبرك عن سبب زيارتي، واعذرني لأنني سأتكلم معك بوضوح.

- ما الأمر يا عامر تحدَّث.

- بعد حادثة اقتحام الساحر قصرك وقتله لأبنائك، استطعت أنا بعد تفكير حل بعض الأشياء الغامضة، في البداية عرفت أنك أخذت طفلًا من رجل يُدعى كريستي بدون وجه حق، أخذته لنفسك ليكون واحدًا من أولادك، بعدها هو استعان بذلك الساحر وفعلا ما فعلاه هنا، وإذا نظرنا إلى عدد أبنائك الكثير، وأن لديك زوجة واحدة، فالأغلب أنهم جميعًا ليسوا منك ومنها، ليسوا كلهم أبناءك الحقيقين، لا أعلم ممن أخذت أولادًا آخرين كما فعلت مع

كريستي، وأنا أفهم لماذا تفعل هذا، كي تستمر في الحكم وتكون ملكًا إلى أن تموت، فتخدع الناس كلهم بأنك كل عام تنجب طفلًا وتقوم بهذا الاحتفال السنوي، وتستمر مسيرتك في الحكم إلى وقت وفاتك، بالتأكيد كل الملوك قبلك كانوا يفعلون هذا مع أن هناك قانونًا يسمح لكم بأن تتزوجوا كما تريدون من الزوجات، وتنجبوا منهم الكثير من الأولاد، ولكن أغلبكم اتخذ هذه الطريقة القاسية لتخدعوا الناس.. تأخذون أطفال غيركم جبرًا وتحرمونهم من أبنائهم وتتسببون في حزن وانهيار عائلات بسبب أنانيتكم أنتم الملوك، وزوجاتكم يوافقنكم على فعل هذه الأمور، وبالطبع الكاهن الأكبر يعرف كل هذا، ولا تسمح لأحد غيره بمعرفة هذه الأسرار، وإذا اكتشف أحدهم ما تفعله تقتله كيلا يفضح أمرك.

ولكن أتعلم أمرًا، أنا واثق بأن الجميع يعرف كل هذه الأمور وما تفعله، ولكنهم لا يتكلمون ويكتمونها بداخلهم كيلا يكشفوا أنفسهم وتقتلهم، ولكن أحيانًا ترد عليك نتائج ما تفعل، ورأينا ما فعله الساحر بك وحرصك على ألَّا يكشف أحد سر هذه الحادثة وعدم مطاردتك له وقتله، كل هذا من أجل ألَّا تفضح، ولكنك بالفعل مفضوح على الملأ وأنت لا تدري...

- أنت شجاع يا عامر وذكي، ولكن لماذا تخبرني بكل هذا

الآن؟

- لتعرف أنني في أي لحظة يمكنني أن أخبر الجميع وأجعل سيرتك تنتشر بين الكل بشكل سيء جدًا، إذا فكرت مجرد تفكير بأن تلمس شعرة من أخي.

ضحك على كلماته ثم قال:

- أنا لن أؤذي أخاك أبدًا، فكيف لي أن أؤذي خليفتي ووريث العرش من بعدي.

- ماذا! وريث العرش؟!

- نعم سأجعل أخاك ملك أورينتس.

***

بعد تلك المناقشة بيومين.. حدث شيء غير متوقع نشر الفزع بين الجميع غير مدركين كيف حدث ولماذا.. وجدوا جثة وزير الأمن وهو مقتول ومعلق أعلى تمثال الملك الذين انتهوا من بنائه حديثًا، أنزلوا جثته ووضعوه على الأرض، ولم يقترب منه أحد حتى يصل الملك ويراه بنفسه، ويقرر ماذا يفعل به، جاء سريعًا عندما سمع الخبر، نظر إليه ولم يصدق عينيه، عارٍ تماما وجسده كله بلا استثناء أسود كالفحم، عيناه مفتوحتان على آخرهما، وكأنه رأى الهول قبل

موته، أظافر يديه وقدميه غير موجوده، أماكنها يوجد رسوم لعلامة شعلة نار صغيرة، رأسه الأصلع كان مرسومًا عليه أفعى ملتفة حول نفسها..

يقف الكثير من الناس يشاهدون الجثة، يحاولون فهم ما يحدث مع شعورهم بالخوف، لم يستطع كاسياسي النظر إليه أكثر، فأمر حارسين بنقله بعيدًا وحرق جثته، عاد إلى القصر واجتمع بباقي وزرائه ومعهم بتاري يناقشون تلك الجريمة البشعة.. فتكلم أحدهم:

- إنه عمل ساحر.

رد كاسياسي:

- ولماذا يفعل ساحر لوزير أمرًا بشعًا كهذا؟

- لا أعلم، ولكن أعتقد أن المقصود من وراء هذه الجريمة هو أنت سيدي الملك.

نظر إليه باندهاش وبعض الخوف ظاهر علي وجهه، أيعقل أن يكون هذا الساحر هو نفسه من اقتحم قصره سابقًا، وإذا كان هو فماذا يريد منه الآن، نظر إلى بتاري وسأله:

- ألديك علم بأي شيء عن هذا الأمر؟

- للأسف لا.

لم يرتح لرد بتاري، وبدأ الشك بداخله ناحيته يكبر، أنهى الاجتماع وذهب إلى غرفته، وجلس بجانب زوجته على الفراش، ثم نظر إليها وهو منهك وقال:

- يبدو أن حكاية كريستي لم تنته بعد.

***

أهلا بك في أرض الوحل مرة أخرى، ما زال الجميع على حالهم والأوضاع كما هي دائمًا، الحراس في أماكنهم، والموتى في الأسفل ومن يصارع ليبقى على قيد الحياة.. بعد الخندق في الناحية الثانية بعيدًا عن حدود «أورينتس»، من بعيد إذا دققت النظر سترى تحرك شيء يقترب ناحيتهم، شيء قادم من العدم.. بدأ يظهر تدريجيًّا ليتضح أنه فارس على جواد يقترب إليهم، لا ليس واحدًا بل اثنين بل ثلاثة بل عشرات، يبدو أنه جيش كبير!

وأيضا هناك صقر يطير بسرعته المبهرة إلى أن هبط واقترب من رأس أحدهم ليلقي عليه ورقة صغيرة، ألقاها عليه الصقر وطار عائدًا من حيث أتى، التقط الحارس الورقة وقام بفتحها ليجدها رسالة من جملة واحدة: *(من أوشدنتم إلى أورينتس.. الحرب قادمة!)*.

***

بعد أن أنهى قراءة تلك الجملة القصيرة، بلع ريقه وخلع الخوذة من على رأسه ونظر لكل من حوله وهو يشعر بخوف شديد لا يعرف ماذا يقول، ومن أين يبدأ، حاول أحدهم التكلم معه ليفهم ماذا حدث له:

- ما الامر؟

أجابه وهو يتلعثم:

- أوش أوشد أوشدنتم قادمة!

***

في نفس اليوم كان الخبر قد وصل إلى كاسياسي، فور سماعه نهض من على عرشه ينظر أمامه شارد الذهن غير مصدق ما سمعه، أرسل لكل الوزراء ولوزير الأمن الجديد وجميع الكهنه لعقد اجتماع عاجل.. كانوا جميعًا قد وصلوا ليلًا وجلسوا على مائدة الاجتماعات داخل القصر، يتناقشون في هذه الكارثة التي ستحل عليهم قريبًا!

دعني أحدثك قليلا وفي عجالة عن «أوشدنتم».

دولة العالم الأولى، أو أم البلاد كما يطلقون عليها في بعض الأحيان، حجمها خمسة أضعاف حجم «أورينتس» أو أكثر، موجودة منذ ملايين السنين، أي ما قبل وجود «أورينتس»

بكثير، هي أكبر الدول على وجه الأرض حجمًا وقوة، كانت أي جماعة أو أي قوم خارج حدود دولتهم إذا أرادوا بناء دولتهم الخاصة، كان يجب عليهم في البداية بأن يأخذوا إذنًا من أوشدنتم إما بالموافقة أو بالرفض، نشأت العديد من الدول الصغيرة التي لم يتجاوز عدد سكانها الخمسين ألفًا أو السبعين..

إلى أن ظهر قوم جدد يريدون بناء دولتهم كالبقية، ولكنهم كانوا أكثر عددًا وقوة عن باقي الدول الصغرى، كان عددهم وقتها مليونًا أو أقل بقليل.. اندهشت أوشدنتم من هذا الكم الكبير منهم، فكروا في البداية بعدم منحهم الموافقة ببناء دولتهم، لأسباب سياسية واقتصادية خاصة بهم.. ثم بعد تفكير طويل وبعد مشورة أحد الكهنة الكبار عندهم، وافقوا على إعطائهم الحرية في بناء دولتهم والتي أطلقوا عليها فيما بعد اسم «أورينتس»..

مع مرور الزمن كان عددهم يزداد أثناء عصر حكم «الأولين»، أما بعد الانقلاب الذي حدث بدأت تنقص أعدادهم.. أما أوشدنتم فلم يحدث فيها أي انقلابات وظلت على مر الزمان محتفظة بقوتها وهيبتها وكبر حجمها أمام كل دول العالم..

ولكن ما لا تعلمه أن موافقتهم على منح أورينتس ببناء

دولتهم لم تكن موافقة عابرة هكذا كالبقية، بل كان وراءها غرض آخر أكبر بكثير، حققوه بالفعل فيما بعد ليصبحوا أكثر قوة سياسيًّا واقتصاديًّا.. يبدو أن هذه اللعبة الخبيثة موجودة في كل مكان وفي كل عصر حتى في الحكايات الخيالية!

أصدرت أوشدنتم عدة قوانين دولية مع كل الدول يجب على الجميع الالتزام بها.. من ضمن تلك القوانين، أن مجرد التفكير أو التحرك ضد أوشدنتم بأي سوء أو اختراق جدارهم بنية سيئة، تنقض عليهم أوشدنتم وتدمر دولتهم عن بكرة أبيها لتكون عبرة لكل الدول.. بالطبع لم تجرؤ أي دولة بالمساس بهم بأي سوء خوفًا على أنفسهم من الهلاك، ولم يسمع أي أحد على مر الزمان عن أية حروب قامت بها أوشدنتم ضد أي دولة..

أما الآن في الوقت الحاضر فهم يتحركون تجاه أورينتس ليدمروها، لا أحد يعرف السبب حتى الآن مع العلم أن كاسياسي لم يفعل أي شيء يضرهم، هناك أمر ما يحدث وعلى أحدهم أن يكتشفه في الحال!

***

لاحظ عامر أن هناك اضطرابًا في حركة الحراس في كل الأماكن، وشعر بأن هناك شيئًا ما سيئًا يحدث في الخفاء،

أو على وشك الحدوث، ذهب إلى القصر وسمح له الحارس بالدخول، فهو يعرفه من المرة السابقة، دخل ولم يجد الملك، فكان قد ذهب مع وزرائه والكهنة في المعبد الرئيسي يتحدثون عن الحرب القادمة.. قبل أن يخرج رأى عامر رومانا جالسة على كرسي في ركن ما، تأملها قليلًا من بعيد ثم ذهب إليها وسألها عن أخيه، فقالت:

- أنت عامر الأخ الأكبر لمصطفى

- نعم أين هو؟

- اجلس أريد التحدث معك قليلًا.

- ليس لدي وقت لهذا.

- أخبرني زوجي أنك اكتشفت أمر الأبناء وكيف نحضرهم ولماذا.

- نعم وهذا يفسر أخذكم لأخي.

- كل عام وفي يوم الاحتفال بالمولود الجديد أحزن حزنًا شديدًا عكس الجميع.

- هذا أكيد، كيف لا تحزنين ومعظم الأطفال الذين يعيشون هنا ليسوا أولادكما الحقيقين، إذا لم يكونوا جميعهم من الأساس.

- هذا ليس السبب، بل بسبب أشكال كل الأطفال التي تولد عليها.

- لا أفهم ماذا تقصدين؟

- أخوك في غرفته اذهب إليه.

ما هذه المرأة المجنونة، لم يحاول التكلم معها أكثر أو حثها على التوضيح، فلقد كان يريد مقابلة أخيه عاجلًا، صعد وذهب لغرفته في آخر الممر، طرق على الباب ثم فتح ليفاجأ برؤيته، تعانقا سويًّا، ثم دعاه للدخول، جلس كلاهما ينظران لبعضهما وهما يبتسمان لأن كل منهما بخير وفي كامل صحته ولا ينقصهما شيء سوى عودتهما إلى ديارهما.. بعد أن اطمأن كل منهما على الآخر، سأله عامر مباشرة:

- ماذا يحدث هنا؟

- لن تصدق، هناك حرب قادمة.

- حرب!، أخبرني شابكتا أن مثل هذه الأمور لا تحدث.

- والملك أيضًا لا يفهم كيف حدث هذا.

نهض عامر ليقف أمام الشرفة ينظر للخارج يستنشق الهواء وهو مبتسم ثم قال:

- يبدو أن هناك خائنًا بين حاشية الملك هو من تسبَّب في

هذه الحرب.

- ولماذا يفعل أحدهم هذا؟ على حد علمي ما سمعته أيضًا أن تلك الدولة القادمة لخوض هذه الحرب هي أكبر من أورينتس بكثير وأكثر قوة وعددًا، وإذا اندلعت الحرب بالفعل ستدمر أورينتس ويموت كل من فيها، ماذا سيستفيد هذا الخائن من كل هذا الدمار؟

- سيستفيد بأن لا تحكم أنت في المستقبل.

- أتقصد؟

- نعم هو.

***

بطريقة ما انتشر خبر قدوم الحرب في الأراضي الثلاثة، وحالة كبيرة من الفزع انتشرت بين العامة، الموت قادم إليهم ولا يعرفون ماذا سيفعلون، وكيف سينجون بحياتهم، لا يعرف الملك ماذا يفعل وكيف سيهدئ من خوفهم، الأمر برمته خرج من يديه، كل ما يفعله الآن هو تجهيز أكبر جيش والاستعداد لتلك الحرب، فجلس هو ووزير الأمن ليضعا خطة محكمة لتجهيز الجيش من كل الحراس الموجودين في الأراضي الثلاثة على أعلى مستوى، وأيضًا استعان بالكثير من الفرسان المقاتلين المحترفين، وأصدر أمرًا

بسحبهم كلهم من أماكنهم التي كانوا موجودين فيها.

هذه حالة طارئة وسيقومون بفعل كل ما يلزم، بالفعل انسحب الجميع من أماكنهم، والتي هي بالمناسبة أماكن تشبه النوادي القتالية، يجلسون هناك دائمًا دون فعل شيء.. فقط الحراس الموجودون عند الخندق تلقوا أوامر بعدم التحرك من هناك حتى يأتي إليهم باقي الجيش.. تجمع كل حراس أرض النعيم وأرض الفقراء، وأمرهم الملك بعدم التحرك الآن لحين الانتهاء من بعض الأمور، وبعدها يأمرهم بالتوجه إلى الخندق، أخذ كل حارس فرسه وسيفه، وهناك جزء يحمل القوس والسهام..

دخلت كل العائلات إلى بيوتهم وأمروهم جميعًا بعدم الخروج إلى الطرق والاختباء في منازلهم، وتم فرض حظر تجوال في الدولة كلها.. فتح الملك باب الترشح لمن يريد أن يحارب ولديه المقدرة على ذلك، فتقدم العديد من الشباب الصغار وبعض الرجال الكبار، وتبرع أغنياء أرض النعيم لكل الجيش ليعدوا أنفسهم بكل العتاد الممكن من سيوف وسهام وخيول وطعام وكل ما يلزم...

في وسط كل هذا واستعدادات الجيش، كان جيش أوشدنتم متوقفا قبل الخندق بعشرين كيلومتر، يخيمون في أماكنهم، لا يريدون أن يهجموا الآن ولم يستعد جيش

أورينتس بعد.. لا يريدون خوض حرب غير عادلة، الطرف الآخر فيها غير مستعد بعد، وعندما يتجمع كل جيش أورينتس عند الخندق.. عندها ستبدأ الحرب!

***

فترة الانقلاب..

مع بداية حكم جيكاي وجماعته الغاصبة للدولة، وتوليه حكم أورينتس واختياره لطاقم جديد من الوزراء، وتقنين بعض القواعد.. تذكر بأنه لم يعثر على زوجة الملك السابق «فتوحي» وأبنائه.. فطلب من فريق البحث عنهم في كل مكان كي يقتلهم ويتخلص من هذه العائلة للأبد، لكي يكون بهذه الطريقة قضى على آخر عائلة ملكية قبل الانقلاب ومع بداية العصر الجديد، ولا يترك منهم أي فرد على قيد الحياة..

إلى أن وجد أحد الحراس خلال بحثه بابًا صغيرًا في الطابق الأرضي بالقصر، كان هذا الباب في المكان المعد لصنع الطعام، يختبئ خلف أحد الأحجار الكبيرة، وجده صدفة عندما أوقع بدون قصد تلك الحجارة من أمامه ليجد بابًا صغيرًا يؤدي إلى مكان ما مجهول، فذهب من فوره ليخبر ملكه سريعًا ليأتي ويرى بنفسه، اندهش وابتسم في نفس الوقت؛ لأنه كان يعرف أن هناك شيئًا ما سيكون لصالحه حتمًا يختبئ خلف ذلك الباب، وسيكتشفه بنفسه.

أمر بإحضار عصا خشبية صغيرة ملتف عليها قطعة قماش أعلاها، ثم أشعلها نارًا، جلس أولا على ركبتيه ودخل من الباب الصغير ليقف في الداخل على سلم يؤدي إلى الأسفل، أخذ العصا المشتعلة وأمر بأن يتبعه أربعة من حراسه، نزل بحذر كي لا يقع، نظرًا لأن السلم لم يكن عريضًا كما ينبغي، وصل إلى الأرض ليجد نفسه يقف بداخل نفق كبير موجود بالفعل تحت القصر ولم يكن يعلم عنه شيئًا، المكان خلفه جدار كبير خلف السلم، فكان الطريق الوحيد أمامه هو أن يسير إلى الأمام، لا يوجد طريق إلى اليمين أو الشمال، تحرك ومن خلفه حراسه يتبعونه.. ليبدؤوا فجأة مع سيرهم للأمام بسماع صوت حركة آتية من ركن ما، ظلوا يسيرون حتى وصلوا إلى مصدر الصوت وكان كما توقع، زوجة الملك فتوحي والتي تدعى «كاريتا» وأبناؤه الأربع (ثلاثة ذكور وبنت)، ولدان عمرهما يقرب من العشرين، والثالث يبلغ التسعة أعوام، والفتاة صغيرة لم تكمل العامين بعد.. كانوا يجلسون جميعًا بجانب بعضهم ملتصقين يشعرون بالخوف الشديد، وبجانبهم بعض الأطعمة والشراب أخذوها معهم عندما نزلوا إلى هنا.. ابتسم لهم جيكاي وقال ساخرًا:

- كنا نبحث عنكم، هل أنتم بخير؟

فقالت له كاريتا بكل غضب:

- ماذا تريد منا؟ ألم يكفك قتل زوجي وما فعلته!!

- لا لم يكفني.

واشار للحراس الأربعة بأخذ أبنائها منها، اقتربوا سريعًا إليهم وأخذوهم كلهم من بين يديها وهي تبكي عليهم بحرقة، ترجوه بأن يتركهم ويفعل بها ما يشاء.. فقال لها:

- بل سأفعل العكس، سأجعلك تشاهدين موتهم أمام عينيك.

وأمرهم بقطع أعناقهم جميعًا، لم يأخذ منهم تنفيذ الأمر أكثر من ثانيتين، وكانت الأربع رؤوس على الأرض قبل سقوط أجسادهم.. وهي صرخت بأعلى صوتها وبكت بدل الدموع دمًا، لم تحتمل ما رأته ففقدت وعيها.. كان يفكر في البداية بقتلها، ولكن بعد ذلك صرف نظره عن ذلك، يكفيه ويكفيها موت أبنائها أمامها، سيكون هذا عذابها الأبدي، وبالتأكيد الأفضل بكثير من قتلها. بعدها أمر حراسه بأن يحملوها كما هي دون فعل شيء بها ويرموها في الصحراء تأكلها الذئاب، أو تموت هناك جوعًا أو عطشًا أو يحدث لها ما يحدث لا يهتم..

عند تلك النقطة التي كان يقف فيها جيكاي كان يوجد أمامه جدار ليضع نهاية لهذا النفق الغريب، ثم لاحظ أن

خلف ذلك الجدار يؤدي إلى تحت البرج الذي بناه، يعني لو حطم ذلك الجدار وحفر قليلًا سيصل إلى أسفل البرج، ومنه يستطيع أن يدخل البرج من داخله من تحت الأرض.. خرج وأمر بسد مكان الباب بالحجارة لعدم دخول أي أحد إليه مرة أخرى.. وانتهت تلك الحكاية بالنسبة له إلى الأبد.. ولكنها للأسف نهاية لبداية سوداء ستؤتي بنتائجها في المستقبل على الجميع!

12

تعال معي لنذهب إلى ذلك الكهف، ها قد وصلت، اقترب ولا تخف، فهذه ليست المرة الأولى التي تأتي فيها إلى هنا، لا تنظر إلى أعين تلك الغربان السوداء التي تنظر إليك، دعك منها فلن تؤذيك، ولا تنظر لتلك الأفاعي التي تحوم باستمرار حول الكهف، ولا الحشرات التي تسير على جدار الكهف من الخارج، دعك منهم كلهم واقترب لندخل، فهناك أمر عظيم بالداخل ينتظرنا.. أحسنت أنت الآن بالداخل للمرة الثالثة على التوالي، اتبع تلك الرائحة كما حدث في المرات السابقة لتصل إليه، ألا يغتسل هذا الشخص بالماء أبدًا في حياته كلها!، شارفنا على الوصول، على الأقل تلك الرائحة أفضل من الرائحة الخارجة من داخل الخندق.. لماذا وقفت مصدومًا هكذا؟، نعم نعم معك حق، فما تراه الآن شيء عجيب حقًّا...

بجانب بعضهم يقفون ينظر كل واحد منهم للآخر، حور وأمامه بتاري وعامر، يقف ثلاثتهم أمام بعضهم والغربان السوداء تطير من حولهم، والدخان الأسود يخرج من كل مكان يتطاير في الهواء إلى خارج الكهف، يبتسم حور وهو ينظر إليهما، أما عامر فيحاول أن يتحمل تلك الرائحة والأشياء العجيبة التي تحدث من حوله، وبتاري ينظر إلى الساحر وهو يبتسم أيضًا.. تدور الكاميرا من حولهم بسرعة

كبيرة حتى توقفت فجأة عن الحركة في المنتصف في الأعلى فوق رؤوسهم.. لتهبط وتقف أمام وجه حور الذي قال وهو ما زال مبتسمًا:

- لقد أصبحت في هذه الآونة الأخيرة شهيرًا، يأتي لي الكثير من الضيوف.

ثم تلتف الكاميرا وتقف أمام وجه بتاري ليقول ضاحكًا:

- معك حق.

ثم تلتف لتقف أمام وجه عامر:

- لننته من هذا الأمر سريعًا.

ثم نظر إلى بتاري وقال:

- ما رأيك أن تخبرنا أنت في البداية يا بتاري عن أفعالك؟

نظر إلى الأرض مبتسمًا ثم عاد ينظر إليهما وقال:

- ولم لا.. أنا وذلك الساحر الذي يقف أمامك قمنا بفعل كل شيء.. في البداية أنا من أتيت إليه وطلبت منه قتل وزير الأمن وتعليق جثته على تمثال كاسياسي الجديد، كنت أريد أن أوصل إليه رسالة تحذير في البداية، ثم قمت بعمل حركتي الثانية، طلبت من حور أن يرسل غرابًا إلى «أوشدنتم»، لا وقت لأحدثك عنها الآن، ولكن في إيجاز:

هي أكبر من أورينتس بخمسة أضعاف، أكبر منا عددًا وقوة، هم العالم الأول كما يطلقون على أنفسهم، تخاف منهم كل الدول بما فيهم نحن، المهم أنني أرسلت إليهم رسالة بواسطة ذلك الغراب أخبرهم فيها بأن الملك كاسياسي قرر أن يهجم فجأة على أوشدنتم ويحتلها، لأجعلهم يتحركون هم نحونا ويبدؤون الحرب ضدنا.

- لا تقل لي أنك فعلت هذا بسبب أن كاسياسي أراد جعل أخي الملك، ولن يجعلك أنت كما كان من المفترض أن يحدث.

- أحسنت نعم فعلت كل هذا بسبب هذا الأمر، كاسياسي أخذ مني حقي ولم يرد أن أكون أنا الملك في المستقبل، كما ينص على ذلك الكتاب، وكما هي السياسة المتبعة التي نعرفها منذ مئات السنين، بفعلته تلك قد أخذ مني حقي ظلمًا وعدوانًا، فقررت الرد عليه بطريقتي.

- هل أنت غبي؟ هذه خيانة لدولتك، بالإضافة إلى أن الحرب ستقضي علينا جميعًا بما فيهم أنت وصديقك الساحر هذا.

- كل شيء مباح في الحب والحرب، ولا تقلق فكرت في هذا مسبقًا، هناك طريقة لهروبنا من أورينتس قبل بدء الحرب.

- وأنا وأخي؟ ما ذنبنا ودخلنا بكل أموركم القذرة هذه؟ نحن فقط نريد الذهاب من هنا.

هنا تكلم حور قائلًا لعامر:

- أنا حتى الآن ما زلت مندهشًا منك ومن أخيك الذي تتحدث عنه، من أنتما؟ وكيف أتيتما إلى هنا؟

نظر عامر إلى الأعلى وهو ينفخ من فمه حنقًا بسبب كثرة سؤاله هذا السؤال ألف مرة:

- صدقني في المرة القادمة سأحضر ميكروفونًا وأقول بصوت عالٍ ليسمع الجميع، حقًّا لقد سئمت، لا أعرف.

- يجب أن تساعدني وتخبرني كيف أتيت إلى هنا بالضبط لأساعدك على العودة لو أردت.

- حقًّا؟ هل يمكنك أن تفعل هذا؟

- أولًا أخبرني الحكاية كلها بأدق التفاصيل ثم سأجيبك.

حكى عامر له القصة كلها، وما حدث معهم بالتفصيل، وبتاري يقف يستمع له لا يصدق ما يسمعه أو مندهشًا أو لا يفهم ما يقال، وحور لا تبدو على وجهه أي علامات تعجب أو عدم فهم.. بعدما أنهى قص الحكاية، أجابه حور:

- ربما هناك طريقة لعودتكما، ولكني لن أستطيع فعلها وحدي، ربما أحتاج معي أربعة من السحرة غيري.

- ماذا ستفعلون؟

- هذا عملي لا تشغل بالك، المهم أخبرني أنت ماذا ستعطيني في المقابل؟

نظر عامر إلى بتاري بنظرات تقول له ساعدني أو عدم فهم ثم نظر لحور وقال:

- ماذا تريد؟

- عادة ما أريده لا تملكه، أو لن تستطيع القيام به، لذا سأطلب منك شيئًا آخر أجمل لي ولباقي السحرة الذين سأحضرهم، ستسمح لنا بالذهاب معك إلى العالم الذي جئت منه!

- ماذا! لماذا؟

- سنقوم بفتح بوابة لتعبر منها أنت وأخوك إلى عالمكما الذي جئتما منه، ولن نستطيع نحن أن نعبر منها دون أن تسمحا لنا بذلك؛ لأننا لسنا من هناك، وأيضا لأن هذا الأمر يفوق سحرنا وقدرتنا، فقط إذا أمرتما البوابة بالسماح لنا بالعبور، حينها فقط يمكننا المرور معكما من خلالها، ما رأيك؟

- ما هدفك؟ أنت تنتمي لهذا العالم، أنت ولدت هنا ومكانك هنا.

- كما تعلم قريبًا ستدخل أورينتس في حرب، واحتمال كبير أن تُمحى هذه الدولة من الوجود للأبد، حينها لن يبقى لنا مكان لنعيش فيه كيفما نشاء وكيفما نريد، لذا سنريد أن نأتي معك بالتأكيد.

ماذا يقول له؟ هل يوافق على عرضه ويسمح بعبور خمسة سحرة إلى عالمهم أو إلى عصرهم، سحرة يقومون بأفعال شيطانية خبيثة مقززة، يعيشون بين الناس يفعلون ما يحلو لهم ويؤذون من يريدون ويقتلون على أهوائهم ويغتصبون النساء دون حدٍّ، هل سيسمحان بفعل هذا حقًّا؟ عامر الآن في موقف صعب لا يعرف ماذا يقول، لأول مرة في حياته يوضع بين اختيارين شديدين بهذا الشكل، تحرك ذهابًا وإيابًا في مكانه يفكر، ثم نظر لحور ليمد يده إليه يصافحه وقال:

- موافق.

قال بتاري لحور وهو مندهش من عرضه هذا:

- ألم نتفق على الخروج معا من أورينتس إلى دولة أخرى؟

- اعذرني يا صديقي، هذه طريقة للخروج أفضل بكثير.

شعر بتاري ببعض الغضب والغيرة ولكن لم يتكلم، تناقش عامر وحور فيما بينهما على ميعاد تنفيذ خطة خروجهم، وكيف ستنفذ، وكل التفاصيل دون ترك شيء، أنهيا حديثهما وغادر عامر وتركهما، بعدما خرج من الكهف أعاد في عقله شريط الأحداث الذي حدث قبل عشر ساعات من الآن:

أثناء انشغال كاسياسي مع وزير الأمن وتجهيز الجيش، خرج بتاري ليبحث عن عامر في بناء المهندسين، وجده يجلس مع شابكتا، فنادى عليه وكان يعرفه، لاحظ وجوده وهو يناديه، ذهب إليه وبتاري ينظر من حوله أولًا يتأكد من عدم وجود من يراقبهما، يقفان معًا، فقال له سريعًا وهو ما زال يتلفت من حوله:

- هل تريد الهروب أنت وأخوك من هنا والعودة لموطنكما؟

- أكثر من أي شيء في حياتي.

- إذا سنلتقي الليلة في هذا المكان، وسنذهب معا إلى شخص ما ربما هو يستطيع مساعدتك.

وبالفعل التقيا ليلًا سرًّا وذهبا إلى حور الذي فوجئ بقدومهما، فلم يتوقع أن يحضر بتاري معه ضيفًا، وليس ضيفًا عاديًّا، بل شخصًا مميزًا انبهر برؤيته.. وحدث ما دار بينهم فيما بعد.. ثم قال لنفسه أثناء سيره:

- سأنهي هذه اللعبة السخيفة على طريقتي.

***

في اليوم التالي استغل عامر انشغال الملك في أموره وتجهيزه للجيش، وذهب إلى القصر وطلب مقابلة رومانا، وافقت على مقابلته، دخل إلى غرفتها التي كانت تنتظره فيها، اندهش بأنها طلبت وأصرت أن تقابله في هذا المكان، ذهب إليها ليجدها تقف في انتظاره أمام غرفتها، أشارت له بالدخول، شعر هو ببعض الإحراج أو الخوف، كيف سيدخل لمكان كهذا بهذه البساطة أو لماذا!، في النهاية لم يستطع أن يقاوم جمالها وطريقتها في دعوته للدخول، دخل وأغلقت الباب بقفل كيلا يدخل عليهما أحد فجأة وخاصة كاسياسي.. لم يفهم سر تصرفاتها المبالغ فيها هذه، أو لماذا أرادت مقابلته في غرفة نومها.. ثم طلبت منه عندما رأته خائفًا بعض الشيء ألَّا يشعر بالخجل أو أي خوف ويأخذ راحته، دعته للجلوس على كرسي مقابل لفراش النوم، جلس وجلست هي أمامه على فراشها، كانت ترتدي شيئًا يشبه الروب يغطي جسدها كله، تربطه من منتصفه بحبل على شكل عقدة صغيرة، وضعت قدمًا على قدم وهي جالسة ليسقط من على ساقها الأيمن الرداء وتكشف كلها، تشوش عقل وتركيز عامر قليلًا ولم يفهم ماذا تفعل هذه المرأة،

حاول أن يبدأ الكلام وينهي هذه الجلسة سريعًا قبل أن يفعل بها شيئًا لا يريده أو يريده، فقال:

- قلت لي سابقًا أنك كل عام في يوم الاحتفال تحزنين، أريد أن أفهم لماذا؟ وما أمر ولادة الأطفال؟ وماذا يحدث هنا لا أعرفه؟

نهضت وتحركت نحوه لتميل بجسدها أمام وجهه لينكشف له أمام عينيه صدرها كله، ضغط بيديه على ذراعي الكرسي يحاول تمالك نفسه وهي تضحك أثناء نظرها إليه في عينيه، ثم وقفت وذهبت لتنام على الفراش على ظهرها وبعدها رفعت ساقيها إلى الأعلى ليسقط من عليها الروب وتظهران عاريتين إلى آخرهما، أنزلتهما بعدها بقليل وجلست مرة أخرى وما زالت تنظر إليه تراقب تعبيرات وجهه، يحاول أن يغلق عينيه ولكنه يفشل، يحاول أن يلف رأسه إلى جانب آخر ولكن لا فائدة، شهوته الجنسية تحركه إلى النظر إليها والانقضاض عليها ليلتهمها، نامت على ظهرها وفتحت ساقيها أمامه ليظهر منها كل شيء، بدأت تضحك بصوت منخفض، وهو لم يعد يحتمل أكثر، نهضت وخلعت من عليها رداءها وأسقطته على الأرض، وظلت تسير عارية إليه حتى وصلت وجلست على فخذيه، اقتربت بصدرها ناحية وجهه تتابع استعراضها وهو تكلم بسرعة:

- لماذا تفعلين هذا؟

اقتربت إلى أذنه وقالت بصوت هادئ:

- الحرب قادمة، وربما نموت جميعًا، أريد أن أجرب هذا الشعور بشكل مختلف مع شخص جذاب ومختلف مثلك.

دفعها من عليه سريعا ونهض ليتجول في الغرفة يفكر فيما يحدث معه، لا يستوعب أهذا حلم أم حقيقة؟ يحاول إبعاد ناظريه عنها ولكنه لا يستطيع، لا يقدر على المقاومة، توقف عقله عن التفكير وتجمد جسده وشعر وكأنه محبوس بداخل زنزانة ولا يستطيع الخروج منها، التفت لها وقال:

- لا لن أفعل هذا.

تغيرت ملامح وجهها إلى الجدية ومالت بجسدها على الأرض لتأخذ الرداء، ثم جلست على فراشها وقالت له:

- أنت أدرى، إذًا لن تعرف ما تريد معرفته.

- أحتاج أن أعرف.

- أخرج.

أغلق عينيه قليلًا وأخذ نفسًا طويلًا ثم قال:

- وإذا عرف زوجك؟

- لن يعرف.

عامر لم يفعل هذا الأمر من قبل، فهو لم يتزوج بعد، ولا يعرف كيف يبدو هذا الشعور، ولكن ولم الكذب، كان يريد وبشدة تجربته ومعرفة مذاقه والشعور به، وبالأخص مع إنسانه كهذه، اقترب منها بسرعة كبيرة وبدأ في تقبيلها من فمها ثم عنقها، ثم نزل إلى بطنها وظل يقبلها في كل مكان، نامت هي على ظهرها تبتسم بشدة، وهو ما زال يتابع التقبيل والتذوق، شعر بشعور جديد ومذهل يسري في كل أنحاه جسده، كان يشعر بسعادة كبيرة، ثم بدأ بخلع ملابسه بسرعة وساعدته رومانا في هذا، أصبح عاريًا مثلها، رجع يقبلها مرة أخرى لا يتوقف، ثم بدأت عملية الاتصال بينهما، هنا بدأ يشعر بشعور آخر مختلف ورائع، يا له من شعور، أفضل وألذ شعور قد تشعر به في حياتك كلها، يستمتع هو بشدة ويمتعها هي بشدة أكبر، حاولت أن تكتم صراخها كي لا يسمعهم أحد بالخارج، استمرا هكذا إلى ما يقرب النصف ساعة، فهو أول مرة يجرب شيئًا كهذا، فلم يمل ولم يشبع، وهي شعرت بسعادة مختلفة وشعور جديد، فلم تشبع هي الأخرى.

مرت نصف ساعة وهما الآن نائمان بجانب بعضهما يبتسمان، لا يعرف هل يشكرها على منحه هذا الشعور لأول

مرة، أم يتقزز منها لأنها تخون زوجها، أما هي فالأمر بالنسبة لها لا بأس به، تعتقد أنها ستموت قريبًا فلم يعد يهمها أي شيء بعد الآن.. اقتربت إليه تقبله في فمه ثم نظرت في عينيه وقالت:

- ماذا تريد أن تعرف؟

- كل شيء.

وبدأت في قص الحكاية بأكملها...

***

فترة الانقلاب..

فتحت كاريتا عينيها لتجد نفسها ملقاة في الصحراء عارية إلا أجزاء بسيطة منها، جاهدت لتفتح عينيها وآثار دموعها ما زال مطبوعًا على خديها، حلقها يؤلمها بسبب صرخاتها العالية على أبنائها، تذكرت ما حدث لهم على يد جيكاي، فبكت بشدة مرة أخرى وهي تنادي على أولادها بصوت عالٍ ناحية السماء.. بالطبع تركها على قيد الحياة ولم يقتلها ليجعلها تعيش هذا العذاب بقية حياتها، وتظل تبكي دون توقف، نهضت بكل ما تبقى من قوتها، ظلت تتلفت حول نفسها تحاول اكتشاف أين هي الآن، رأت من بعيد شيئًا كالجدار بالكاد يظهر لها، فتحركت ناحيته بكل عزمها، الحزن

والألم أكل من روحها، فهي في حكم الميت، جسد بلا روح، تجاهد لتقترب من ذلك الجدار، ومع اقترابها لاحظت أنه جدار لكهف صغير، كان أعلاه يقف ثلاثة غربان سود، وعلى الأرض هناك ثلاثة أفاعي، لم تكترث لهم ودخلت الكهف لتحتمي من أشعة الشمس الحارقة قليلًا، دخلت وجلست على الأرض ثم أغلقت عينيها تدريجيًّا، فكانت كل قواها الجسدية خارت، والإرهاق أكل منها، ففقدت الوعي ووقعت على الأرض وأظلمت الدنيا أمام عينيها...

استيقظت على صوت تحرك أحد بجانبها، نهضت ونظرت حولها لتجد نفسها بداخل كهف أو هو نفس الكهف الذي دخلت إليه، هناك بعض الرسوم والكلمات الغير مفهومة على الجدران، وبعض الهمسات التي تأتي من العدم، شعرت ببعض الخوف فقررت الخروج سريعًا، وقفت بعد معاناة صغيرة وفجأة كان يقف أمامها رجل غريب الملامح تخرج منه رائحة كريهة، كانت رؤيته صدمة كبيرة لها، فلم يكن يوجد أحد في المكان منذ ثوان، والآن من أين ظهر هذا؟ بدأ يتفحص جسدها العاري منغمسًا بالنظر إليها كلها، وهي تشعر بالخوف منه، لا تدري ماذا تفعل، اقترب منها وهي بدأت ترجع للوراء حتى استندت بظهرها على جدار الكهف وهو ما زال يقترب منها أثناء نظره إليها، بعدما أنهى النظر واكتفى، وضع عينيه في عينيها وقال:

- رأيتك منذ قليل فاقدة للوعي عند مدخل بيتي (الكهف) فحملتك وأحضرتك إلى هنا.

- أشكرك، ولكني أحتاج أن أغادر.

- إلى أين؟ من الواضح أنه ليس لديك مكان تذهبين إليه، ارتاحي قليلًا ثم نتكلم بعدها.

يعاملها كل هذا الوقت بلطف ولم يؤذها حتى الآن بأي شكل، وهذا ما أثار الريبة والشك بداخلها ناحيته، أحضر لها طعامًا وشرابًا، أكلت وشبعت ثم نامت قليلًا واستيقظت ليلًا لتجده يجلس على الأرض وأمامه توجد حفرة يخرج منها أفاع وحشرات وغربان، يرفع يديه عاليا فوق تلك الحفرة الصغيرة وهو مغلق العينين ويتمتم في سره بكلمات بلغة أخرى غريبة، وهي تنظر إليه خائفة منه، فكَّرت أن تستغل تلك الفرصة وتهرب وهو منشغل فيما يفعله، فوقفت لتخرج وفاجأها هو قائلًا:

- إلى أين؟

التفتت إليه فلم تجد حفرة ولا أفعى ولا حشرة ولا غرابًا ولا أي شيء، فقط يجلس على الأرض في مكانه ينظر إليها مبتسمًا...

- قلت لنفسي لا أريد إزعاجك أكثر، أشكرك على مساعدتك سأغادر.

- ليس لديك مكان لتذهبي إليه، اجلسي وأخبريني ماذا حدث معك؟ وكيف انتهى بك المطاف إلى هنا؟

أجبرها على تذكر أشياء لا تريد أن تتذكرها مرة أخرى، فبدأت من جديد تبكي، جلست ووجهها مائل إلى الأسفل، وتضع يديها على وجهها ولا تستطيع منع نفسها من البكاء، نهض الساحر واقترب منها يحاول تهدئتها قليلًا، فقام باحتضانها وهي ما زالت لا تشعر بنفسها، أدركت بعد قليل، فابتعدت عنه ومسحت دموعها وقالت:

- الملك الجديد الظالم ذبح أبنائي أمام عيناي.

- لماذا؟

- أراد التخلص من آخر عائلة ملكية قبل بداية حكمه الجديد.

- أنت زوجة الملك فتوحي الذي قُتل؟

- نعم.

- إنها حقًّا مفاجأة كبيرة لم أكن أعلم، أخبريني ماذا فعل.

وبدأت تشرح له كل شيء حدث معها، بعدما أنهت نهض

وذهب ينظر إلى أحد الجدران ثم قال لها بعد تفكير:

- أتريدين الانتقام منه؟

- بالتأكيد ولكن كيف؟

- سأساعدك، ولكن في المقابل ستكونين لي إلى الأبد.

فوجئت بطلبه وعرضه الغريب عليها، أخذت بعض الوقت لتفكر فيما قاله، في كل الأحوال لم يعد لديها مكان لتذهب إليه، زوجها وأبناؤها قتلوا، وإذا وافقت على هذا العرض فستكون قد أخذت حقَّها وانتقمت منه، وعلى الأقل في نفس الوقت تجد مكانًا لتعيش فيه، ولو مع هذا الرجل حتى ولو لم تكن تحبه، نهضت هي الأخرى وذهبت إليه وقالت:

- موافقة، كيف سنفعلها؟

- قبل أي شيء تعالي معي.

أمسكها من يدها وذهبا إلى ممر صغير بداخل الكهف مظلم وهادئ ولا يوجد به أي حشرات أو ما يخيف، خلع من عليها ببطء هذه الملابس القصيرة لتصير عارية، خلع هو أيضًا ملابسه كلها ثم اقترب منها وبدأ يسقطان على الأرض تدريجيًّا.. من خارج الكهف طارت كل الغربان إلى السماء، وذهبت كل الأفاعي بعيدًا في الصحراء، والحشرات خرجت

تمشي تبحث عن مكان آخر تعيش فيه، فسيدهم الآن مشغول ولا يريد أي إزعاج أو حركة من حوله...

في صباح اليوم التالي وبعد أن انتهيا من تناول الطعام، شرح لها الخطة كلها وميعاد تنفيذها، تأكَّد من أنها فهمت كل شيء وحفظته، في نفس اليوم ليلًا ذهبا إلى القصر متخفيين، قام الساحر بعمل تعويذة عليهما كيلا يراهما أحد، ولكنهما لم يدخلا القصر، بل اتجها ناحية البرج الذي كان من حوله الكثير من الحراس، استطاعا اختراق جدار البرج ودخلا، بعدها أبطل تعويذته ليظهرا، كان هناك سلم يقود إلى الأعلى، لم يهتما بأي شيء في المكان، تركيزهما فقط على العمل الذي جاءا من أجله.

وجد الساحر لوحة حجرية صغيرة رصاصية اللون في أحد الأركان، قام بإحضارها ووضعها أمامه وجلس ينظر إليها يتفحصها قليلًا، بعدها أغلق عينيه وهو يضع يده اليسرى فوق ذلك اللوح الحجري، انتظر بعض الوقت، مرت خمس دقائق وبدأ يخرج من تحت الأرض من جانب اللوح أفاع سوداء صغيرة، كل أفعى تخرج وتقف على اللوح، خرجت الكثير منها وكلهم يقفون على اللوح يلتفون حوله.. حتى أنه من كثرتهم ازدادوا قوة وتحرك اللوح من على الأرض ليقف منتصبًا والأفاعي ما زالت تحوم حوله، حتى غطوا اللوح

كاملًا، فلم يظهر منه أي شيء، شكلهم وهم على اللوح بهذه الطريقة كان مفزعًا بحق، لم تستطع كاريتا تحمل النظر إليهم أكثر فنظرت بعيدًا حتى يأتي دورها في المهمة، هنا تكلم الساحر وقال كلمات بصوت مسموع، كانت لغة هو فقط من يفهمها..

بدأت الأفاعي على اللوح تحترق بالنار، تخرج النيران من داخلهم وتحترق، تنصهر جلودهم بسرعة كبيرة، إلى أن انصهروا جميعهم على اللوح الرصاصي، لا، لقد أصبح لون اللوح أسود، تحول إلى اللون الأسود بسبب انصهار جلودهم كلها عليه، ويخرج مع الاحتراق والانصهار دخان أسود يصعد إلى السماء في اتجاه واحد مباشرة، الدخان لم يفترق في الأرجاء، بل كان يعرف طريقه إلى السماء جيدًا كما أمر الساحر، لم يقع اللوح، ظل واقفًا ونقشت عليه من الأعلى كلمة «لعنة الأبناء الأبدية».. ثم نادى على كاريتا ينبهها بأن دورها قد حان، اقتربت من اللوح واحتضنته بذراعيها بقوة ثم أغلقت عينيها والدموع تنهمر منها، فقال لها وهي هكذا:

- أخرجي كل مشاعرك وأحاسيسك على اللوح، كل ما مررتِ به من بداية قتل زوجك وذبح أبنائك أمامك وحقدك وغضبك تجاه الملك الظالم جيكاي وكرهك الشديد له، أخرجي كل هذا على اللوح ليمتصه منك إليه.

فعلت كل ما بوسعها وأخرجت كل مشاعرها وآلامها على اللوح، ثم تركته ليقع على الأرض في مكانه، نهض الساحر ووجَّه يده اليمنى مع اليسرى هذه المرة تجاه اللوح لتخرج من تحته أعشاب سوداء اللون طويلة، التفت تلك الأعشاب حول اللوح كله، ثم بدأت تسحبه تحت الأرض حتى اختفى من أمام الأنظار، وفجأة وبدون مقدمات خرجت أصوات صرخات عالية مقبضة من داخل جدران البرج، وكأن البرج نفسه يتألم من شيء ما ويصرخ، حتى الأرض بدأ يخرج منها صوت صراخ شديد، وكأنها ابتلعت شيء ما لا تريده أو يؤذيها، استمر الصراخ دقائق، ثم أعاد الساحر تعويذة الإخفاء عليهما ليخرجا من المكان عائدين إلى الكهف...

« لعنة الأبناء الأبدية».

هي لعنة قام باختراع أساسياتها الأجداد السحرة القدامى، لم يخترعوا اللعنة نفسها، بل اخترعوا أساليب جديدة باستخدام السحر وقام بتطويرها السحرة اللاحقين فيما بعد، ليتفرع عن هذه الأساسيات العديد من اللعنات والأعمال السوداوية.. قام أحد السحرة القدامى بتطوير أسلوب جديد يدعى «لعنة الأبناء الأبدية» قام باستحداث هذا النوع من اللعنات ليجبر الشياطين على خدمته بواسطة سجن وتعذيب أبنائهم وحرقهم.. فلم يكن أمام الشياطين

سوى الامتثال للساحر وطاعته مقابل أن يترك الساحر أبناء الشيطان ولا يؤذيهم.. هذه كانت بداية اللعنة.. ثم أتى العديد من السحرة على مر الزمان ليقوموا بتطوير هذا النوع إلى أشكال عدة.. منها هذا الشكل الذي فعله صديقنا الساحر...

وهذا النوع يجعل كل الأطفال التي تولد على ظهورهم علامة أفعى صغيرة (رسمة صغيرة أو شيء كوحمة)، لون بشرتهم بني غامق أو يميل إلى الأسود قليلًا، داخل أنوفهم توجد شعيرات بيضاء، ليست ظاهرة للأعين، ولكن إذا دققت النظر ونظرت من أسفل الأنف سترى تلك الشعيرات، تنبت لهم بعض الشعيرات القليلة على رؤوسهم بعد سن العاشرة، لا تزداد كثيرًا فيما بعد، فتظل فقط بضعة شعيرات تنبت كل فترة وأخرى بعيدة، حتى إذا وصل أحدهم إلى سن الستين يكون برأسه عدد من الشعيرات قليل، من الأسهل أن تقول عنه أصلع، هؤلاء هم الذكور.. أما الإناث فهم نفس كل شيء ما عدا شعرهن، ينبت بشكل طبيعي وطويل، ولكن بعد سن العشرين يتحول نصفه إلى اللون الأبيض...

***

في اليوم التالي وبعد تنشيط هذه اللعنة، كان كل طفل يولد حديثًا في دولة أورينتس كلها، يلاحظون عليهم كل هذه التغييرات من بداية مولدهم ومع مرور الوقت وهم

يكبرون، لم يفهم أي أحد سبب هذا التغيير المفاجئ الذي حل على الجميع، إلى أن اكتشف الملك الرابع بعد الملك جيكاي، أن هذا عمل أحد السحرة قديمًا، وظل يبحث وراء هذا الأمر حتى عرف الحكاية كلها وما فعله جيكاي في زوجة فتوحي وقتله لأبنائها أمامها، وأن أحد السحرة القدامى قد ساعدها في إيجاد هذه اللعنة السوداوية ودفنها.. بالطبع استعان بأحد السحرة كي يفهم هذه الحكاية كلها.

وهناك من يقولون أن كل هذا مجرد إشاعات لا أساس له من الصحة، وأن ما حدث هو من غضب الإله عليهم، بسبب ما حدث من انقلاب وتغيير نظام وسياسة الحكم وتقسيم أورينتس إلى ثلاث أراض، فقرر الإله معاقبة هؤلاء الطاغيين الذين اغتصبوا الدولة وغيَّروا الكثير فيها، وقضوا على الأولين الطيبين، وكثرت الأقاويل في هذه المسألة...

***

وتكمل قص حكايتها:

- هذه الأسطورة لا يعرف الكثير بشأنها، ومن يعرفها لا يصدقها، وإذا كان هذا الأمر صحيحًا ربما تحدث ثورة كبيرة من كل الناس وينقلبون على الملك يلومونه هو ومن قبله أن كل هذا حدث بسبب أول ملك حكم في النظام الجديد،

والذي كان يُدعى جيكاي على ما أتذكر، فقد كان هو السبب في حدوث هذه اللعنة والتسبب في مولد كل طفل في أورينتس بهذا الشكل...

انفصلت من فوقه وتحركت من على بطنه بعدما أنهت ما كانت تفعله من قفزات سريعة للأعلى وللأسفل، ابتسم بعدما أنهت كلامها، ثم اقترب من شفتيها يقبلها وبعدها نهض وتركها ليذهب إلى مكان صغير يشبه المرحاض في نفس الغرفة ليغتسل، وهي ما زالت مستلقية في مكانها سعيدة، أنهى عامر غسل نفسه وارتدى ملابسه، وقال لها:

- أشكرك على كل شيء.

- بل أنا من أشكرك على ما منحتني إياه.

وقبل أن يخرج ذهبت هي تنظر للخارج تتأكد من عدم وجود أحد كيلا يراه وهو يخرج من عندها، أشارت إليه ليأتي فلا يوجد أحد، وقبل أن يخرج أمسكت به من ملابسه من الخلف وجذبته لتقبله بقوة وهو يبادلها نفس الفعل، ثم خرج وهي تنظر إليه بسعادة كبيرة، أغلقت الباب وأخذت نفسًا كبيرًا وهي شاردة تعيد تذكر كل شيء حدث معها منذ قليل.

سار عامر في الممر سريعًا، نزل على السلم وخرج من

القصر ليرى كاسياسي ما زال منشغلًا مع وزير الأمن في الحديث، وما زال الجميع متوترين من الحرب القادمة وهم يستعدون لها أشد الاستعداد.. خرج من ساحة القصر ولم يلحظ أحد وجوده، بعدها ذهب إلى صديقه شابكتا وجلس بجانبه دون أن يتحدث، غارق في ذكرياته هو الآخر معها، لا يصدق حتى الآن أنه فعل هذا، لطالما كان يرغب بشدة في خوض هذه التجربة، وأول من خاض معها تكون ملكة زوجة ملك دولة، يا للهول!

حاول شابكتا أن يتحدث معه، ولكنه لا يسمع صوت العالم الخارجي في هذه اللحظات، غارق في حلم جميل يعيد تذكره مرارًا وتكرارًا، لا يريد أن يزعجه أي أحد إلى أن يستيقظ هو بنفسه، تركه شابكتا وغادر ليأكل، ثم أفاق أخيرًا وتوجه بعقله ليفكر في شيء آخر، وهو عليه أن يتأكد من أمر تلك اللعنة، هل هي حقيقية بالفعل أم لا.. لذا فلقد وضع هذه الخطة اللعينة الانتحارية!

***

يركض بتاري في غرفته يجمع كل شيء يخصه ويضعه في حقيبة كبيرة، الملابس والكتب وأشياء يستخدمها في عبادته، يحاول أن يسبق الزمن ويهرب قبل أن يشك كاسياسي فيه أكثر مما يشك، انتهى من جمع أشياءه وربط

حقيبته بالحبل وتأكد أنه لم ينس شيئًا والتفت ليخرج، ليفاجأ بوجود كاسياسي يقف خلفه ينظر إليه ومن خلفه حارسان...

- إلى أين؟

حاول تمالك نفسه وعدم إظهار الخوف على وجهه.

- أنت تعلم أن الحرب قادمة، فأقوم بجمع أشيائي تحسبًا لأي أمر طارئ.

أشار كاسياسي للحارسين بأن يخرجا من الغرفة ويغلقا الباب ليتحدث معه على انفراد قليلًا، جلس وأشار لبتاري بفعل نفس الأمر:

- لماذا فعلت هذا؟

- لم أفهم!

- لا تحاول الكذب، أعرف أنك من أشعلت تلك النار وأحضرت الحرب إلى دولتنا بسبب أنني لن أجعلك الملك، ففعلت كل هذا لتنتقم مني على حسب ظنك.

سكت قليلًا ثم ضحك ونظر في عينيه وقال:

- نعم أنا من أرسلت رسالة كاذبة إلى أوشدنتم ليأتوا إلينا ويدمروا أورينتس ويحرقوها، أنت السبب في كل هذا،

أنت من جعلني أفعل هذا، بسبب أنانيتك واستراتيجيتك وحركاتك الغادرة تلك، أخذت مني حقي الذي أستحقه والذي سار على نهجه الكثير من قبلنا، ولم يفعل أحد مثل ما فعلت، عدلت نص القانون لتجعل أحد أبنائك هو الملك في المستقبل، ومن جعلك تفعل كل هذا مصطفى، هو الذي أعماك وجعلك لم تعد تفكر بحكمة، وبما يحقق مصلحة الجميع، أعتقد أنك لم تكن تنتظر مني أن أظل أراقبك تفعل كل هذا دون رد فعل، فإذا لم أستطع أخذ التاج فلن يأخذه أي أحد إذًا، ولو كلفني هذا دمار أورينتس كلها، اعذرني فأنت أول ملك يتسبب في دمار دولته بسبب جشعه وحكمه العاجل الذي يتخذه دون التأني والتفكر، في البداية قلت أحذرك وأفزعك برسالة قصيرة، فقتلت وزير الأمن بمساعدة أحد السحرة، وجعلته يعلق جثته على تمثالك، لم تتعظ ولم ترجع عن قرارك، فاضطررت أن أقوم بحركتي الثانية، وهي الحرب يا صديقي.

- أهنئك يا بتاري، أنت أول غبي في التاريخ يفعل شيئًا كهذا، بسببك ستدخل أورينتس حربًا لأول مرة في تاريخها كله، أحسنت.

بعدها نهض وخرج من الغرفة وهو يشعر بالغضب الشديد منه، ثم دخل الحارسان أمسكاه وأخذاه إلى الخارج، ذهبا

به إلى منقطة «الأخذ»، وضعا رأسه على حجر الإعدام، جاء كاسياسي ونظر في عينيه لآخر مرة قائلًا:

- أتريد أن تقول شيئًا للمرة الأخيرة قبل موتك؟

- فلتتذكر جيدًا أنك أيضًا أول ملك غبي في تاريخ أورينتس كلها.

- ما كان عليك أن تفعل بي هذا يا بتاري.

أشار للحارس بأن ينفذ حكم الإعدام، رفع سيفه عاليًا ثم أنزله بقوة وسرعة على عنقه، لتنفصل رأسه وتقع على الأرض مع اهتزاز جسده، عينا رأسه كانت تنظر ناحية كاسياسي الذي ذهب بعد أن رأى موته، عاد لغرفته وارتمى في أحضان رومانا يبكي، يفكر هل ما قاله بتاري صحيحًا بالفعل، هل هو السبب في كل ما حدث حقًّا؟ هل غلبه جشعه وأعمى بصيرته، واستغل سلطاته كملكٍ بطريقة خاطئة؟ أحاسيس ومشاعر متداخلة ببعضها ولا يعرف ما هو الصحيح من الخطأ، كل ما يعرفه الآن أنه يجب عليه أن يستعد جيدًا لتلك الحرب القادمة...

***

تسير الكاميرا بسرعة فوق أرض الصحراء، قادمة من بعيد لتقف فجأة فوق الخندق، تصور كل شيء يحدث أسفلها،

تهبط قليلًا ناحية الحراس أو الجيش الذي بدأ يتجمع ويتخذ كل واحد منهم مكانه استعدادًا للتحرك في أي وقت، التوتر والخوف يسيطر عليهم جميعًا لم الكذب، ما زال هناك الكثيرون لم يأتوا بعد، انتقل كل من كان يقف على الجانب الآخر ناحية جيش أوشدنتم إلى الجانب الداخلي المتجه إلى دولتهم، كان معهم أحجار كبيرة لمثل هذه الحالات الطارئة، وضعوها فوق الخندق وعبروا عليها إلى جانبهم، ينظرون من بعيد إلى جيش أوشدنتم العظيم الساكن في مكانه..

تتحرك الكاميرا بسرعة إليهم لترينا ماذا يفعلون، كان الدخان أو هذه الأتربة تغطي الرؤية من الأمام، لكن ادخل قليلًا واعبرها لتراهم يجلسون كلهم بداخل خيامهم والأحصنة واقفة بجانب كل خيمة، ينتظر كل حصان فارسه كي يمتطيه، والفرسان بدورهم ينتظرون إلى أن ينتهي جيش أورينتس ويكونوا مستعدين...

تعود الكاميرا مرة أخرى لتقف عاليًا فوق الخندق، ثم ببطء بدأت تنزل للأسفل إليهم، ينظرون إلى الأعلى لا يفهمون ماذا يحدث، لاحظوا أن هناك تحركاتٍ غريبة تحصل عاليًا، وتحرك البعض منهم إلى أماكن أخرى، حتى أنهم انقطعوا عن إرسال الطعام والشراب لهم أكثر من أربعة أيام حتى الآن، مات الكثير من قلة الأكل والشراب، أما الباقي فمنهم من هو

في طريقه إلى الموت، ومنهم من يجاهد ليبقى على قيد الحياة، وقلة قليلة يتساءلون عمَّا يحدث في الأعلى، توقع بعضهم أنهم سيخوضون حربًا أو يستعدون لمواجهة كارثة أخرى.. في كل الحالات يتابعون ليعرفوا ماذا سيحدث...

***

- ماذا يحدث يا رومانا لماذا تتهربين مني هكذا؟

- لا شيء، مرهقة قليلًا.

كان الزوجان نائمين على فراشهما، يحاول كاسياسي ممارسة حقوقه الزوجية معها، كلما اقترب منها أو يحاول لمسها تبتعد عنه، ولا يفهم سر نفورها منه بهذا الشكل، وتظل هي تخبره بأنها متعبة ولا تستطيع فعل هذا الآن ولكنها تكذب، فهي ما زالت تفكر في عامر حتى هذه اللحظة ولا تستطيع اخراجه من عقلها، ولا تريد كاسياسي بعد هذه اللحظة، فهو لا يستطيع إسعادها كما فعل هو معها.

- الحرب قادمة وربما نهلك جميعًا، هل هذا وقت إرهاق!

- ليس بيدي ماذا أفعل؟

- أم أنك صدقت أنني بالفعل أغبى ملك في تاريخ أورينتس، ولم تعدي تحبينني كالسابق؟

- بالطبع لا، أنت فعلت ما رأيته صحيحًا، كل ما حدث كان بسبب بتاري وليس خطأك، توقف عن لوم نفسك.

***

- ربما وجدت طريقة للخروج من هنا أنا وأخي.

تفاجأ شابكتا من كلماته متسائلًا:

- كيف؟

- لن تصدق ما سأقوله ولكن سيساعدني خمسة سحرة.

- أجننت يا عامر، كيف تثق بهم؟ أنت لا تعرفهم كما نعرفهم نحن جيدًا، ربما يؤذونك أنت وأخاك.

- لا، هذا مستحيل، فهم يريدون في المقابل شيئًا يجبرهم على الالتزام باتفاقهم معي.

- ما هو؟

- لا تشغل بالك، أخبرني ماذا ستفعل أنت وإلى أين ستذهب؟

- سأهرب إلى أي دولة صغيرة أخرى أكمل فيها بقية حياتي.

- رائع أنا سعيد جدًّا من أجلك حقًّا، إذا فلتستعد ولتهرب

من هنا في أسرع وقت قبل بدء الحرب، ودون أن يلاحظ أحد.

رأى شابكتا من بعيد شخصًا يعرفه سابقًا، فاستأذن عامر بالنهوض ليقضي أمرًا ما سريعًا ثم يعود، نهض وذهب خلفه وكان يتجه إلى القصر، دخل هو وقال شابكتا للحراس أنه صديق عامر، وسيذهب للملك يخبره بأمر هام سريعًا، سمحوا له بالدخول، وظل يتبعه إلى أن رآه يذهب إلى غرفة أو مكان إعداد الطعام، كان لا يوجد غيره فبدأ بأكل بعض الأشياء وشابكتا يقف خلفه لم يشعر بوجوده بعد.. أنهى طعامه والتفت ليخرج ليفاجأ به يقف ينظر إليه:

- مرحبا بصديقي القديم، هل تتذكرني؟

- شا شابكتا! ماذا تفعل هنا؟

- جئت من أجلك، اشتقت إليك فقلت آتى لأراك قليلًا، أتتذكر ما فعلته بي يا يكن؟

- لو كنت مكاني لفعلت المثل، ما رأيك بأن ننسى ما حدث ونصبح أصدقاء مرة أخرى؟

- ننسى؟ بسببك طُردت من عملي ونفيت إلى أرض الفقراء، كنت أتمنى أن تأتي اللحظة التي أراك فيها مرة أخرى كي أجعلك تدفع ثمن فعلتك.

ركض شابكتا إليه وقفز عليه بقوة ليقع كلاهما على الأرض، ينهال عليه بالضرب واللكمات في وجهه بلا رحمة، دفعه يكن من عليه ليقع على الأرض ويبدأ هو في ضربه، يتخلص منه شابكتا بأن أمسك قدمه وأوقعه ليبدأ هو بضربه بقدمه في بطنه ووجهه بكل غل وغضب منه...

- لن أتركك حتى تموت يا يكن.

« قديما وعندما كان شابكتا حارسًا في هذا القصر وله مكانته واحترامه بين كل أصدقائه، فاجأه الملك ذات يوم بأن أمسكه وطلب منه الاعتراف، لم يفهم ماذا يقصد، فأمره الملك بأن يعترف في الحال بأنه سرق سوارًا ذهبيًّا من غرفة نومه، ولا يحاول الكذب عبثًا، صُدم من كلامه، فهو بالطبع لم يسرق أي شيء، وأن هناك من افترى عليه، أنكر هذه التهمة المنسوبة إليه وأقسم بأنه لم يسرق شيئًا.. فقام الملك بإحضار يكن ليدلي بأقواله أمامه ويشهد، جاء وقال بأنه رأى شابكتا يخرج من غرفة نوم الملك صباحًا وهو يتلفت حوله خائفًا من أن يمسك به أحد.. صرخ عليه شابكتا بأنه يكذب ويفتري عليه ليغطي على جريمته هو، لم يستطع إثبات براءته، ومن حسن حظه أنه لم يُحكم عليه بالموت أو نفيه إلى أرض الوحل، بل شفعت له أعماله السابقة وحرصه على قيامه بعمله على أكمل وجه، فأمر الملك بنفيه إلى أرض

الفقراء إلى الأبد.. ومن وقتها وشابكتا يحقد على يكن بشدة، وطالما تمنى رؤيته يومًا ما ليقتله ويأخذ بثأره منه»..

ما زال يضربه بقوة، ويكن لم يعد يستطع التحمل، توقف عن الضرب وذهب ليحضر أي شيء حاد يقتله به وينهي حياته سريعًا قبل أن يراهما أحد، وجد ذلك الشيء الحاد الذين يستخدمونه في تقطيع اللحوم إلى قطع، أخذه وذهب إليه، أمسكه من ملابسه ورفعه من على الأرض ورجع به إلى الخلف ليجعله يستند على الحائط وهو ما زال ممسكا به بقوة كيلا يقع منه، فلقد خارت قواه بسبب كل الضرب الشديد الذي تعرض له، نظر في عينيه غاضبًا وقال:

- ما كان عليك أن تكذب وتنهي حياتي بهذه الطريقة، لقد كنت أحبك كأخ لي، ولكنك لا تستحق هذه المحبة ولا الرحمة مني.

- سامحني لقد كنت خائفًا في ذلك الوقت من أن يتم الإمساك بي ويقتلوني.

- فقررت أن تفتري علي ويقتلوني أنا أليس كذلك؟

وبدون مقدمات بدأ بطعنه عدة طعنات في بطنه وقلبه بكل حقد وبلا رحمة، يتذكر مع كل طعنة ما عانه في أرض الفقراء، والذل والمهانة التي تعرض لها، انتهى من طعنه

والدماء تسيل بغزارة على الأرض وعليه، ثم تركه ليقع في مكانه جثة هامدة، لن يحمله إلى أي مكان أو يخبئه، بل سيتركه هكذا، ترك ما بيده وذهب ليخلع ملابسه سريعًا وتنظيف نفسه من الدماء، وارتدي ملابس أخرى كانت موجوده في المكان، لم ير أحد ما حدث هنا، أنهى مهمته وخرج من القصر وكأن شيئًا لم يحدث، وهو يشعر براحة كبيرة أخيرًا بعد أخذه بثأره والانتقام ممن افترى عليه، حقًّا إنه شعور رائع، يجب أن تجربه أنت يومًا ما!

***

لم يكن عامر موجودًا عندما عاد إليه شابكتا، تساءل إلى أين ذهب من جديد؟! تعال معي لنعد إلى القصر مرة أخرى، عامر الآن يجلس مع أخيه في الغرفة يتحدث معه في أمور هامة يطلب منه حفظها جيدًا وتنفيذها بحذافيرها كي ينجحا بالهروب من هنا...

- غدًا في الليل ستأتي إلى مكاني الذي أعمل فيه، سأكون بانتظارك لنهرب.

- كيف؟ هل وجدت طريقة للعودة؟

- نعم المهم ألا تدع أي أحد يلاحظ خروجك من القصر، وإذا سألك كاسياسي أو أحد الحراس أخبرهم بأنك ستتمشى

قليلًا في ساحة القصر، ثم حاول أن تجد بعدها طريقة ما وتهرب وتأتي لي.

- وإذا لم أنجح؟

- ستنجح أنا واثق من هذا، أنت مجبر على النجاح ليس لديك خيار آخر، الآن سأغادر قبل أن يلاحظ أحد وجودي ويشك فينا.

تعانقا ثم خرج من الغرفة سريعًا، سار في الممر وقبل أن يصل إلى السلم، رأى كاسياسي يصعد عليه، رجع بسرعة قبل أن يراه، لم يعرف ماذا سيفعل وأين سيختبئ، لو رآه سيشك بأن هناك شيئًا ما يحدث من خلفه وينتهي كل شيء وتضيع خطته كلها وتذهب هباء، عرف عامر بأن كاسياسي ألقى القبض على بتاري وقتله بعد أن علم بخيانته، فلم يكن يريد أن ينتهي به الأمر هو وأخيه هكذا، فهذا وقت حرب وحالة طارئة، وسيفعل كاسياسي أي شيء بكل من يزعجه ويقف في طريقه، فهو لم يعد يحتاج إلى مصطفى بعد الآن، لأنه شعر بأن كل ما يحدث قد حدث بسبب إرادته بجعل أخيه الملك، فربما ينتقم منه ويقتلهما ويحملهما ذنب كل ما حدث.. فلا يريد المخاطرة بأصغر خطأ سخيف وبالأخص منه هو، فكما أفسد كل شيء من البداية سيصلحه ويعود كل شيء كما كان.. رجع إلى الوراء ببطء وفجأة فُتح باب إحدى

الغرف، ثم أمسكه شخص ما من ملابسه وأدخله إلى الغرفة وأقفل الباب سريعًا.. ومع قفل الباب كان كاسياسي قد وصل إلى الدور الأول...

- رومانا؟

أقفلت الباب مرة أخرى ثم سألته وهي متحمسة:

- هل اشتقت لي؟

بدأت في تقبيله وخلع ملابسه سريعا وهو مشوش الذهن قليلًا لا يعرف ماذا يفعل، فقال لها:

- زوجك قادم ماذا تفعلين؟

- لا تقلق لن يأتي إلى هنا، أخبرني بأن لديه بعض الأعمال في غرفة بتاري في الأعلى.

مزق ملابسها كلها من عليها، ثم أمسكها بيديه من الخلف تحت ظهرها بقوة، ورفعها على جسده وهو يقبلها، ظل يحملها ويسير بها إلى أن التصق بإحدى الجدران، أنزلها من عليه وبدأ يكمل تقبيلها وهو ينزل ببطء للأسفل، وقفت هي بعض الوقت هكذا، ثم نهض ووقف ليحملها بيديه مرة أخرى وبعدها رماها على الفراش، انقض عليها ليكمل عمله، فلا يحب أن يترك أي عمل ناقص.. فطالما بدأ في عمل ما يحب

أن يبدع فيه ولا يتركه ناقصًا...

***

أثناء انشغال عامر مع رومانا، أنهى كاسياسي ما كان يفعله في غرفة بتاري وعاد أدراجه هابطًا ليتجه إلى غرفته، وصل إليها وقبل أن يضع يده على الباب ليدخل، نظر قليلًا إلى غرفة مصطفى، أنزل يده التي كان سيدفع بها الباب وذهب إليه، نجى عامر بأعجوبة هذه المرة أيضًا.. فتح له مصطفى الباب بعد عدة طرقات ودخل.. جلسا كلاهما ينظران لبعضهما قليلًا، يهز مصطفى ساقيه من التوتر ينتظره ليتكلم، وأخيرًا قال:

- كل ما في الأمر أنني كنت أريد أن أجعلك الملك.

- -؟!

- عندما علم بتاري بهذا، أرسل رسالة إلى دولة أخرى أقوى منا، رسالة كاذبة ليجعلهم يأتوا إلينا ويدمروننا، فقط لينتقم مني.

- أنا لست ابنك لتجعلني ملكًا، وأنا لا أريد هذا من الأساس، قلت لك هذا مرارًا وتكرارًا، لا شأن لي بقوانينكم وسياستكم وقتلكم لبعض، وكل هذا لا دخل لي به، ولو أردت حقًّا جعل أحد أبنائك ملكًا، لجعلت أحد أولادك الذين هم من صلبك

ولست أنا.

- أنت مختلف يا مصطفى، لقد أحببتك ووثقت بأنك ستكون ملكًا عظيمًا في المستقبل، وستبدأ عصرًا ثالثًا جديدًا، ستتزوج وتنجب أولادًا مختلفين ومميزين يحكمون من بعدك، كل ما فعلته لم أفعله بسبب أنانيتي أو جشعي كما يقولون، بل فعلته من أجل مصلحة أورينتس العليا، من أجل مصلحة الشعب كله، من أجل الجيل القادم، لماذا لا يريد أحد أن يفهمني؟

- ولماذا لا تريد أنت أن تفهمني، أنا لست منكم، لماذا تفعل كل هذا وأنت تعرف هذا جيدًا، وتعرف رغبتي بأنني لا أريد أي شيء منك أو من غيرك، سوى الخروج من هنا.

- لأنني أصدق وأؤمن بأنك يومًا ما ستريد وستحب وستطلب، وعندها ستجدني أنتظرك لألبي لك كل هذا وأكثر.

- أنت تخدع نفسك صدقني، ربما يكون هناك جانب صغير بداخلي يصدقك، ويقول لي بأنك حقًا إنسانًا طيبًا وتريد مصلحة الجميع، أرجوك انس كل هذه الأشياء، وابدأ في الاعتراف بأنك مخطئ وواجه مشاكلك وقم بحلها، اتركني أنا وأخي نغادر وكأن شيئًا لم يحدث.

- كأن شيئًا لم يحدث!! هناك حرب قادمة على الأبواب

وربما نموت جميعًا بسببها، فقط لأنني أردت أن أجعلك ملكًا، وتقول لي: كأن شيئًا لم يحدث! لتعلم يا مصطفى، أورينتس منذ بداية نشأتها لم تدخل حربًا قط مع أي دولة أخرى، وهذه أول مرة تحدث معنا هذه الكارثة الكبرى في التاريخ، لا تنكر أنت أيضًا أن كل هذا حدث منذ أن ظهرت أنت وأخوك وجئتما إلينا منذ البداية.

نهض غاضبًا وفتح الباب ليخرج، وفي لحظتها رأى من بعيد عامر ينزل على السلم! نظر إلى مصطفى ثم خرج وذهب يقف عند السور ينظر إليه وهو يخرج من باب القصر، لم يفهم أين كان هو الآن وماذا كان يفعل هنا أو قابل من؟ خطرت على عقله الكثير من الاحتمالات، هل كان في الطابق الثاني ولكن بتاري غير موجود، أم كان الثالث ولكن ماذا سيفعل هناك أم؟!. لا لا ماذا سيفعل مع رومانا وماذا يوجد بينهما ليتحدثا عنه، التفت بسرعة عائدًا إلى غرفته ووجد رومانا كانت تحضر شيئًا تلبسه على جسدها العاري، فقد كانت عارية تمامًا عندما دخل عليها، بدأ الشك يكبر أكثر بداخله، فسألها:

- لماذا أنت هكذا؟

- كنت أستحم وخرجت الآن.

نظر في أرجاء الغرفة سريعًا ولاحظ أن الفراش كان مبعثرًا

بشدة، وكأن هناك مشاجرة كبيرة قد حدثت عليه منذ قليل، اقترب من الفراش ليدقق النظر أكثر على شيء ما، ولاحظ أن هناك بعض المياه الغريبة عليه، تتابعه رومانا وهي ترتدي ملابسها، وبدأ الخوف يسري في جسدها خائفة من أن يشك في أصغر شيء.. فسألها مرة أخرى:

- ماذا حدث هنا على الفراش؟

- كنت جالسة أحتسي شرابًا من الفواكه، شردت قليلًا وسقط من يدي على الفراش، وكنت سأزيل القماش كله لأغسله، فجمعته على نفسه بهذا الشكل المبعثر، حتى أستحم وأعود لأزيله وأعطيه لأحد الخدم، هذا كل ما حدث.

بالطبع لم يصدق كل هذا الهراء، فكر بأن لا يسألها أو يضغط عليها كثيرًا في الوقت الحالي حتى يكتشف ويتأكد ماذا يحدث بالتحديد، نظر إليها قليلًا وقال:

- حسنًا نادي أحدهم ليأتي ويقوم بأخذه ليغسله.

ظنت أنها نجت منه وأنه لم يشك فيها، ولكنها غبية جدًّا لتفكر هكذا، خرجت لتنادي على أحد الخدم وكاسياسي ما زال واقفًا بجانب الفراش ينظر إليه وينظر إليها، ويتخيل ماذا من الممكن أن يكون قد حدث، ويتذكر عامر الذي شاهده ينزل على السلم منذ لحظات، إذا ربط كل هذه

الأحداث سيصل إلى نتيجة واحدة.. ولكنه لا يريد تصديق هذا، يتمنى من كل قلبه أن يكون مخطئًا ويكون كل ما يفكر فيه مجرد احتمالات لا أساس لها من الصحة، وأن زوجته لن تفكر أبدًا بخيانته ولن تفعل، كان يقف مضطربًا والغضب بدأ يأكل من رأسه وكل جسده لا يستطيع الاسترخاء والهدوء، ففكر في طريقة ليتأكد من شكوكه ويحسم هذا الأمر من جذوره.

13

هجم الليل من جديد، والحراس يجلسون في أماكنهم في الطرقات بعد أن تجهزوا لخوض الحرب، يشعلون النيران يأكلون ويشربون ويضحكون، ومنهم من يجلس مع عائلته يودعهم، ويفعلون كل ما يحلو لهم للمرة الأخيرة قبل الحرب التي اقتربت كثيرًا، بعضهم ذهب ليقضي مع زوجته أكبر قدر ممكن من الوقت، ويبكين هم عليهم خوفًا من عدم عودتهم مرة أخرى، كل منهم منشغل في حاله.. انتهى الجميع تقريبًا من إعداد أنفسهم وتجهزهم للحرب، كل شخص معه جواده وأسلحته وكل ما يحتاج.. وسط كل هذا كان عامر وشابكتا يسيران في الطرقات من بينهم، ينظران لهم يتأملانهم وهما يتحدثان:

- ماذا فعلت؟

أنهى شابكتا رشفة العصير من الكوب الذي بيده ثم أجاب:

- جهزت أغراضي وجمعتها كلها، سأغادر غدًا قبل تحرك الجيش.

- هل لديك خطة جيدة للهروب دون أن يمسك بك أحد؟

- سأتسلل في الخفاء دون أن يراني أحد، سأخرج أولًا من أرض النعيم، وبعدها هناك طريق آخر أعرفه، في نهايته

الخروج من أورينتس، لا يمر أحد منه لأنه لا يُسمح بخروج أي شخص من الدولة هكذا، لهذا لن يشك أحد أنني سأسلكه غدًا.

- كيف؟ ألا يوجد حراس يراقبون هذا الطريق؟

- يوجد بالطبع بعض الحراس، ولكن ليسوا كثيرين، سأتخلص منهم كلهم وأهرب بعدها سريعًا، أعرف كيف سأتخطاهم لا تقلق.

- انتبه ربما لا تقدر عليهم ويقتلونك.

- أنسيت أنني حارس قديم، أعرف بعض أساليب القتال.. وأنت ستغادر أنت وأخوك غدًا أيضا في نفس الميعاد لم يتغير؟

- نعم سينتظر السحرة الخمسة قدومي في المكان الذي جئنا منه في البداية.

- أتمنى لك التوفيق وأن تعود أنت وأخوك سالمًا إلى دياركما.

- وأنت أيضًا.

***

هل ترى تلك النار المشتعلة هناك بعيدًا في الظلام، نعم

ذلك الضوء الصغير الذي أمامك، اقترب إليه لترى بوضوح، لا تخف لن يراك أحد، أنت الآن أمامها ولا يوجد أي أحد في المكان، فقط هدوء الصحراء المقبض، وتلك الحشرات التي تسير حول النار، القليل من نسمات الهواء، ألم تلاحظ أي شيء حتى الآن؟ أنت تقف في المكان الذي استيقظ فيه عامر ومصطفى أول مرة في البداية، نعم بعد أن غابا عن الوعي بداخل الجبل واستيقظا ليجدا أنفسهما في مكان آخر يقترب إليهما موكب كبير من العبيد يجرون صخرة كبيرة..

لحظة أنا أسمع صوت قدومهم، ابتعد يا صديقي عن النار وارجع قليلًا إلى الخلف لأن هناك مجموعة أشخاص قادمين، راقب من بعيد لأن ما سيحدث بعد قليل خطير، حسنًا قف هنا وراقب ماذا يحدث أمامك جيدًا، يقترب ذلك الرجل الذي يعرفه الجميع باسم حور، الساحر الأكثر شهرة في أورينتس، جلس أمام النار ومن حوله ظهرت أربعة أجساد في الظلام من بعيد تقترب إليه، يضيء من أعينهم ضوء أبيض يثير الخوف بداخلك عندما تراهم من بعيد بهذا الشكل، اقتربوا أكثر لتنيرهم النار وتستطيع رؤيتهم بسهولة، هؤلاء هم السحرة الأربعة الآخرين الذي اتفق حور مع عامر بأن يحضرهم، لا يختلفون كثيرًا في هيئتهم عنه، لديهم ملامح مختلفة ولكنها بسيطة.

جاء الأربعة وجلسوا حول النار هم أيضًا بجانبه، ثم مد كل واحد منهم كلتا يديه إلى داخل النار!، بداخلها حرفيًّا، لم يتألموا أو يصرخوا، أو لم يتحركوا مقدار أنملة، ثابتون في أماكنهم وكأنهم لا يشعرون، أو كأنهم خُلفوا من النار، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لهم.. ينظرون إلى النار وهم يضعون أيديهم بداخلها، ومع مرور بعض الوقت خرجت من داخلها أفعى كبيرة مرعبة بحق، لون جلدها كله أحمر دموي، لون العينين فقط أخضر، خرجت من النار صاعدة برأسها نحو الأعلى، ظلت تخرج إلى أن خرج آخر جزء من جسدها، وارتمت على الأرض لتقف ثابتة لا تتحرك، كان طولها النهائي تقريبًا سبعة أمتار، عرضها نصف متر، ضخمة مرعبة، ترهب الأبصار والقلوب، لا تحاول مجرد النظر إليها..

أخرجوا أيديهم من النار ونظروا معًا في نفس الوقت إلي الأفعى، لتتحرك هي بعدها وتلتف حول النار وكأنها أمسكت بفريستها، وأحكمت بجسدها عليه بقوة وشلت حركته، وضغطت عليه تعتصره كي تنقض عليه، التفَّت بكل جسدها حولها حتى اختفت النار من مكانها، تقف الأفعى تضيء بعينيها الخضراوين في الظلام، أخرجت فحيحها وتحركت العينان المضيئتان على الأرض مكانها، لتحفر بضربة واحدة برأسها أسفلها وتنزل إلى الأسفل بكل قوتها.. حفرت حفرة كبيرة بطولها وعرضها، ثم خرجت وذهبت بعيدًا في

الصحراء حتى اختفت في الظلام..

انتهت مهمتها التي وُجدت من أجلها وحان وقت القيام بحركة جديدة منهم، من آخر الحفرة من الأسفل بدأ يتكون سائل أخضر لزج، ظهرت نقطة من العدم، وبدأت تكبر بسرعة حتى تحولت إلى بحيرة صغيرة، ظل هذا السائل يكبر سريعًا ويصعد عاليًا بداخل الحفرة حتى وصل إلى الأعلى وظهر أمامهم وتوقف السائل عن الازدياد عندما وصل إلى القمة.. من بعيد وبسرعة كبيرة جاءت نفس الأفعى وهي تصرخ، نعم تصرخ، لا أعرف كيف ولكنها تصرخ، جاءت بسرعة ودخلت إلى ذلك السائل الأخضر اللزج، دخل جسدها كله.. ثم بعد قليل اختفى السائل، ومعه اختفت الأفعى من الحفرة نهائيًا.. ثم قال حور:

- لو نجحت التجربة، فالأفعى الأم الآن في المكان الذي يريد عامر وأخوه العودة إليه!!

ألف مبروك، ستحدث كارثة كبيرة في القاهرة بعد قليل، بسبب ظهور أفعى ضخمة مفزعة خرجت من الصحراء ليلًا واتجهت تسير وسط الناس وفي كل الطرقات، ستحدث حالة كبيرة من الفزع والهلع بين الناس بعد قليل، يا ليت الأمر ينتهى عند حد الخوف فقط، لا بل إنها كانت جائعة وتحتاج لأن تأكل وبشدة.. فللأسف سيذهب الكثير من الضحايا ، على

أحدهم أن يوقفها سريعًا وإلا!!

***

في صباح اليوم التالي ذهب أحد الحراس إلى عامر يخبره بأن الملك يريد مقابلته عاجلًا، فكر في أنه ربما يريد منه الانضمام معه إلى الجيش ويحارب في صفه، رائع، لم يبق إلا أن يموت في مكان لا ينتمي إليه، وفي حرب لا دخل له بها، حاول أن يفهم منه ماذا يريد الملك ولكن لا إجابة.. ذهب ووجده في انتظاره في غرفته الخاصة التي يحب الجلوس فيها دائمًا، دخل وأقفل الحارس الباب خلفه، لم يجلس فعامر لم يكن لديه متسع من الوقت وعلى عجلة من أمره؛ لأنه هذه الليلة سيغادر هو وأخوه، فكان يقوم بتجهيز نفسه، وسيقابل أخاه بعد ساعات قليلة، كاسياسي يقف ينظر للوحة معلقة أمامه على الحائط ويعطي ظهره له، التفت ودعاه للجلوس ولكنه رفض، جلس هو ونظر في عينيه قليلًا ثم قال:

- هل تعرف ما هما أكثر شيئين أكرههما في حياتي؟ الكذب والخيانة.

- هل تتحدث عمَّا فعله بتاري؟

- أجل، وهذا أيضا موجود.

- لو سألتني فأنت لم تخطئ بمعاقبته.

- أنا لم أخبرك بما فعله، كيف عرفت بأمر خيانته؟

تلعثم قليلًا وبدا التوتر ظاهر على وجهه، فقال سريعًا يحاول إخفاء توتره:

- أخبرني أخي، قال لي أنك من أخبرته بهذا وهو أخبرني.

لم يعقب على ردِّه وتجاوز هذه النقطة ولم يرِدْ أن يضغط عليه؛ لأنه يعرف بأنه يكذب، وأنه عرف بطريقة أخرى، فقال:

- اليوم قبل منتصف الليل سنبدأ التحرك إلى الأرض الثالثة، وفي الصباح ستبدأ المعركة، هل تريد أن تأتي معنا؟

- لا دخل لي بكل هذا، اتركني أنا وأخي خارج هذا الأمر.

- معك حق لا يجب إدخالكما في هذا.

نهض كاسياسي وتحرك ناحيته وعاد بذكرياته قليلا إلى الوراء.. قبل عشر ساعات:

***

استيقظ كاسياسي من النوم وذهب ليقضي حاجته، رأى على الأرض زر قميص يعلم أنه ليس له على الإطلاق أو لزوجته، شكله غريب ولم يره من قبل، إلا أنه تذكر أين رآه، ذهب وأيقظ رومانا، استيقظت وهي تنظر حولها فوجدته

يقف أمامها ينظر إليها بجمود، سألته لماذا أيقظها؟ فأخرج لها الزر من داخل كفه ليريها إياه:

- ما هذا؟

- لا أعرف، أين وجدته؟

- ألا تلاحظين أن هذا الشيء غريب قليلًا، وكأنه طراز أو صناعة مختلفة وجديدة، أشعر وكأني رأيته في مكان ما من قبل على شخص ما ولكن أين؟

حاولت أن تستجمع نفسها وترتب كلامها كيلا يشك فيها، مع أن التوتر والخوف كانا ظاهرين عليها، فقالت:

- لا أعرف.

وقبل أن تضع رأسها على الفراش أمسكها من عنقها ورفعها بقوة وأسند ظهرها على الحائط وقال لها والغضب يملأ عينيه:

- ماذا يوجد بينك وبين عامر؟

- لا أعرف عن ماذا تتحدث؟

- لا تكذبي عليَّ يا امرأة، رأيته اليوم وهو ينزل من على السلم، وبعد كل ما رأيته فيما بعد ليس صعبًا التنبؤ بأنه كان هنا في غرفتي، ماذا كان يفعل معك؟

- لم يأت أحد إلى هنا أنت تتوهم.

ضغط أكثر على رقبتها وبدأ وجهها يحمر وهي تلتقط آخر أنفاسها، فضربت بيدها عليه كي يخفف من ضغط يديه قليلًا، أنزل يديه ثم قالت وهي تبكي تشعر بخوف كبير:

- نعم لقد كان هنا.

قال بصوت عال يملأه الغضب:

- ماذا كان يفعل معك؟

لم تستطع النظر في عينيه وحاولت التكلم، ولكنها تتلعثم، لا تستطيع قول كلمة واحدة، استجمعت كلماتها وقالت وهي تنظر إلى الأرض خوفًا منه فقط، لا خجلًا أو شعورًا بالذنب:

- ما تفكر فيه صحيح.

ضرب بيده اليمنى الحائط بجانب وجهها حتى ترك مكانا وعلامة مكان قبضته، صرخ فيها بأن تنظر في عينيه، فعلت بصعوبة، فقال:

- أنا الملك كاسياسي حاكم أورينتس، زوجتي الوحيدة خانتني مع شخص آخر!!!

لم يدع لها الفرصة بأن تنطق بأي كلمة، وضع يده على فمها

ثم قال بكل هدوء:

- لا أريد سماع صوتك أو حتى النظر إليك، لن أقتلك ولكني سآخذك معي غدًا وألقي بك في الوحل لتموتي هناك.

ثم بصق علي وجهها وخرج من الغرفة وأمر حارسين بأن يغلقا عليها الباب ولا يدعاها تخرج أبدًا مهما فعلت أو قالت..

***

أنهى تذكره لذلك المشهد، وبدأ يقترب منه أكثر قائلًا:

- هل تستمتع هنا؟

- أنت تعرف جيدًا أنني لا أريد التواجد هنا ولا أحب المكان.

- ولكني أعطيتك مزايا كثيرة لم أعطها لأي أحد من قبل، لتحب المكان وتعيش معنا بسعادة وتترك أخاك يعيش معي، ولكن بعيدًا عن كل هذا، أنا أقصد باستمتاعك بمقابلة فتاة ما أو شيء من هذا القبيل، أنت تفهمني أليس كذلك؟

خطرت على عقله رومانا وما فعله معها، ابتلع ريقه ومسح العرق الذي بدأ يتساقط منه ثم قال:

- لا لم أقابل أية فتاة، لماذا تسأل؟

- رأيتك في اليوم السابق تنزل على السلم عندما كنت خارجًا من غرفة أخيك، اعتقدت أنك قابلت رومانا أو فعلت شيئًا ما من خلفي خاطئًا في حقي.

- ماذا تقول يا ملك؟ بالطبع لا.

- ولكن رومانا قالت لي أشياء أخرى.

- مثل ماذا؟

اقترب منه أكثر وعامر بدأ يتراجع للخلف وهو يشعر بخوف شديد منه، لا يعرف، ربما يقتله فجأة دون أن يلاحظ أو يفعل به أي شيء لو كان عرف شيئًا ما بالفعل، التصق ظهره على الحائط ثم قال له كاسياسي وهو ما زال ينظر في عينيه مع تحول ملامحه إلى الغضب:

- قالت لي أنكما كنتما معًا على الفراش.

اندفع بالكلام سريعًا مدافعًا عن نفسه:

- افتراء وكذب بالطبع.

ثم أخرج من جيبه زر قميصه الذي سقط منه دون أن يلاحظ، ليكمل:

- وماذا كان يفعل هذا الشيء عندي في غرفتي؟

نظر إلى قميصه ووجد مكان أحد الأزرار مفقودًا ثم نظر إليه وقال وهو يضحك:

- Sht.. اسمعني هي من أغرتني في البداية أقسم لك، لم يكن ذنبي، هي من أغلقت الباب علينا وفعلت حركات وأشياء أمامي لتثيرني، لم يكن خطئي لقد ضعفت أمامها.

مع كل كلمة كان يخبره بها، كان هو يزداد غضبًا وحقدًا عليها أولًا وما فعلته كي تجعله يفعل معها هذا، وعليه ثانيًا لأنه لمسها، تحركت الدماء في عيني كاسياسي، وصل إلى أعلى مراحل الغضب، بعدها تكلم:

- فكرت كثيرًا كيف أقتلك إلى أن وجدت أفضل طريقة.

- لا يمكنك أن تفعل لي شيئًا لا يحق لك هذا.

- ومن سيمنعني؟

- أنا لست من رعاياك الحمقى، ولست من هذا المكان اللعين كله، بالإضافة إلى أنني لست مذنبًا.

- سأحضر الكثير من الحطب وأشعله نارًا وبداخل النار جذع نخلة سأربطك به، وسأشاهدك تحترق أمام عيني، وسأجعل أخاك يراك أيضًا، وبعد موتك سأقتله مثلك.

- يا صديقي أنت أسلوبك حقًّا قديم جدًّا، ألم تبتكر أشياء

جديدة بعد.

ثم نادى كاسياسي على الحراس كي يأتوا ويأخذوه، فدخل ثلاثة وبعدها قام عامر بحركته التي فكر فيها قبل القدوم، فهو ليس غبيًّا كيلا يستطيع توقع حدوث كل هذا، أخرج من جيبه سكينًا كبيرة وانقض على كاسياسي من خلف ظهره ووضع السكين حول رقبته وثبت جسده بقوة، أثيرت حركة وغضب كبير من الحراس بسبب ما فعله عامر للملك أمام أعينهم، فقال لهم بكل هدوء:

- إذا أردتم أن يعيش ملككم ولا تسقط رأسه على الأرض في الحال، تراجعوا كلكم للخلف الآن.

لم يتحرك أحد من مكانه، ثم قال له كاسياسي وهو يضحك:

- أتظن حقًّا بأفعالك هذه أنك ستخرج سالمًا من هنا؟

- برأيي يستحق الأمر المحاولة.

ثم صرخ فيهم بصوت أعلى هذه المرة مع ضغطه قليلًا بالسكين على عنقه لتسقط بقعة دم منه:

- قلت لكم تراجعوا أيها الحثالة وإلا.

أشار الملك لهم بيده بأن يتراجعوا، تحركوا وخرجوا من

الغرفة، ثم خرج بعدهم عامر وكاسياسي متجهًا به إلى الخارج، ثم همس في أذنه ببعض الكلمات، ليأمر كاسياسي بعدها أحد الحراس بأن يذهب ويحضر مصطفى من غرفته، فعل ما أمر به سريعًا وجاء مصطفى ليرى أخاه المجنون يمسك الملك ويضع السكين حول عنقه!، قائلًا له:

- عامر ماذا تفعل هل جُننت؟ ستتسبب في قتلنا.

- انتهت اللعبة يا أخي.

ذهب مصطفى ليقف بجانب أخيه وبعدها خرج ثلاثتهم إلى الساحة، رأى بعض الحراس هذا المشهد الغريب، فتحركوا جميعهم يقتربون منهم وهم يخرجون سيوفهم ويصرخون خوفًا على ملكهم، فضغط بالسكين على عنقه مرة أخرى، ليأمرهم كاسياسي:

- تراجعوا جميعًا لا أحد منكم يقترب.

ثم يكمل كلامه ويقول لعامر:

- لو قتلتني ستموت أنت وأخوك بعدها، ولو تركتني لتهرب لن تستطيع أن تسير بضعة سنتيمترات لأنك ستكون مقتولًا قبلها.

- لا تقلق لن أفعل أيًّا من الأمرين، لدي خطة أفضل بكثير.

تحرك ناحية البرج وبجانبه أخيه، لم يفهم كاسياسي لماذا وكيف سينجو بحياته من داخل البرج؟ أو ماذا يريد أن يفعل هناك، سار ثلاثتهم إلى البرج والحراس هناك فزعوا مما يشاهدونه أمام أعينهم، لا يصدقون أن ملكهم يُمسك بهذه الطريقة، ثاروا كلهم وأخرجوا سيوفهم، ثم أشار لهم كاسياسي بأن يهدؤوا ويتحركوا من أماكنهم جميعهم، نفذوا الأمر في الحال، وسار المكان حول البرج فارغًا من وجود أي أحد، وصلوا إلى الباب وقبل أن يدخل عامر قال لكاسياسي وهو يبتسم:

- سندخل الآن معًا وبعد أن نخرج أعدك أن.... الأفضل أن تشاهد بنفسك لا أريد حرق المفاجأة.

ركل عامر بقدمه الباب بقوة ثم أشار لأخيه بأن يدخل أولا، بعدها دخل هو بظهره وأمامه كاسياسي ما زال يمسكه بقوة والسكين حول رقبته، وهو ينظر إلى الحراس كيلا يقترب منه أحد فجأة، قبل أن يغلق الباب قال لهم كلهم:

- إذا فكر أي أحد منكم بفتح هذا الباب، ستكون روح ملككم قد صعدت إلى السماء قبل فتح الباب، هل سمعتم؟

دخل وتركه وهو حتى الآن لا يفهم ما هدفه من وراء كل هذا، فقال له وهو ينظر من حوله في كل مكان:

- كما توقعت، يوجد سلم ملتف نهايته تصل إلى الأعلى وبعض شعلات النار لتضيء المكان ليلًا، لا شيء أخر.

- أنت أغبى إنسان رأيته في حياتي، كيف ستستطيع الخروج من هنا ومعك أخوك؟!

- ما رأيك أولًا أن تصمت قليلًا.

ثم أشار له بالسكين بأن يصعد على السلم أمامه، وافقه وصعد ومن خلفه هو ومصطفى، وصلوا للأعلى وكانت الشمس فوق رؤوسهم تضربهم، رأى عامر أمامه وكما توقع أيضًا من قبل صخرة طولها نصف جسده على شكل منضدة وعليها كتاب كبير ملتف حولها حبل، أمر كاسياسي بالتحرك أمامه كي يكون أمام ناظريه لئلا يقوم بفعل أي حركة غدر، ثم تحرك هو واقترب أكثر للكتاب، لم يندهش منه كثيرًا كما توقع من قبل، كتاب ضخم كأي كتاب، الأساطير والكلام الذي يقال عنه مبالغ فيه جدًا ولا يستحق كل هذه الحماية أو السرية، بعدها نظر إليه وقال ساخرًا:

- أهذا هو «كتاب أودم» الغامض الذي يتحدث عنه الجميع؟

- نعم هو.

فك عامر عقدة الحبل من عليه وفتحه ليقرأه، كاسياسي لا

يبدو سعيدًا على الإطلاق من هذه التصرفات الجريئة، قام بفتح الكتاب وكان الورق قديمًا باهتًا أصفر اللون، مكتوب بداخله عدة قوانين باللغة العربية الفصحى، بدأ يقلب صفحاته تلو الأخرى سريعًا، ولأن حجم الكتاب كبير وبه الكثير من القوانين، فلم يكن لديه متسع من الوقت لقراءتها كلها، أمسك الريشة وكتب في أخر صفحة من الكتاب...

«جاء عامر إلى أورينتس وذهب بعد أن دمرها».

ثم ترك الريشة وأغلق الكتاب وهو سعيد، بعدها أمره بالنزول، الكل متشوق لرؤيته ماذا سيفعل وكيف سيهرب، ظل ينظر مرة أخرى حوله في المكان وهو يتحدث معه:

- لا أعتقد أن هذا البرج حوله كل هؤلاء الحراس وبهذه الأهمية كلها فقط من أجل هذا الكتاب السخيف.

- ماذا تقصد؟

- أقصد أن هناك شيئًا آخر تخفونه مثل «لوح لعنة الأبناء الأبدية» على سبيل المثال.

عندما نطق بها تغيرت ملامحه للرعب، وبدا عليه التوتر والقلق وتلعثم قليلًا قبل أن ينطق:

- لا أعرف عن ماذا تتحدث.

- لا تكذب، لقد أخبرتني زوجتك بكل شيء.

- وماذا أخبرتك بالتحديد؟

- أنت تعرف، فلا فائدة ممَّا سأقوله.

ثم عاد يتلفت حوله على الأرض وكأنه يبحث عن شيء ما يعرف مكانه من قبل، ولكنه في الحقيقة كان يبحث عن فأس أو أي آلة يستطيع استخدامها للحفر، لم يجد، فتح الباب وطلب من أحدهم بأن يحضر له شيئًا يحفر الأرض به وهدَّد بقتل الملك لو لم يفعل، فذهب وأحضر له شيئًا كالفأس، أو هو بالفعل، أخذه منه ودخل، ثم سأله الملك بكل فضول وهو يضحك على أفعاله:

- ماذا ستفعل؟ هل ستحفر نفقًا وتهرب من تحت الأرض؟

- لن أحتاج لفعل هذا، فقط راقبني.

لاحظ عند نقطة ما على الأرض أن هناك تجويف صغير جدًّا، يعني بالكاد تلاحظه لو كان بصرك قويًّا، اتبع حدسه الذي يثق فيه دائمًا ولم يخذله يومًا، وبدأ يحفر عند ذلك الجزء، كل هذا الوقت لم يتكلم مصطفى ولم يحاول سؤاله عمَّا يفعله، فقط طلب عامر منه بأن يراقب أسيره جيدًا كيلا يهرب أو يفعل أي شيء، أخذ بعض الوقت للحفر ما يقارب خمسًا وأربعين دقيقة، كانت الأرض بعض الشيء لينة، فكان

حفره سهلًا ولم يكن الأمر عليه قاسيًا، فلم يتوقف عن الحفر إلا أن ظهر رأس شيء ما، تابع الحفر من حولها بسرعة ليتأكد من شكوكه، ومع الوقت بدأ يظهر بالفعل، وكانت شكوكه في محلها...

ألقى الفأس جانبًا، وظل يتأمل بداخل الحفرة إلى ما وجده، لوحًا حجريًا لونه أسود سواد الليل الحالك، عليه من الأعلى نقش لجملة عندما قرأها اقشعر بدنه قليلًا: «لعنة الأبناء الأبدية»، فقال لنفسه:

- إذًا الأسطورة حقيقية.

مال بجسده وأخرج اللوح الحجري، رفعه بصعوبة قليلًا ونجح في النهاية بوضعه على الأرض أمام الجميع ثم قال له:

- ما رأيك بهذا؟

- أنت لا تعرف ماذا فعلت، هذا اللوح مدفون منذ عهد الملك جيكاي، وكل من أتى بعده من الملوك كان يعلم بوجوده، ولكن لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه؛ لأنه عمل ساحر ولعنة من الممكن أن تصيب أحدًا أو تصيبنا جميعًا بشكل أسوأ عن ذي قبل.

- لا تخف لن يحدث شيء، أنا أخرجته فقط لأريه للجميع وأخبرهم بحكاية هذا اللوح، وأنكم الملوك أخفيتم هذا

الأمر عنهم عمدًا كل هذه السنين، وأن هذا الأحمق جيكاي هو السبب في هذه اللعنة التي تسببت في ولادة كل طفل في الدولة بهذه الأشكال، هل تعرف ماذا سيحدث بعد أن أخبرهم بهذه القصة؟ ربما يحدث انقلاب عليك أو يقتلونك أو لن يذهبوا إلى الحرب من أجلك ويتركوك، في كل الحالات أنت خسرت وأنا ربحت، قلت لك: إنني سأخرج من هنا.

أنهى كلماته البطولية ثم صفق له كاسياسي وهو يضحك، قائلًا:

- هل تظن حقًّا أنهم سيصدقونك أنت ويكذبونني أنا؟ أنت مسكين.

لم يجب، ذهب ليفتح الباب ولكن تغيرت ملامح كاسياسي بسرعة عندما رأى أنه جاد فيما يقوله، انقض عليه من خلفه ودفعه للداخل كيلا يخرج، ضحك عامر وقال:

- كنت أعرف، ولكن مهما فعلت يا ملك، سأخرج من هذا الباب وأخبر الجميع بالحقيقة.

- على جثتي.

- لك ذلك.

وتشابك الاثنان يتقاتلان، يضرب واحد لكمة والآخر يرد

عليه بمثلها، يدفع واحد ويرد عليه الآخر بنفس الدفعة، حاول مصطفى التدخل ولكن أمره عامر بالتراجع على الفور ولا يتدخل مهما حدث، فقط طلب منه مراقبة اللوح، وفي آخر ضربة قام بها عامر، وقع كاسياسي بداخل الحفرة وقفز عليه ليضربه بكل قوته حتى تخور قواه نهائيًا، نفَّذ حركته ونزل عليه بكل جسده وهو بداخل الحفرة، ليضربه في بطنه ثم يضربه بعدها عدة لكمات في وجهه.. خارت قواه وغاب عن الوعي قليلًا ولكنه كان ما زال مستيقظًا يحاول فتح عينيه، وقبل أن ينهض عامر من عليه، شعر بكاسياسي وهو جالس عليه بأن جسده نزل إلى الأسفل قليلًا.. ليس لأنه تعمق هو في الحفرة أكثر، بل لأن الحفرة ازدادت عمقًا إلى الأسفل أكثر، لم يهتم ونهض من عليه، ثم حاول المغلوب النهوض هو الآخر وخرج من الحفرة وهو يزحف بكل ما تبقى عنده من قوة، ثم ألقى عليه عامر كلماته الأخيرة قبل أن يخرج:

- أنت انتهيت، ما كان عليك أن تعبث معي أبدًا.

وقبل أن يلتفت ليخرج لهم، وقعت عيناه على الحفرة ليلاحظ شيئًا، اقترب منها ودَّقق النظر للأسفل ليجد إصبعًا أو أصابع هيكل عظمي بارزة قليلًا!

- من المدفون بالأسفل هنا؟

لم يستطع الإجابة على سؤاله؛ لأنه كان يتألم ولم يستطع التكلم أو كان لا يريد التحدث معه.. لم يهتم عامر به وقرر اكتشاف الأمر بنفسه، قفز إلى الأسفل وبدأ يحفر حول تلك الأصابع الهيكلية، ومع الوقت بدأت تظهر باقي الأجزاء، الذي اتضح أنه جسد كامل لم يتفكك، جسد هيكل عظمي لونه أبيض لشخص ما نائم على ظهره، ظن أنه بداخل إحدى عظامه أو رأسه شيء ما مدفون، فأمسكه ورفعه من مكانه وهزه بقوة ظنًّا منه بأنه سيسقط شيء ما من داخله، ولكن حدسه خانه هذه المرة.. ألقى به في الخارج وعاد لينظر إلى الأسفل مكانه، ورأى ثلاثة خطوط طويلة ثابتة على الأرض في مكانها، كانت تحت ظهر جسد الهيكل، اعتقد أنها حبال أو أوراق سرية مدفونة، فمد يده اليها كي يمسكها ويكتشف ما هي، وقبل أن يلمس أي خط من الثلاثة، تحرك التراب من على الخطوط الثلاثة وخرج من تحتها ثلاثة أفاع سوداء!!. نعم لقد شعرت بالخوف أنا أيضًا، ثلاثة أفاع سوداء خرجت زحفًا من الأسفل إلى الخارج، ثم اختفت في الهواء.

في البداية عندما رآهم خاف بشدة، وكاد أن يصرخ من فزعه عندما فؤجئ بأنها أفاع وعلى قيد الحياة! تحت الأرض تحت جسد هيكل عظمي، لم يصدق ما رأت عيناه ولكنه حاول أن يتماسك ويبدو قويًّا، نادي عليه أخوه من الأعلى يسأله:

- عامر هل أنت بخير ماذا يحدث عندك؟

- لا تخف أنا بخير.

تركت الأفاعي أثرًا في أماكنها عندما تحركت، ثم وبدون مقدمات شعر بأنه هبط الى الأسفل أكثر مرة ثانية، وكأن الأرض تحفر نفسها بنفسها، لم يفهم ماذا يحدث، وإلى أين سيقوده كل هذا في النهاية، هنا بعد أن هبط قليلًا مرة أخرى رأى أصابع هيكل آخر، أزال التراب من عليه ليظهر بالفعل جسد هيكل عظمي، ولكن هذا كان نائمًا على بطنه، أمسكه ورفعه من مكانه ووضعه بجانب الأول، ليظهر هذه المرة أربعة خطوط، لم يقع في فخ الخدعة هذه المرة، وانتظر حتى وجد التراب يتحرك ببطء من عليهم، ثم خرج أربعة أفاع كما توقع، يزحفون إلى الخارج ثم اختفت في الهواء كسابقيهم!. كيف تكون على قيد الحياة تحت كل هذا العمق وبين جثتين أو هيكلين!، لا تقل لي أنهم كانوا أمواتًا ثم بُعثوا من جديد وعادت إليهم أرواحهم بعد أن حفر وأخرج الهيكلين، لا لا هذا حقًا جنون، ولكن لحظة. تذكر عامر شيئًا ما قد رآه من قبل في مكان ما يشبه هذا المشهد كثيرًا، عصر عقله قليلا ليتذكر أين رأى هذا من قبل، وتذكر.

***

«الجدار عن اليمين مرسوم عليه رسمه كبيرة الحجم، لرجل نائم على ظهره ومن تحته ثلاثة أفاعي.. الجدار الثاني عليه رسمه أخرى كبيره أيضًا.. لامرأة نائمة على بطنها ومن فوقها أربع أفاع».

***

نعم لقد تذكر الآن أين شاهدهم من قبل، نفس الرسومات الموجودة على جدران المعبد من الداخل، رسمة لرجل نائم على ظهره ومن أسفله يوجد ثلاثة أفاعي، ورسمة أخرى لامرأة نائمة على بطنها ومن فوقها أربعة، طبقًا لما حدث معه الآن، لو كان ما يفكّر فيه صحيحًا، فإن الهيكل الأول كان لرجل والثاني كان لامرأة، ونفس عدد الأفاعي الثلاث والأربع، وبالرغم من أنه استطاع حل جزء من هذا اللغز، إلا أنه لم يفهم ما معنى كل هذا.

تذكر الجدار الثالث الذي كان عليه بعض الرسومات لبعض الأدوات والآلات الغريبة، والجدار الرابع كان عليه رسومات لبعض الأطفال الصغار، لم يظهر هذه المرة أية هياكل أو ثعابين، ولم تسقط الأرض به مرة أخرى، خرج من الحفرة وذهب لكاسياسي وأمسكه من ياقته بقوة وقال:

- ماذا يوجد بالأسفل هنا غير هذا اللوح؟

صرخ به وحركه كثيرًا ليتكلم، ولكنه يضحك له وهو ما زال مرهقًا من الضرب الذي تعرض له:

- لن تعرف أبدًا.

قبل أن يرد عليه سمع طرقًا على الباب، أخذ السكين من أخيه وذهب ليعرف من هذا المزعج.

- قلت بأن لا يقترب أحد.

- أنا حور.

اندهش عندما سمع صوته، فتح الباب وكان هو بالفعل:

- ماذا تفعل بالداخل هنا؟ ولماذا كل هؤلاء الحراس يقفون هكذا؟

- لأنني أخذت الملك رهينة.

- ماذا قلت؟؟

أمسكه من ملابسه ودفعه للداخل وأغلق الباب، وعندما رأى حور الملك ملقى على الأرض وتلك الحفرة والهيكلين لم يصدق ما تراه عيناه، نظر لعامر مندهشًا وقال وهو يضحك من شدة تعجبه:

- ما كل هذا؟

- لا وقت لدينا للشرح، أنت لماذا جئت؟

- لأخبرك أنني قمت بتجربة النقل إلى عالمكم ونجحت.

- رائع، والآن أحتاج إلى مساعدتك هنا.

بدأ يشرح له قليلا عن لوح «لعنة الأبناء الأبدية»، ثم ما وجده بعد ذلك بالصدفة تحت اللوح، هيكلان وسبعة أفاع، ثم أخبره عن الرسوم التي على جدار المعابد وربما تكون لها علاقة بما وجده هنا.. انجذب لكلامه وتشوق لمعرفة هذا السر، ثم طلب منه وصف تلك الأدوات التي على الجدار الثالث، فوصفها له بقدر ما يتذكر، ثم قال له بعد ما أنهى كلامه:

- أعتقد أن تلك الأدوات هي أشياء خاصة يستخدمها السحرة، يعني أنا.

- ماذا تقصد؟

- أقصد ربما الخطوة القادمة لنكتشف ماذا يوجد بالأسفل أن أقوم أنا باستخدام تلك الأدوات.

هنا صرخ كاسياسي فيهما بقوة وقال:

- إياكما ومجرد التفكير حتى.

رد عليه عامر سريعًا:

- حسنًا إذًا أخبرنا أنت ماذا يوجد أيضًا مدفون هنا.

- لا يمكنني، لو كشف هذا الأمر فستكون النهاية.

- بكلامك هذا شجعتني أكثر لمعرفة هذا السر.

ثم نظر لحور وقال بحماس:

- ماذا تحتاج لتقوم بهذا العمل؟

- أحتاج لتلك الأدوات، يجب أن أحضرها كلها، لذا سأذهب إلى إحدى المعابد وأرى ما المرسوم بالتحديد وأقوم بإحضاره.

خرج وسار من بينهم في الخارج متخفيًا بواسطة سحره كما جاء في البداية، وجلس عامر بجانب أخيه قليلا يتحدثان في بعض الأشياء إلى حين عودته، وكاسياسي ما زال مستلقيًا في مكانه لا يستطيع الحراك، يبدو أنه ضربه بقوة حقًا وشل حركته لبعض الوقت، من الجيد أن عامر مارس رياضة التايكوندو أثناء دراسته في المرحلة الثانوية، ويعرف بعض الحركات التي تفيده من وقت لآخر في مشاجراته...

14

ذهب حور إلى أحد المعابد فلا فرق بينهم، كلهم بداخلها على جدرانها نفس الرسوم، دخل ونظر إلى الجدار الأول عن يمينه ورأى ما أخبره به عامر، وكذلك الجدار الثاني أمامه، والجدار الثالث عن شماله كان كما توقع، بعض رسومات لأدوات يستخدمها السحرة ولكنها أدوات قديمة جدًّا، لا توجد في عصرهم الآن، ولا يستخدمها هو أو أي من السحرة في الوقت الحاضر، أدوات مميزة لم ير مثلها من قبل ولم يستخدمها قط، وكانت عبارة عن: (نصف الجدار من على اليمين كان مرسومًا عليه طبق فخار عميق قليلًا صغير الحجم.. عصا فخار صغيرة.. والنصف الآخر في الشمال كانت توجد رسمة لماعز صغير مذبوح من عنقه، ويسقط منه بعض قطرات الدماء.. ثلاثة أنواع من الأعشاب المختلفة.. ومن أسفل الجدار يوجد رسمة لرجل يرتدي تاجًا على رأسه ويسقط من كفه الأيمن بعض قطرات الدماء.. إنه تجسيد لشخص الملك أيًّا كان هو)..

استطاع فهمها كلها بسهولة، ويعرف من أين سيحضرهم، نظر خلفه للجدار الرابع الذي كان يتوسطه باب المعبد، عن اليمين توجد رسمتان لطفلين صغيرين، وفي الشمال ثلاثة أطفال، هل سيحضر خمسة أطفال أيضًا أم ماذا؟ فكر في

احتمال ربما يكون صحيحًا أو لا، ولكنه يأمل أن يكون صحيحًا وإلا كل ما سيفعله لن يجدي أي نفع، خرج ليحضر هذه الأشياء، وبدأ بالفعل بصنع الطبق والعصا من الطين، وتركهما قليلا في النار، ثم أصبحا جاهزين للاستخدام، خطف ماعزًا صغيرًا من حقل الحيوانات، ثم أحضر ثلاثة أنواع من الأعشاب، والتي كانت عبارة عن (الكركم، الروزماري، نبات الحلبة)، كان من السهل عليه إيجاد كل هذه الأعشاب لأنهم في أورينتس يزرعون كل أنواع الأعشاب والخضروات والفواكه التي يمكن أن تخطر على عقلك، بالطبع استعانوا بمساعدة بعض السحرة لمعرفة كل هذه العلوم وكل هذه الاكتشافات..

استغرق منه كل هذا ثلاث ساعات، أوشكت الشمس على الغروب، فما زالت لديهم مهمة الهروب بعد.. عاد إليهم ومعه كل أشيائه التي يحتاجها، عندما رأى كاسياسي كل ما أحضره معه فزع بشدة، اعتقد أنه علم أنهم يسيرون في الاتجاه الصحيح لمعرفة أمر ما كبير وسري ليس عليهم معرفته، حاول منعهم من القيام بأي فعل، ولكن لم يستمع له أحد أو يعره أي اهتمام.

جلس حور على الأرض ووضع الطبق أمامه ثم رمى بداخله الأعشاب الثلاث وذبح الماعز من رقبتها وترك الدماء تسيل

منها بداخل الطبق، بعدها نهض وذهب ناحية كاسياسي وهو يحمل الطبق، جرحه من كفه وترك بعض الدماء تسقط منه بداخله، عاد وجلس في مكانه ثم وضع العصا بداخل الطبق، وبدأ يقلبه سريعًا، كأنه يصنع حساء للعشاء، اختلطت الأعشاب بدماء الملك والماعز وتحول لونها الأخضر إلى الأحمر، أنهى التقليب ثم ألقى بكل ما بداخله إلى داخل الحفرة، سقطت الأعشاب والدماء إلى أعمق نقطة من الحفرة وصلوا إلى حفرها، استقرت في أماكنها وثبتت، لم تمتص حتى الأرض الدماء السائلة أو تتجمد في مكانها، على العكس بل ظلت ظاهرة وثابتة في مكانها وكأنها بداخل كوب زجاج، وهذا كان شيئًا ملفتًا وله أهمية كبيرة، ثم وقف وقال لعامر:

- تبقى خطوة أخيرة.

لم ينتظر سؤاله ما هي، بل تحرك وصعد على السلم وحده، فتح الكتاب وظل يقلب في صفحاته سريعًا إلى أن وقعت عيناه على هذا النص: «*لو كنت تبحث عن المفتاح.. فالمفتاح هو المفتاح*»

وأسفله مكتوب جملة صغيرة: (نص غير مفهوم)!!

لم يفهم هو أيضًا ما معنى ذلك النص، ماذا يقصد بأن المفتاح هو المفتاح؟، أقفل الكتاب ونزل وهو يفكر أثناء نزوله ما معنى تلك العبارة، ظل شاردًا يفكر، ليخرجه صوت

عامر قائلًا:

- فيمَ تفكر؟

- «المفتاح هو المفتاح» ماذا يقصد؟

وقبل أن يرد عليه، لمعت عيني حور فرحًا، انتظر عامر منه بأن يشرح له، ولكنه تحرك إلى إحدى الجدران أمامه وأمسك حجرًا صغيرًا وحفر على الحائط كلمة «المفتاح» ثم نظر لعامر وقال له وهو ما زال سعيدًا:

- المفتاح هو المفتاح، إنه فقط بهذه البساطة.

توقع منه بأنه فهم، ولكنه ما زال حائرًا حقًّا ولا يفهم ماذا يقصد، فيكمل كلامه وهو يشير إلى كلمة المفتاح التي حفرها على الجدار:

- المفتاح (ا ل م ف ت ا ح) كل حرف من تلك الكلمة تدل على عنصر معين.. «في علم الحروف»، الألف يشير إلى عنصر النار، واللام يشير إلى عنصر الماء، والميم يشير إلى عنصر النار أيضًا، والفاء يشير إلى عنصر النار مرة أخرى، والتاء يشير إلى عنصر التراب، والألف إلى النار بالطبع، والحاء يشير إلى الماء.. كل حرف من كلمة المفتاح يشير إلى عنصر من العناصر الأربعة (إما النار أو الماء أو الهواء أو التراب) وكل حرف له طاقة خاصة به، قوة سرية يحملها كل

حرف، وهذه ستكون طريقتنا لفتح الباب...

- اعذرني، ولكني حتى الآن لم أفهم.

- راقبني جيدًا

حاول حور العثور من على الأرض حوله عن شيء ما، حتى وجد قطعة ورقة قديمة متهالكة، اقتطف منها قطعة ثم أشعلها نارًا ورماها بداخل الحفرة، ثم أخرج من جيبه قنينة ماء صغيرة يحملها معه دائمًا، وألقى ببعض قطرات الماء منها لداخل الحفرة، ثم أشعل قطعة ورقة ثانية وألقاها، ثم أشعل ثالثة وألقاها، ثم أمسك بعض التراب من تحت قدميه وألقاهم بداخل الحفرة، ثم أشعل ورقة رابعة وألقاها، وأخيرًا ألقى ببعض قطرات الماء مرة ثانية.. ثم قال بصوت عالٍ:

- الألف اللام الميم الفاء التاء الألف الحاء.. نار ماء نار نار تراب ماء.

أنهى جملته تلك وبدأت الأرض من تحتهم تهتز بقوة، وقف كل منهم على حافة الحفرة يراقبون ماذا يحدث بالأسفل، وكان أعجب وأرعب مشهد شاهدوه في حياتهم كلها.. الأرض ما زالت تهتز وفي الأسفل بدأت تظهر من تحت الأرض أشياء صغيرة، لا لا إنها أقدام وأيدا بحق الجحيم!!، إنهم أطفال صغار لم يبلغوا سنة من عمرهم تقريبًا، ظهرت أجساد لخمسة

أطفال من تحت الأرض، لا يتحركون ولا يبكون، مع أن جلدهم وأطرافهم وكل شيء بهم في مكانه، كأنه تربى في بيته بشكل طبيعي، تحركت الدماء مع اهتزاز الأرض ودخلت الدماء كلها إلى أفواه الخمسة أطفال في وقت واحد، لم يكن الأمر صدفة أو لمجرد أن الأرض اهتزت، بل إن تلك الدماء كانت تعرف طريقها منذ البداية، وهو إلى أفواههم، فتح كل واحد عينيه، نعم فتحوا عيونهم وكأنهم استيقظوا من نومهم بداخل أسرتهم بسبب شيء ما أزعجهم، أو صوت عالٍ أيقظهم من حلمهم، تحركوا من أماكنهم يزحفون إلى الأعشاب المختلطة ببعضها البعض، ثم أخذ كل واحد منهم بيديه بعض الأعشاب وبدأ يأكلها ببطء وبكل لطف وحنان طفل رضيع.

الجميع في الأعلى يشاهدون هذا المشهد ولا يصدقون ما تراه عيونهم، لو كل ما حدث مع الأخوين منذ البداية كانت أشياء طبيعية أو يصدقها عقل، لقالوا أنهم يحلمون الآن أو يشاهدون فيلمًا، ولكن مع كل ما حدث لهم منذ البداية وحتى تلك اللحظة يجعلهم يصدقون وللأسف أن ما يرونه هو حقيقي وليس حلمًا أو أي شيء آخر، قطعت أنفاسهم وتجمدت عقولهم عن التفكير، وتوقفت الأعضاء والأجهزة بداخل أجسادهم عن العمل، فقط يراقبون هذا المشهد يحدث أمامهم بث مباشر وكأنهم أصنام..

الساحر لم يندهش أو يصدم كثيرًا مما يراه، فهذه أمور بالنسبة له طبيعية وتحدث معه دائمًا بأشكال وطرق مختلفة، ولكن هذه المرة الأمر مختلف قليلًا في الطريقة والظهور بهذا الشكل بالنسبة له، فجعله هذا متعجبًا ومعجبًا قليلًا مما يراه، أنهى الأطفال أكل كل الأعشاب المغطاة بالدماء أمامهم ثم بدأوا يبكون معًا، صوت بكائهم لم يكن خارجًا من عندهم من الأسفل فقط، بل كانت أصواتهم تخرج من كل مكان في البرج، من داخل الجدران ومن الأعلى ومن الأسفل ومن حولهم، من كل مكان تخرج أصوات بكائهم، وكأن هناك مكبرات صوت في المكان وهم يبكون في الميكرفونات..

نظر ثلاثتهم حولهم في كل ركن بداخل البرج يتابعون صوت بكائهم يخرج من حولهم غير مدركين ماذا يحدث، الأمر كله جنووون، تابعوا النظر لهم وهم يبكون، وما زال الجنون مكتملًا.. توقفوا عن البكاء وتحرك كل طفل منهم في اتجاه مختلف إلى حائط الحفرة بالأسفل.. لا تفقد تركيزك وانتبه جيدًا لما سأقوله.. كل طفل من الخمسة تحرك في اتجاه إلى حائط الحفرة الداخلي بالأسفل في أماكنهم، وعندما وصل كل واحد منهم إلى الحائط الذي سار ناحيته، أخرج بيديه الصغيرتين لوحًا حجريًّا من داخل الحائط

ووضعه أمامه، خمسة ألواح حجرية لونها أحمر احمرار الدم، طولها واحد من المترات بالتساوي، سميكة قليلًا، كيف بحق الجحيم أن يخرج طفل بهذا الحجم حجرًا ضخمًا هكذا بكل سهولة ويمسكه بيديه الصغيرتين ويضعه أمامه وكأنه أمسك دمية صغيرة، ولكن لماذا أنا مندهش هكذا؟ ليس هناك ما يحدث هنا طبيعي على الإطلاق..

كانت الألواح الخمس تقف أمام كل طفل منهم لم تسقط على الأرض، ثم بدأ الأطفال يضحكون بصوتهم الملائكي الطفولي، وبعدها تحللت أجسادهم في غمضة عين، تحللت في أماكنها وتفككت عظامهم وبعضها مهشم إلى قطع كثيرة، ولا توجد قطرة دماء واحدة في المكان، مع جماجمهم صغيرة الحجم بجانب عظامهم المهشمة.. الألواح ما زالت واقفة في أماكنها لم تتحرك، لم ينتبه أحد أن كاسياسي كان يقف بجانبهم ينظر لما يحدث، انتبه عامر فجأة أنه يقف يشاهد معهم، ثم قال وهو في حالة صدمة كبيرة هو الآخر:

- «ألواح الأولين»!!!

رد عليه حور غير مصدق ما قاله:

- إذًا أسطورة نشأة الدولة صحيحة!

الأخوان يقفان بينهما لا يفهمان عن ماذا يتحدثان...

- ما ألواح الأولين؟

أجابه حور وهو ينظر إليها بالأسفل:

- إنها أسطورة قديمة جدًّا جدًّا، يقال أنها وجدت قبل وجود أورينتس نفسها، أو منذ بدء نشأتها، كتب عليها بعض الكلام الذي لم يصدقه أحد.

- وماذا تقول الأسطورة؟

- ما فائدة هذا الآن؟ فالألواح أمام أعيننا ويمكننا قراءة ما المكتوب عليها.

حاول عامر أن ينزل للأسفل ليقرأ ما المكتوب، ولكن قام حور بتحذيره سريعًا بأن لا ينزل:

- توقف ليس الآن، فكل لوح منهم كان يوجد في قبضة شيطان، ولذلك ألوانهم شديدة الاحمرار كما ترى، والأطفال الخمسة هم حراس الألواح كما توقعت من قبل، عندما رأيت رسوماتهم على الجدار الرابع، والآن يجب طرد الخمسة شياطين من داخل جدران الحفرة بالأسفل كي يمكننا النزول والاقتراب من الألواح بحريَّةٍ؛ لأنك لو لم تفعل هذا ونزلت واقتربت منها ستهلك على يد الشيطان الذي اقتربت من لوحه الذي كان في قبضته، لذا دعني أكمل عملي حتى النهاية...

تراجع الجميع للوراء كما طلب منهم الساحر الشهير، وأخرج قطعة قماش صغيرة صفراء من جيبه، وضع فيها بعض باقي الأعشاب التي كانت بحوزته، ثم ربط قطعة القماش بعقدة في أعلاها، بعدها تركها على راحة يده الأيمن، ومد يده للأمام ثم أغلق عينيه قليلًا وقال:

- نار ماء نار نار تراب ماء.

قالها خمس مرات ثم احترقت قطعة القماش وحدها وهي في يده، بعدها ألقى بها إلى الحفرة، أشار لهم بأن لا يقتربوا بعد؛ لأنه لا يريدهم أن يروا ماذا سيحدث في تلك اللحظات، اهتزت الأرض مجددًا وخرج من خلف أحد الألواح شيطان أخذ قطعة القماش بسرعة ثم دخل إلى الحائط مكانه كما خرج بسرعة كبيرة، بعدها خرج أربعة شياطيين من خلف باقي الأحجار الأربع، ودخلوا لداخل حائط الشيطان الأول الذي أخذ قطعة القماش أولا، كل هذا لم يستغرق إلا برهة من الوقت، ثم أشار لهم بأن يتقدموا، سأله عامر عمَّا حدث فأجابه:

- الشياطين كانوا جائعين مثل الأطفال، فألقيت لهم طعم صغير أخذه أحدهم أولًا ثم تبعه الباقي سريعًا ليأخذوه منه ويتقاتلوا عليها، الآن قد انصرفوا من المكان يمكننا النزول.

صرخ فيهم كاسياسي بأن لا يفعلوا، ولا يجب عليهم معرفة هذه الحقيقة، ولا يجب على أي أحد معرفتها من الأساس، الأفضل بأن تبقى مجرد أسطورة لا يصدقها أحد، ولا يفكر بأن ما سمعه هو بالفعل حقيقي وحدث، تحذيراته لهم شجعتهم أكثر على معرفة ما المكتوب على الألواح، ولماذا هي بكل هذه الأهمية والحماية الكبيرة، نزل ثلاثتهم ووقفوا جميعهم يتأملون أشكالها، لونها أحمر كالدم، مكتوب عليها كلام بلون أسود وبخط صغير، مرتبة أو مرقمة على كل لوح رقم، ذهبوا عند اللوح المكتوب أعلاه رقم ١ وبدأ عامر يقرأ ومن جانبه أخوه وحور يستمعان..

«لو وصلت الى الألواح وتقرأ هذا الكلام.. فإن النهاية اقتربت».

قبل نشأة ووجود دولة أورينتس، كنا قبائل وجماعات صغيرة متفرقة، ولكن كان يجمعنا كلنا شيء واحد، وهو أننا كنا نحب بعضنا ولا يكره أحدنا الآخر، بالإضافة إلى أننا كنا جميعًا نؤمن بديانة واحدة، ولنا معتقدات مشتركة، فهذا ما جمعنا كلنا معا في البداية، وجعلنا نريد إقامة وبناء دولة نعيش بداخلها ونكبر ونزدهر بها، ليتكلم عنا العالم ويشهد بتقدمنا وازدهارنا وقوتنا، في ذلك الوقت كانت هناك أوشدنتم أكبر دولة في العالم والأقدم، إذا أرادت أي

جماعة بناء دولتهم الخاصة بهم عليهم أولًا بأن يأخذوا الإذن بالموافقة من أوشدنتم؛ لأن هناك بعض الاتفاقات الخاصة التي تعقدها أوشدنتم مع الدولة الجديدة، لو وافقوا عليها يستطيعون بناء دولتهم.

نحن اخترنا وكيلًا عنا أو ملكًا علينا كلنا ليذهب ويتحدث معهم ليخبرهم بمرادنا ويعطونا الموافقة، كان هذا الملك الذي أرسلناه يدعى « شرم»، ذهب وتكلم مع الملك هناك أو المسؤول عن الأمر، بعدها عاد واجتمع مع البعض منا (شيوخ أو كبار القبائل) ليأخذ مشورتنا وموافقتنا على شروطهم، وكنت أنا بالطبع واحدًا من هؤلاء الكبار الذين حضروا المشورة، وهنا تأتي الكارثة؛ لأن ما طلبوه منا كان في غاية السوء والشر...

• بند ١: طلبوا منا أن نعطيهم من عندنا ٢٠٪ بنات عذراء كدفعة أولية، يفعلون بهن ما يشاءون، وهنا يجب أن أخبرك أن هذا الشرط لم يكن من فراغ أو هكذا خطر على أهواءهم فجأة، بل في ذلك الوقت كانت نساء وبنات قبائلنا في غاية الجمال والبياض، كنا نشكر الإله على هذه النعمة الكبيرة من جمال نسائنا وسعادتنا نحن الرجال بفضلهن طوال الوقت، فكانوا يريدون هذه النسبة من فتياتنا، وافقنا على هذا الشرط، واللاتي اخترناهن نحن فيما بعد بصعوبة كبيرة

وكرهًا عن عائلاتهن.

• بند ٢: ٣٠٪ نسبة من كل شيء (حيوانات ومزروعات وصناعات مختلفة وماء وعصائر وكل شيء نملكه) ضريبة سنوية يأخذونها منا كرهًا بعد مرور كل عام، وافقنا على هذا الشرط أيضًا.

كان عامر قد وصل إلى اللوح الثالث وما زال يتابع القراءة...

• بند ٣: إقامة حلبات للقتال، يتقاتل فيها رجلان حتى الموت، ثلاثة مرات في ثلاثة أيام من كل أسبوع، كان شرطًا غريبًا ولكننا وافقنا أيضًا...

• بند ٤: حفر خندق كبير في نهاية حدود دولتنا وتركه هكذا، كان أيضًا شرطًا غريبًا ولكننا وافقنا...

• بند ٥: في عهد الملك التاسع سيحدث انقلاب في الحكم وسيسود الدولة نظام جديد، وستوضع قوانين جديدة، بالرغم من أن هذا الشرط كان غامضًا بعض الشيء إلا أننا وافقنا أيضًا.

بالنسبة للبند الثالث، فلقد فهمت فيما بعد أنهم وضعوه للتقليل من عددنا الكبير الذي كان مختلفًا ومميزًا عن كل الدول الصغرى وقتها، فقرروا وضع شرط القتال للتخفيف

من أعدادنا تدريجيًا، ثلاثة رجال أموات من كل أسبوع..

أما البند الرابع فعلمت أيضا أنهم وضعوه ليستفيدوا هم منه بعد فترة الانقلاب، من خلال ملئه بالوحل وإلقاء الكثير من الناس فيه بسبب عقوبات فرضت عليهم، وهذا الشرط أيضًا وضعوه للتقليل من أعدادنا بقدر الإمكان، من خلال فرض عقوبات رمي الناس بداخل الوحل في الخندق.

أما البند الخامس فلقد فهمت منه أن في عهد الملك التاسع والذي سيكون اسمه «فتوحي» سيحدث انقلاب في دولة أورينتس، وسيحكم الدولة جماعة جديدة، علمت أن هذه الجماعة قادمون من أوشدنتم نفسها!!، نعم قادمون من هناك ليحكموا بهذه الطريقة أورينتس ويسيطروا عليها من الداخل سيطرة كلية...

وصلوا عند اللوح الخامس والأخير يتابعون القراءة...

عادة أوشدنتم لا تضع كل هذه الشروط مع الدول الجديدة، ولكن نحن بالأخص كانوا متعمدين وضع كل هذا وفرضه علينا، وذلك بسبب أن عددنا كان كبيرًا جدًّا عن باقي كل الدول الصغرى وقتها، وأيضا لأن نساءنا كانت جميلة، ويحكي عنهن كل الدول المختلفة ويحسدوننا عليهن..

بُنيت أورينتس وولدت، وقبلنا كلنا بكل شروطهم؛ لأنه

لم يكن لدينا خيار آخر، إما القبول أو التفرق والعيش في الصحاري للأبد...

ملاحظة: أوشدنتم كانت متعمدة وضع كل هذه الشروط للتقليل من عددنا الكبير، لهذا عند بداية الحكم الجديد بعد الانقلاب في عهد الملك التاسع.. سيقسمون الدولة إلى ثلاث أراض مختلفة، وسيفرضون العقوبات على أتفه الأفعال إلى أكبرها من خلال قوانين ستكتب بداخل كتاب، سيؤخذ اسم هذا الكتاب من اسم دولتهم، سيسمونه بـ «كتاب أودم»، (أودم مأخوذة من كلمة أوشدنتم.. الألف والواو والدال والميم).. سيملؤون الخندق بالوحل ويلقون فيه الكثير، سيفرضون الإعدام بكل أشكاله (قطع الرقاب والحرق والغرق) وطرق أخرى، هذه خطة موضوعة منذ البداية من أوشدنتم قبل وجود أورينتس.. ليقضوا علينا تدريجيًّا ويقللوا من أعدادنا ويحكموا هم..

وجدت طريقة لكتابة كل هذا على ألواح حجرية دون علم أحد، وقمت بدفنها بسحري الذي تعلمته بنفسي، وأيضًا قمت برسم طريقة الوصول إليها على جدران المعابد، لربما يستطيع أحد يومًا ما الوصول إليها ويجدها في المستقبل ويفضح كل أعمالهم واتفاقاتهم، وما قام به الأولون ووافقوا عليه قبل عصر الانقلاب...

توقيع: الجد «نجمي» أقدم السحرة في أورينتس.

أنهى عامر القراءة وهو مصدوم لا يصدق أن كل هذا حدث، نظر لكاسياسي الذي كان يقف بجانبهم يراقبه مصطفى وقال له:

- تتعمدون فرض العقوبات على الناس لقتلهم والتقليل من أعدادهم! في البداية حلبات القتال، ثم حفر الخندق وأخيرًا الانقلاب الذي حدث وحكم الجماعة الذين جاءوا من أوشدنتم ليسيطروا على أورينتس من الداخل سيطرة كاملة، وكل من حكم بعد الملك جيكاي هم من أتباع أوشدنتم، حتى وصول هذه السلسلة إليك يا كاسياسي، أحسنتم حقًّا، فكرتم جيدًا ووضعتم الخطة للقضاء على أورينتس دون أن ينتبه أحد، تستحقون الأوسكار على هذا الفيلم العظيم.

رد عليه بكل حقد:

- أنت لا تعلم شيئًا، كان من المفترض أن لا توجد أورينتس في البداية من الأساس، لخوف أوشدنتم من أورينتس أن تكبر أكثر وتزدهر وتصبح أكبر قوة من أوشدنتم ويحكموا هم العالم، بعدها فكروا مرة ثانية وقرروا بأن يوافقوا وأيضًا يستفيدوا من خلالهم بهذه الشروط ويضمنوا بهذه الطريقة بأن لا تكبر أورينتس بأي شكل، بل بالعكس، ستضعف ويقل عددها مع مرور الزمن، لذا وافقوا على بناء أورينتس إذا

وافقوا هم على كل هذه الشروط، وقد كان، حكم أول ملك الذي يدعى « شرم»، وكبار القبائل أو الشيوخ الذين جمعهم ليأخذ بمشورتهم وموافقتهم، هم أنفسهم الثمانية ملوك الذين حكموا بعده، وهم عصر الأولين الذين وافقوا على حدوث كل هذا من البداية ليبنوا دولتهم، بعدها حدث الانقلاب العظيم وحكم جيكاي بنظام جديد الذي أرادته أوشدنتم بأن يطبق ويسير عليه الجميع...

- وهل كنتم تعلمون بأمر الألواح المدفونة هنا؟

- بالطبع كنا نعلم، في عهد الملك الثالث في عصر الأولين، كان أحد الكهنة في المعبد كان ينظر دائمًا إلى الرسومات ولم يصدق أنها مجرد رسومات هكذا، بل إنها تدل على شيء ما أو سر لا يعرفه أحد، أخبر ذلك الكاهن الملك بشكوكه، ثم استعان بساحر وأحضره ليرى الرسومات وبالفعل، كانت تلك المرسومة على أربع جدران هي طريقة معينة وقوية للوصول إلى الألواح التي كُتب عليها سر الأولين والقصة منذ البداية، علم الساحر بطريقته أن السر هي تلك الألواح، وعلم أيضًا مكانها والتي كانت مدفونة بجانب قصر الملك، كان من الممكن أن يخرجها، ولكن الملك طلب منه عدم فعل ذلك وتركها مدفونة، وأن لا يعلم عنها أحد أي شيء إلى الأبد.. وأما الجد «نجمي» الذي أوجد تلك الألواح ودفنها،

كان من أقوى السحرة وأقدمهم في أورينتس، فاستخدم سحره ليرى المستقبل وما سيحدث فيه، وبهذه الطريقة علم بكل ما سيحدث، وقرر بأن يكتب كل هذا ليكشفهم ويفضح أفعالهم...

- الآن فهمت أهمية هذا البرج.

- لو علم أي أحد بتلك الألواح وعرف بالاتفاقات السرية التي قام بها الأولون وموافقتهم على شروط أوشدنتم.. ستحدث ثورة كبيرة علي أنا كملك للدولة، وفي نفس الوقت كتابع لأوشدنتم، من كل الناس في الأراضي الثلاثة، وحتى الحراس كلهم سينقلبون ويثورون، وربما يقتلونني ويحكمون هم فيما بعد بطريقتهم، أو ذهابهم لخوض حرب ضد أوشدنتم مع علمهم بأنهم سيهلكون لو فعلوا هذا.

- أليس هذا ما تريدونه أساسًا؟ انتهاء أورينتس وفناؤهم كلهم للأبد.

- أنا أحمي نفسي وعائلتي والوزراء لا يهمني أي شيء آخر، لذا كان علينا حماية البرج دائمًا وإخفاء الألواح للأبد.

- ولكن كما ترى لم تستطيعوا النجاح.

- ماذا ستفعل؟

- هل تسخر مني؟ بالطبع سأخرج الألواح الخمسة للخارج وأجعل الكل يراها ويقرأها ويعرفون الحقيقة بأكملها.

- هل تريد أن يثوروا جميعًا عندما يعلمون، ستتسبب في وجود دمار كبير.

لم يهتم بما يقوله، خرجوا من الحفرة وتركوا كاسياسي واقفًا بجانب الألواح، تكلم عامر مع حور بصوت منخفض كيلا يسمعهما كاسياسي، ثم ذهب عامر لمصطفى وهمس في أذنه ببعض الكلمات وبعدها عاد لكاسياسي وقال:

- مهما فعلت سأخرج تلك الألواح للخارج فلا تقاوم، وكرمًا مني سأعطيك فرصة للهروب من هنا أنت والرائعة، أقصد ورومانا ومن تريد من أبنائك الحقيقين قبل أن يحاول أحد إيذاءكم، عرض مغرٍ، من رأيي لا تفوته.

- لن تقع أوريتنس في عهدي وعلى يد طفلين.

- لم تترك لي خيارًا آخر.

نادى على حور:

- الآن!

أغمض الساحر عينيه ثم بدأت الألواح تضيء بلونها الأحمر وترتفع من على الأرض تطير في الهواء، حاول كاسياسي أن

يمسكها ولكن لم يستطع، خرجت الألواح من الحفرة وثبتت في الهواء قليلًا ثم تحركت بسرعة إلى باب البرج لتحطمه وهي تخرج واحدًا تلو الآخر للخارج، خرجت الألواح الخمسة وكانت الشمس تغرب وقتها، والحراس ما زالوا واقفين في أماكنهم، تجمع البعض من الناس يراقبون ما يحدث، ارتمت الألواح على الأرض أمامهم وهم ينظرون إليها لا يفهمون ما هي.. قبل أن يخرج عامر لهم، قال لكاسياسي:

- في رقعة الشطرنج يسقط ملك في نهاية اللعبة، ويكسب الحرب الملك الآخر وهو من يبقى في الساحة في النهاية بعد فوزه.. من الأفضل أن تهرب الآن.. كش ملك.

ثم خرج وهو يحمل لوح «لعنة الأبناء الأبدية»، نظر إليهم وقال بصوت عالٍ:

- ربما تساءل البعض أو كلكم عن سر هذا البرج، ولماذا لا يدعون أحد بأن يدخله أو لماذا تولد الأطفال على هذه الأشكال وأنتم كلكم هكذا.

أشار للوح بيده وتابع:

- بسبب لعنة هذا اللوح الذي بيدي، الذي قامت به «كاريتا» بمساعدة ساحر، زوجة الملك فتوحي الملك التاسع آخر ملوك عصر الأولين، الذي قتل أبناءها أمامها الملك جيكاي، وتسبب

في قيامها بتلك اللعنة التي حلَّت عليكم جميعًا.

رماه على الأرض أمامهم ثم تابع:

- أما عن تلك الألواح الخمس الأخرى فهي التاريخ الأسود، وسبب معيشتكم بتلك الطريقة البشعة القاسية كل هذه السنين الطويلة، اقرأوها جيدًا وستفهمون أنكم كنتم مخدوعين.

تجمعوا حول الألواح يقرؤونها، وثلاثتهم يراقبونهم وهم يصدمون الواحد تلو الآخر مما يقرأوه، أما كاسياسي فقد خرج من البرج دون أن يلاحظ أحد ولكن عامر رآه وهو يهرب ولم يتكلم، ذهب للقصر ركضًا وأخذ رومانا التي كان من المفترض أنه سيعاقبها، أخذها وأخذ طفلين وهربوا من المكان سريعًا دون أن يلاحظ أحد...

مال حور برأسه ناحية عامر يخبره:

- السحرة ينتظرون، يجب أن نغادر الآن.

أمسك عامر يد أخيه وخرجوا من المكان والجميع منشغلون، لم يعد يهتم ماذا سيحدث بعد ذلك، أو ماذا سيفعلون في حياتهم القادمة، هو ساعدهم في كشف الحقيقة وفضح كل السابقين وفضح أوشدنتم وسياستهم، وترك الباقي عليهم، هم يعرفون الأفضل لصالحهم،

وسيتحركون على وفق هذا الأساس، غادروا المكان ذاهبين للمرة الثانية إلى أول مكان بدأ عنده كل شيء، تلك اللحظة التي لا يريدون تذكرها أبدًا ولا مشاعرهم وقتها كيف كانت، وصلوا وكان الليل قد حلَّ، كان السحرة الأربعة يجلسون ينتظرون قدومهم، طلب حور من الأخوين الوقوف بعيدًا كي يفتحوا البوابة، جلس حور بجانبهم وكانت الحفرة في المنتصف فارغة، وقبل أن يبدؤوا بفعل أي شيء قال أحدهم لحور:

- هل الاتفاق ما زال ساريًا؟

- بالطبع، سيسمحا لنا بالعبور معهما.

أغمض الخمسة أعينهم وبدأت الحفرة تتسع تدريجيًّا وحدها، كأن هناك أشخاصًا كثيرين يحفرونها بسرعة كبيرة، ظلت تكبر مساحة الحفرة حتى توقفت، كان الجزء الذي توقفت عنده يسمح بمرور أكثر من جسد إنسان من خلاله، ثم ألقى كل منهم بشيء داخل الحفرة، ألقوا الهواء! نعم فما ألقوه لم يكن ظاهرًا، أو كأنهم كانوا يشيرون الى الحفرة فقط أو شيئًا ما من هذا القبيل، بعدها بثوان امتلأت الحفرة بنفس السائل الأخضر اللزج، امتلأت كلها بذلك السائل، ثم أشار لهما بأن يأتيا، تحركا ووصلا إليها، وأخبرهما بأن يقفز كل منهما وراء الآخر، وبعدها سيجد نفسه في المكان الذي أتى منه،

قال له حور مذكرًا إياه:

- عامر لا تنس قبل أن تقفز أن تسمح لنا بالعبور، عليك أن تبدي الموافقة من داخلك فقط وحينها لن تكون هناك أي مشكلة بالنسبة لنا.

حرَّك له رأسه بأنه فهم، جعل أخاه يقفز هو أولا، لم يعترض وقفز ليبتلعه السائل اللزج بسرعة دون أي إعاقة أو بطء في الحركة، اختفى مصطفى عن الأعين، وقد حان دوره ليفي بوعده قبل أن يقفز هو الآخر، سمع صوتًا من بعيد ينادي عليه، صوتًا يعرفه جيدًا، اقترب الصوت أكثر وتلفت لينظر له ليجده كما توقع، صديقه شابكتا قادم ناحيته ركضًا ينادي عليه، من المفترض أنه قد ذهب وغادر منذ وقت طويل، فكان وجوده هنا وفي هذا الوقت غريبًا، طلب عامر من السحرة الانتظار قليلًا، وصل شابكتا لعامر وقال له والخوف ظاهر على وجهه:

- ماذا فعلت؟

- ماذا؟

- الكل الآن يبحثون عن كاسياسي ليقتلوه، ولكنه في الغالب هرب، وأيضا يبحثون عنك.

- أنا! لقد ساعدتهم ماذا يريدون مني؟

- لهذا السبب يبحثون عنك، هناك كلام يقال بينهم بأنهم يريدون أن يجعلوك الملك الجديد!

- ملك! لا أملك وقتًا للاندهاش والأسئلة، شكرًا على هذا العرض الجميل، آسف ولكني لا أريد، لدي رحلة ويجب على العودة للبيت.

- يأملون بأنك ربما يمكنك أن تساعدهم في إيقاف الحرب القادمة إليهم وتقودهم وتحكم أورينتس بعدها.

- ليحلوا أمورهم بأنفسهم، وأنت كان من المفترض أن تكون غادرت منذ وقت طويل.

- نعم كنت سأغادر، ولكني تراجعت في النهاية لسبب لا أعلمه.

- إلى اللقاء يا شابكتا، أخي ينتظرني وأنصحك أن تهرب قبل هجوم أوشدنتم.

لم يترك له عامر فرصة الرد، تركه وسار ناحية الحفرة وقبل أن يضع قدمه بها، ذكَّره حور وهو يدخل بأن يبدي الموافقة من داخله، وضع قدمه بداخل السائل وقبل أن يضع الأخرى، التفت له ولباقي السحرة وقال لهم سريعًا:

- آسف ولكني لن أسمح بوجود خمس سحرة في عالمي.

وقفز سريعًا قبل أن يمسكوه، لم يستطيعوا حتى إبطال البوابة أو منعه من العبور، كان قد فات الأوان على هذا، ابتلعه السائل اللزج هو الآخر، والسحرة يقفون لا يصدقون أنه خدعهم بهذه الطريقة الساذجة، من الأساس لماذا وثقوا به! هم الأغبياء ويستحقون هذا، أما شابكتا فقد وقع على الأرض من صدمته في عامر وأنه تركه بهذه الطريقة بعد كل ما مروا به معًا...

15

ظلام أسود ثم إضاءة شمس في السماء تضرب رأسه ووجهه، فتح عينيه ليجد نفسه مستلقيًا على الأرض، استجمع تركيزه ونظر حوله ليجد أخاه واقفا ينظر إليه مبتسمًا:

- عامر أخيرًا لقد فعلناها، عدنا!!!!!

نهض ونظر حوله جيدًا ليجد نفسه واقفًا أمام نفس الجبل الذي دخلا منه في البداية ومن خلفه الطريق، لم يصدق نفسه، فلقد عادا بالفعل، تعانقا من شدة سعادتهما.. في أعلى الجبل عاليًا كانت نفس العين توشك أن تغلق بعد أن كانت تنظر للأمام لفترة من الوقت تنتظر خروجهما.. ذهب عامر ينظر لمكان السهام ليتأكد هل ما زالت موجودة أم اختفت، والمفاجأة أنها كانت موجودة في مكانها! نظرا لبعضهما وهما يضحكان، ثم قاما بالتغطية علي السهمين بالرمال ودفنها بعيدًا عن الأعين كيلا يقع في هذا الفخ شخص آخر مثلهما، ويخوض تلك الرحلة اللعينة، انتهيا ثم أوقفا سيارة أخذتهما إلى البيت..

بالطبع كانا يتوقعان أن والديهما اعتقدا أنهما ماتا أو اختفيا في ظروف غامضة، أو حتى أقاما العزاء عليهما، وصلا

وطرقا باب بيتهما، وفتحت أمهم وقالت لهما بكل هدوء:

- أين ذهبتما؟ خرجتما معًا صباحًا باكرًا ولم تخبرا أحدًا إلى أين تذهبان!!

- صباحًا!!!!

لقد قضيا في أورينتس تقريبًا أكثر من نصف شهر.. عادا لحياتهما الطبيعية من جديد، وكأن شيئًا لم يحدث، حاولا نسيان كل ما مرا به وشاهداه هناك وعاشاه، كأنه حلم بدأ وانتهى واستيقظا منه في النهاية كأي حلم آخر.

كتب عامر القصة كلها وما حدث معه ومع أخيه وكل شيء، فكر لربما يومًا ما ينشرها في كتاب أو على الإنترنت، وأكد بعد أن انتهى من كتابة كل شيء أن كل هذه الأحداث حقيقية وحدثت معه بالفعل، وسيترك لعقل القارئ إما أن يصدق أو لا، ولكن الأمر الأكيد أن كل هذا حدث بالفعل!

نسيت أن أخبرك، في إحدى الأيام وجد عامر خلف منزله أفعى ضخمة حمراء لونها، بالطبع أنت تعرفها، كانت ميتة، رآها صدفة من شرفة غرفته، نزل ركضًا إليها وكانت بالفعل ميتة، وبداخل فمها توجد ورقة ظاهر طرفها، أمسكها بعد عناء وكان خائفا منها بشدة لربما تستيقظ فجأة، أخذها ولاحظ أنها ورقة متهالكة أو هي هكذا قديمة جدًّا، وكأنها

من عصر!! لا لا أعتقد!

فتح الورقة وكانت رسالة صغيرة وقرأ هذه الكلمات القليلة:

- عامر إذا لم تعد إلى أورينتس ستموت بعد سنتين من قراءتك لتلك الرسالة.. تظن أنك خدعتني عندما لم تسمح لنا بالعبور معك، ولكني توقعت أنك ستفعل هذا، لذا قمت بوضع لعنة صغيرة عليك دون أن تشعر، تحسبًا لأي غدر قد تقوم به، وعندما فعلت ما توقعته قمت بتنشيط لعنتي عليك، لو لا تصدقني ستجد رسمة لثعبان صغير على بطنك.. مع الوقت سيكبر على جسدك كله إلى أن تنتهي فترة السنتين وتموت!

- حور!!

للتواصل مع الكاتب

Facebook: super.amr@inbox.ru.

Amr Mohamed Kamal.

أو:

Whatsapp: 01126997758